

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00597319 3

ORIENTAL TRANSLATION FUND

NEW SERIES

VOL. XXVII

THE TABLE-TALK
OF A MESOPOTAMIAN JUDGE

BEING THE FIRST PART OF THE
NISHWĀR AL-MUḤĀDARAH

OR

JĀMI' AL-TAWĀRĪKH

OF

ABU 'ALĪ AL-MUḤASSIN AL-TANŪKHĪ

EDITED FROM THE PARIS MS. BY

D. S. MARGOLIOUTH, D.LITT., F.B.A.

ROYAL ASIATIC SOCIETY

74 GROSVENOR STREET

1921

PREFATORY NOTE

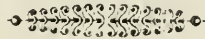
SOME details about this work are given in the Arabic postscript. It is hoped that an English translation will soon follow, where a more lengthy account of it will be given. The rotographs whence the text has been copied were procured by the late Mr. H. F. Amedroz, who was for some years a member of the Council of the R.A.S. It was the writer's original intention to include this text among those collected in *The Eclipse of the 'Abbasid Caliphate*, to which it frequently serves as a supplement ; as this was not found practicable, the R.A.S. was requested to let it appear among its publications, and kindly consented. Full references to its contents have, however, been given in the Index to the former work, and these together with the Indices appended to the edition should render it easy to find any of the anecdotes.

الرومي في ارشاد الاريب (٦ : ٦٠ و ١٩٠) والغرولي في مطالع البدور (١ : ٩٤) . وأما نحن فلم نعثر منه الا على الجزء الاول في نسخة عددها ٣٤٨٢ من الخطوط العربية المحفوظة في خزانة الكتب الوطنية في باريس قد ذكر الناسخ أنه فرغ من نسخها في سنة ٧٣٠ وليس فيها ما يدل على أنها أول جزء من أجزاء عدة وعدد صفحاتها ١٩٣ وهي كاملة الشكل كثيرة الاغلاط لاسيما في الاعلام وأما ما صحح عندنا صوابه فجعلناه وقد حظينا في بعض الملازم بمساعدة العلامة الفاضل والاديب الكامل صاحب السعادة أحمد باشا زكي وأما ما تعذر علينا فهمه وتصحيحه فأبتنناه على حاله مقرين بالعجز وقد حذفنا حكايات ليست بكثيرة لم نر داعياً الى تخليدها وكان ابتداء طبع هذا الكتاب في سنة ١٩١٨ والفراغ منه سنة ١٩٢١ .

الخاتمة

قال ياقوت في ارشاد الارب (٦ : ٢٥١) الحسن بن علي بن محمد ابن داوود بن النهم التنوخي أبو علي القمازي مات خمس بقين من محرم سنة ٣٨٤ ومولده سنة ٣٢٩ بالبصرة وكانت وفاته ببغداد وله من التصانيف : كتاب الفرج بعد الشدة ثلاث مجلدات . كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه أن لا يضممه شيئاً نقله من كتاب أحد عشر مجداً كل مجلد له فاتحة بخطبه . قال غرس النعمة : صنف أبو علي الحسن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة أولها سنة ٣٦ وذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب الربيع قال ابتدأه في سنة ٤٦٨ هـ . والنشوار كلمة فارسية أصلها نشخوار ومعناها جرّة الحيوانات المجترّة وقد استعملها التنوخي بمعنى الحديث ص ٦٢ س ١٦ « طيب النشوار والادب » ص ٨٦ س ١٤ « حسن النشوار راوية الاخبار » وأما ما ذكر من تاريخ الكتاب فيطابقه ما جرى فيه ذكره من التواريخ فإن المؤلف ذكر خبراً سمعه في سنة ٣٤٩ (ص ١٦) ثم أكثر من ذكر حوادث سنة ٣٦٠ (ص ٢١٦ و ٢٣٥) ثم ذكر حادثاً حدث سنة ٣٦١ (ص ٢٧٤) . وأما ما اشترط من الاختصار على ما لم يدون في كتاب فكثيراً ما أدخل بشرطه وقد نهنا في مواضع على ورود الحكايات في الفرج بعد الشدة المؤلف وغيره من الكتب . وأما ما زعم من اشتغال الكتاب على ١١ جزءاً فيؤكده ما يوجد في بعض الكتب من حكايات منقولة عن النشوار غير موجودة في جزئنا من ذلك ما أورده السيوطي في المزهر (٢ : ١٦٣ من الطبعة الاولى) وياقوت

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٠٤	امحُ الملاحظة التي عددها ٢		
١٥٥	٤	اكتب	الكتب
١٦٠	٨	الحوزي	الحوزي
١٨٤	٤	نفذت	نفذت
٢١٩	٤	الضاء	الضاد
	١٥	تقيضا	تقيضا
٢٣١	٣	العلبي	العلبي
٢٦٢	١٩	الحسين	الحسن



صفحة

صفحة

الورد ٢٤٩ ٢٥٠

المنام ١٠٢ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٤٦

الورد ١٤٦

المنجمين ٢٦٣ ٢٧٠

الوزارة ١١٤

المؤذن ١٦٣ ٢٥٠

الياقوت ١٨٨

النبيذ ٢٦١

الخطأ والصواب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
الزرايين	الوراقين	٣	١٢
المبرز	المبرز	٦	١٤
الحسين	الحسن	١٠	١٥
عباش	عباس		

(وقد كثر هذا الخطأ فليصحح)

المرسوم	الموسوم	١٩	
ملتزق	ملتزمه	١٥	٢٧
الامر	الناس	١٦	
قد	وقد	٣	٢٨
خطائه	خطابه	٩	
عن	الى	٥	٢٩
بامور	باموراً	١٩	٤٧
اعلاه : كان يامر	كان	١٩	٦٢
خطاه	حظه	١٩	٦٧
كاتب	كاتباً	٩	٦٩
الاكثرات	الاكثرات	١	٧٢
في	الى	٥	
خشبة	خشية	٢٠	٨٥

فهرسة الحكايات

صفحة

حكايات تتعلق

الشهود ١٢٩ ١٢٦ ١٩٢ ٢٤٠

صفحة

الصدقة ٢٢٩

بالانراك ١٥٢

الصوفية ١٧٨ ٢١٥

الاذان ١٧٤

ضمان الضياع ١٠٢

الاطباء ٢٠٧

العصا ١٨٩

انواع العذاب ٧٣ ٧٦ ١٥٤ ١٧١

العلويين ٢٢٦

الاقواق ١١٩

العيافة ٢٦٣

البخل ٢٤٣

الغذاء ١٣٦

تنذير الاموال ٨٩ ١٤١ ١٤٤

القروود ٩٩ ١٤٤ ٢٧٥

التعازي ٢٣٧

القضاء ١١٥ ٢٢٣

التهاني ٢٣٦

القيادة ١٤٨ ١٩٣

الجدري ٢٥٧

الكانون ٣٥٧

الجهابذة ١٠٨

الكلاب ٩٩

الجواهر ٢٦١

الاصوص ٧٨ ١٧٢

الحبل ٦٥

الواء ١٣٥

حجر الذباب ١٨٧ ٢٠٧

متخلفي المورثين ٨٩

حيل المظهرين للصوم ٨٠

المحتسب ١٥٨ ١٦٤ ٢٥٠

الخلافة ١١٤

الخمين ٢٤٣

الدوباركة ٢١٧

المديونين ١٠٠ ١٣٠

الذاكرة ١٧٤ ٢٥٠

المرافق ١٠٣

الرباب ١٩٢

المساحة ١٠٩

الزنبور ٢٦٣

المستمحيين ١٨٤ ٢٥٩

السماع ١٠٠ ١٠١

المشعبدين ١٧٦ ١٧٧

الشاطرنج ٣٧ ٢٤٠

الملاهي ١٩٢

الشمعة ١٧٣ ٢٥٨

صفحة

صفحة

ابن وسنا الحزاعي ٩٥
 واصل بن عطاء ابو حذيفة ٢٠٩
 ابن واصل الصوفي ٢١٥
 وصيف الخادم ٢٢٧
 وهب بن منبه ٩٩
 ياجوج وماجوج ١٥٦
 ياقوت ١٥٧
 ابن ياقوت ٩٤
 يحيى بن عمر العلوي ٢٢٣
 يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي
 الموالي ابو احمد ١٢ ٤١ ٩٧ ١٢٩
 ٢٣٧ ٢٣٥ ١٩٢ ١٧٨ ١٣٤
 بنو يحيى بن ابي منصور ١١
 يزد جرد بن مهندان الكسروي ٦٥
 يعقوب بن اسحاق بن البهلول التنوخي ٢٠٩
 اليمين ١٧٧
 يموت بن المذرع ابو بكر ١٧٤
 يوحنا الحكيم النصراني ٢٨٤
 يوسف بن وجيه ١٨٨
 يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي
 ١٦٦ ١٦٥
 يوسف بن يعقوب المقرئ الواسطي ١٦٧
 ابو يوسف الزبيدي ٢٨٤
 ابو يوسف يعقوب الفقيه ١٢٣ ٢٢٠

نحج الطولوني ١٣٧
 نزار ١٧٧
 نزار الضبي ٢١٠
 نصر بن احمد امير خراسان ١٨٨
 نصر القشوري ٨٣ ١٣٧
 ابن نصرويه محمد بن عبيد ابو الحسين
 ١٢٨ ١١٥
 النعمان بن عبد الله ابو المندر ٦٠ ١٠٤
 النمروديات ١٣٨
 بنو نعيم ١١٧ ٢٢٦
 النهروان ١٥٥ ١٨٠
 النهروان ضيعة ابي الهيجاء ١٨٠
 ابن نوبخت ابو سهل ٨١
 بنو هاشم ٤٨
 هبة الله بن محمد بن المنجم ٢٤ ٦٧
 هير ٩٨ ٢١٥
 الهيري ٢١١
 همذان ١٢١
 الهند ٥٧
 هيت ١٢٧
 ابو الهيجاء بن حمدان ١١١ ١٧٨
 الواثق بالله ١٤١
 واثق المعتضدي ١٢٨
 ابو الورد ٣٥

صفحة

المقدربالله ٢٤ ٣٠ ٣٧ ٤٩ ٨٣ ١١٩
 ١٣٦ ١٣٩ ١٤١ ١٤٣ ١٥٦
 ابن مقلة ابو عبد الله ٣٧
 ابن مقلة ابو علي ٢٨ ٣٧ ٤٧ ١٣٨
 ١٦٨ ١٧٠
 بنت ابي المسكارم ١٣٥
 المكتفي بالله ١٤٠ ١٤١ ٢٦٢
 مكران ٥٧
 مكرم بن ابي بكران ٣٠
 ابن مكرم القاضي ابو الحسن ٣٠
 مناذر ١٥٩
 منبج ١١١
 ابن مهرويه ١٢
 المهاي الحسن ابو محمد ١١ ٢٣ ٣٨
 ٤١ ٤٨ ٥٨ ٧٠ ١٣٤ ١٤٧
 ١٤٨ ١٨٣ ١٨٦ ٢٠٨ ٢٢٩
 موسى بن ابي الفرج بن الضحاك ٦٦
 موسى بن الزكوري ٢٧٦
 ام موسى القهرمانة ١١٩
 الموصل ٤١ ٨٩
 الموفق بالله ٣٨ ١٢٦ ٢٦٣ ٢٦١
 مؤنس الخادم ١٢٨
 ابن ميادة ١٢٥
 ناصر الدولة الحسن بن حمدان ابو محمد
 ٤١ ١٧٨ ٢٠٢
 الناصر لدين الله هو الموفق

صفحة

المدايني ٢٤٨
 المدينة ٢٤٦
 مربعة الاحنف ١١٥
 مرد اويج ١٥٦ ١٥٧
 المزابلي ابو عبد الله ٢٧٦
 المسرقان ١٣
 مساران ٣٩
 المطهر بن اسحاق بن يوسف الاهوازي ٢٧٠
 المطيع لله ٤٩ ١٤٦ ١٤٩
 معاوية ١٦٩
 المعتزلة ٢٠٩ ٢١٠ ٢٧٣
 المقصم ٧٥
 المعتضد ٤٣ ٤٥ ٧٦ ١٢٠ ١٢٩
 ١٤٢ ١٥٠ ١٥٤ ١٥٧ ١٥٩
 ٢٢٧ ٢٦٢
 المعتمد على الله ١٦٦
 معد صاحب عذاب الحجاج ٦٩
 ابن معروف محمد بن عبيد الله بن احمد
 ابو الحسن ٥٩
 معز الدولة احمد بن بويه ابو الحسين
 ٥٤ ٧٠ ٧١ ١٤٨ ١٥٧
 ١٦٠ ٢٢٩
 ابو معشر المنجم ٢٦٦
 معقلة ٢٥١
 المعوج ٢٥٢
 المفوض الى الله ١٦٧

صفحة

صفحة

محمد بن الحسن الفقيه ٢١١
 محمد بن خلف وكيع ١٦١
 محمد بن سليمان الارزدي ابو عبد الله ٤١
 محمد بن صالح الهاشمي ابن ام شيبان ابو
 الحسن ٦٤ ٤٩
 محمد بن العباس ابو الفرج ٢١٥
 محمد بن عبد الرحمن القاضي ابو بكر ٦٠
 محمد بن عبد الله ابو الفضل ١٦٩
 محمد بن عبد الله بن مكره الهاشمي ابو
 الحسن ٢٥٨
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٢٤
 محمد بن عبد الواحد الهاشمي القاضي ابو
 الحسن ١٤ ٥١ ١٥٠ ١٥٧ ١٨٥
 محمد بن عبد الوهاب ابو علي هو الجبائي
 محمد بن عبيد القاضي ابو الحسن ٢٤٨
 محمد بن مجلان ٦٥
 محمد بن علي بن ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق
 ابن البهلول التتوخزي ابو الخطاب ٢٤٣
 محمد بن القاسم الكرخي ٢١٦
 محمد بن المنتشر ٦٨
 محمد بن ناصر الدولة ١١٢ ١٣٥
 محمد بن يحيى بن شيرزاد ٧٠
 محمد بن يزداد ٦٦
 ابو محمد بن ابى ايوب ٥٥
 ابو محمد ١٤٩
 المداق ٢٧

الكلام ٢٧٥
 الايث ١٦٩
 بنت ابى محمد المادرائي ٤٠
 بنو مازمة ١٣٤
 ماكان الديلمي ١٥٦
 مالك الامام ٦٦ ١٢٨
 المالكية ١٢٨
 المامون ١١ ٦٦ ١٤٧ ٢٢٢
 المامونية ١٠٢
 المبارك بن احمد السيرافي ابو سعيد ٨٨
 المبرد ١٣٤
 مبشر غلام ابى غالب ٩٦
 المتقي ١٤٦
 المتنبى ٧ ١٧٠
 المتوكل على الله ١٢٦ ١٤٦
 الحسن بن الفرات ٤٧
 محمد النبي ٨٧ ١٢٥ ٢٢٢ ٢٣٩ ٢٤٦
 محمد بن احمد ترة ٦٥
 محمد بن حمد الجشمي ٦٩
 محمد بن احمد بن سعيد العسكري ١٨٨
 محمد بن اسحاق بن ابراهيم الشاهد الاهوازي
 ابو بكر ٨٣
 محمد بن ابى بكر خال المؤمنين ٨٧
 محمد بن الحسن الداعي العلوي ابو عبد الله
 ٤٠
 محمد بن الحسن بن عبد العزيز ٤٩

صفحة

صفحة

قرطاس ٧٧
 قرغوبه ١١١
 قرقيسيا ١٢٧
 قزوين ١٥٤
 القسطنطينية ٣٠
 القصر ١٧١
 قصر الحلاج ٨٠
 قطر الندى ٢٦٢
 القطراني البصري ١١٥
 قطربل ٦٥ ٧١
 قنطرة الهندوان ٧٢
 الكافوري ١٨٨
 الكرج ١٥٧
 ابن كردم الاهوازي ٧١
 الكرخ ٧١ ١٦١
 كرخ جدان ٢١٨
 الكرمانى ١٧٦
 الكسائي ٢١١
 بنو كلاب ٥٦
 كلاواذا ٦٥ ٧١
 الكيت ١٧٧
 ابن كنداج ١١٦
 الكوفة ٩٩ ٢٤٤
 الكوفي احمد بن علي ابو عبد الله ٢١٦
 الكوكبي ١٦٤
 لييب العابد ٢٤٦

ابو الفرج بن روحان الصوفي ٨٥
 فرض الاهواز ١٦٤
 الفضل بن احمد الحياتي ٥٥
 الفضل بن جعفر بن الفرات ٣٧
 الفضل بن عبد الرحمان الشيرازي ابو احمد
 ٢٩ ١٤٩
 فضل الله بن ناصر الدولة هو ابو تغلب
 الفضل بن مروان ٦٧
 الفضل بن يحيى بن خالد ١٣
 فم الصالح ١٤٦ ١٦٧
 القاتليق ٣١
 القاسم بن دينار ١٣
 القاسم بن عبيد الله ٤٢ ٤٣ ٥٠
 ١٣٤ ١٦٦
 القاسم بن محمد الكرخي ابو محمد ١٧٤
 ابو القاسم بن بشر الاحمدي ١٨٥
 ابو القاسم الصروي ٢٠٦
 ابو القاسم الصوري ٢٨٤
 ابو القاسم بن بنت منيع ٢٧٤
 القاهر بالله ٢٥١
 بنو السقائف ٢٦٥
 قبة خالد ٢٤٥
 ابن قديدة ابو جعفر ١٠١ ١٠٦ ١٠٧
 القراريطي محمد بن احمد ابو اسحاق ٢٣ ١٧٨
 القرامطة ٩٩ ١٥٦
 القرآن ١٧٨

صفحة

ابو عمرو القاري ١٧٨
 ابن ابي عوف ابو عبد الله ٤٤ ١٦٤
 ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧
 ابن ابي عون ٣٣
 ابن عياش عبد الله بن احمد بن الحارث
 الجوهري البغدادي ابو الحسين ١٥ ١٦
 ٢٧ ٣٦ ٤٢ ٤٤ ٦٢ ٨١
 ١١٢ ١١٨ ١٢٢ ١٦٠ ١٦٧
 ١٦٩ ١٧٠ ١٧٣ ٢٠٢ ٢٠٥
 ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥
 عيسى بن علي بن عيسى ٤٨
 ابو عيسى اخو ابي صخرة ٢٥ ٢٨
 ابن عيشونة ٢٠٦
 ابو العيلاء ١٢
 غالب الشارزاذي ١٣٥
 ابو غالب الاجري ٩٥
 ابو غسان بن ابي امية ١١٧
 غلام زحل ابو القاسم ٢٦٩
 فاطمة بنت النبي ٢١٨
 الفاطمي ٥٢ الفاطميين ٨٦
 ابو الفتح الصوفي ٢٨٠
 فتوة ٩٨
 ابن الفرات الوزير ابو الحسن ١٩ ٣٣
 ٣٨ ١١٢ ١١٥ ٢٢٩ ٢٤٤
 ابو فراس الحارث بن ابي العلاء بن حمدان
 ١١٠ ١١١ ١٣٦ ٢٣١
 (٢٨)

صفحة

علي بن الحسن الحاجي ١٤٥
 علي بن ابي طالب ٢٣٨
 علي بن عبد الله الحذاء ابو الحسن ٢١٥
 علي بن عبد الملك ابو حصين ١١٢
 علي بن عيسى الوزير ٢٥ ٢٩ ٣٠ ٤٨
 ٥٤ ١٠٤ ١٣٩ ١٧٤ ١٨١ ٢٢٥
 علي بن محمد بن احمد بن اسحاق بن
 البهلول التوخي ابو الحسن ٣٧ ٧٦
 ١١٩ ١٢٥ ١٣٨
 علي بن محمد بن خربان ابو القاسم ١٠٢
 ابو علي بن الاعرابي الشاعر ٢٤٩
 ابو علي الانباري ٤١
 ابو علي الطبري ٢٢٩
 علية بنت المهدي ٩٧
 عماد الدولة علي بن بويه ١٥٧
 ابو عمارة الربيع الهاشمي ٨٧
 عمان ٥٧ ١٨٨
 عمر القصري ١٧١
 عمر بن محمد القاضي ابو الحسين ١١٨ ٢٦٥
 عمر بن محمد ابو السري ٤٨
 ابو عمر الزاهد ١٤٤
 ابو عمر القاضي محمد بن يوسف ٢٢ ٢٩
 ٣٥ ٤٦ ١١٧ ١١٨ ١٢٧
 ١٢٨ ١٩٢
 عمرو بن ابي عمرو النخاس ١٢٠
 عمرو النهيوي ٦٧

صفحة

عبد الله بن العباس الرامهرمزي أبو محمد ٢٦٩
عبد الله بن عمر بن الحارث الحارثي السراج
أبو أحمد ٥٤ ١٦٧ ١٨٧ ٢٦٨
عبد الله بن محمد الكاتب أبو محمد ١٣٤
عبد الله بن محمد بن عنبويه أبو القاسم ١٧٥
عبد الله بن محمد بن مبرويه هو ابن أبي علان
عبد الله ابن المعتز ٢٥ ١٢٧
عبد الله بن يحيى الطبري أبو محمد ١١
أبو عبد الله بن إبراهيم ٣٩
أبو عبد الله بن الأبيض العلوي ٥١
أبو عبد الله بن البهلول ٢٨٠
أبو عبد الله المفجع ١٧٤
أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي ٢٠١
أبو عبد الله الموسوي العلوي ١٦٠
أبو عبد الله بن هارون التستري ١٧٨
أبو عبد الله بن ورام الكوفي ٢٠٧
عبد الملك بن علي السقطي البصري أبو غانم
٢٧٥
عبد الواحد بن نصر بن محمد بن مخزوم
الذبيبي أبو الفرج هو البيهقي
بنو عبد الواحد ٥٠
أبو عبس المحدث ١١٥
عبيد الله بن الحسين أبو عمر ١٦٤
عبيد الله بن دينار أبو العباس ١٨٦
عبيد الله بن سليمان أبو القاسم ٤٤ ١٣٤
١٥٠ ١٥٤ ١٦٤ ١٦٥ ٢٤٤ ٢٥٥

صفحة

عبيد الله بن طاهر ٦٣
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٢٢٣
عبيد الله بن محمد ٨٧
عبيد الله بن محمد الخفاف ٧٨ ٨٨
عبيد الله بن محمد الصروري أبو القاسم
٢٥٦
عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٢
عتبة بن عبيد الله هو أبو السائب
أبو عثمان الأشناداني ٢٥٠
عذراء ٦٢ ٦٣
أبو العربان بن شاهين ٢٤٣
العروضي أبو الحسن ١٤٥
عروة البريدي ٩٨
عريب ١٣١
عز الدولة هو بختيار
عسكر مكرم ٩٥ ١٥٩ ١٨٨
أبو العشار بن حمدان ٢٥٧
عهم بن وهب البرجمي أبو شبل ١٢
أبو عصمة ٦٢
عطف ٧٦
ابن أبي علان الأهوازي ١٠١ ١٠٤
١٠٧ ١٥٩
علي بن إبراهيم بن حماد ٣٣
علي بن الأخضر أبو القاسم ٢٤٦
علي بن الحسن الأصفهاني أبو الفرج ١٢
٤٢ ١٧٤

صفحة

عباد السليماني الهاشمي ابو محمد ٢٥١
 العباس ٤٨
 العباس بن الحسن ١٤٦ ٢٦٢
 العباس بن الحسين ابو الفضل ٢١٥
 ابو العباس الاصفهاني ١١٤
 ابو العباس البغدادي ٩٨
 ابو العباس الشامي النخاس ١٤٧
 ابو العباس بن الفرات ٢٤٤
 ابو العباس الفرغاني الصوفي ٢٤٣
 ابن عبد الحميد ١٢٠
 عبد الرحمن بن ابي حصين علي بن عبد
 الملك ١١١
 عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن بكر ٥٨
 عبد الرحمن بن نصر السكري ٣٨
 عبد السلام بن عمر بن الحارث ابو احمد
 ٢٨١
 عبد الصمد بن المعذل ٢٨١
 عبد العزيز بن ابراهيم ابو الحسين ٣٩
 عبد العزيز بن محمد بن ابي عمرو الثرابي
 ١٢١
 عبد الله بن احمد بن ابي بكر داسة ابو محمد
 ٢٢ ٣٣
 عبد الله بن احمد بن الحارث بن العباس
 الجوهري البغدادي ١٥
 عبد الله بن احمد بن حمدون ١٢٩
 عبد الله بن احمد هو ابن عياش

صفحة

الصوفية ٥٤ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٨
 ١٩٣ ٢٠٨ ٢٤٨ ٢٨١
 الصولي محمد بن يحيى ١٤٥ ٢٢٣
 ابن الصيرفي ١٧٦
 الصميري ابو جعفر ٥٣ ٧٠ ٨٦
 ١٦٣
 طاهر بن الحسين ٢٢٤
 طاهر بن يحيى العلوي ٢٤٦
 ابو طاهر بن نصر ٢٦٤
 طبرستان ١٥٦
 طرسوس ٢٢٧
 طرفان المغني الطنبوري ٥١
 طريق خراسان ١٧٨
 طل خادم الرشيد ٩٨
 طلحة بن عبيد الله ابن قناش الجوهري
 ٥١ ٥٢ ٧٢ ٧٣
 ابو طلحة البصري ٢٠٧ ٢٠٨
 الطيب ١٠٢
 ابو الطيب ١٧٢
 ابو الطيب بن ابي جعفر الطائي ١٧٣
 ابو الطيب بن عبد المنعم ٢٧٧
 ابو الطيب بن هيثمة ٢١٧ ٢٧٤
 عانات ١٢١
 عافية الباقلائي ٧٦
 عائدة بنت محمد الجهنمية الشاعرة ٢١٦
 عائشة ام المؤمنين ٨٨

صفحة

سیراف ٥٨ ١٦٩
سیف الدولة ابن حمدان ٥٦ ٥٢ ٥٩ ٧٣
١١٠ ١٣٤ ١٣٦ ١٦٠ ٢٣٧ ٢٥٩ ٢٥١
شاجي جارية عبید الله بن طاهر ٦٣
شارع الخلد ١٤٤
شارع دار الرقيق ٢٣٨
شارع القاضي ٢٦٤
شارع مرید ٣٨
الشافعي الامام ٦٦
الشافعي صاحب علي بن عيسى ٢٢٥
شاكر الاسحاق ٢٤٥
شانظف ١٥٩
الشبلي الصوفي ١٧٢
شريف بن سيف الدولة ابو المعالي ١١١
شستر ٢٩
شغب هي السيدة
ابن الشيخ ٢٢٨
شيرج بن ليلى ١٥٧
ابن شيرزاد محمد بن يحيى ٧٠
شيامة محمد بن الحسن بن سهل ٧٣
صاعد بن ثابت ابو الغلاء ٣٩
صاعد بن مخلد ٧٠ ٢٦٣
صافي الحرمي ١٣٦
صافي الساجي ٩٥
ابن صبر محمد بن عبد الله ابو بكر ٣٠
الصراة ١٣٤

صفحة

ابن الزيات محمد بن عبد الملك ١٢
زينة بنت الحسن ١٣٥
سابور ذو الاكتاف ٢٧١
ابن ابي الساج ١٥٦
ابو السائب عتبة القاضي ١٠٠ ١٢١
٢٤٠ ٢٥٨
سباشي الحاجب الخوارزمي التركي ٢٢٩
سبكتكين ٢١٦
سرمنى راي ٣١٦
السراج ابو الحسن بن علي ١٦٤
سرنديب ١٨٩
سري بن احمد الرفاء ٢٥٨
سعد غلام اسحاق بن ابراهيم ٢٠٨
سعيد بن عبد الرحمن الاصفهاني ابو القاسم
٥٨ ١٨٣
سعيد بن مخلد ١٢ ٧٠ ٢٦٣
سعيد بن هارون السيرافي ٥٨
سلامة اخو نوح الطولوني ابو القاسم ١٣٧
سليمان بن الحسن بن مخلد ابو محمد ١٢٢
١٣٨ ١٧٠ ١٧٣ ٢٦٦
ابن سليمان التلاج ٦٣
السليمانى الهاشمى ابو محمد ٢٥١
ابن السمسار ١٦٤
سوق الاهواز ٧١
سيحان ٣٩
السيدة ام المقتدر ٨٣ ١١٩ ١٤٠ ١٤٢

صفحة

دعبل	١٧٧
ابن الديكيني	٩٣
الديلم	١٨٧ ١٥٥ ٨٩
الديناريون	١٦٩
ابن دية الانماطى	١٥٠
ذو النون بن موسى	١٥٩
الراضى بالله	١٤٥ ١٤٤
الرافضة	٨١
رامهدمز	١٨٦
الرحبة	١٢٧
ابن رزق الله	٣٣
الرشيد	٢٢٢ ١٢٤ ٩٨
ابو رفاعه بن كامل	٥٢
رقة الشماسية	٧٠
ركن الدولة	١٥٧ ٦٥
الري	٢١١
الزبري	٢١٣
الزجاج ابراهيم بن السري ابو اسحاق	
	١٣٣ ٥٠ ٤٢
ابن زريق	٢١٦
زكرياه الساجي ابو يحيى	١١٦
الزكورية	٩٤
ابو زنبور	٣٣
الزنج	٢٦٨ ١٢٦ ٧٧
ابن ابى زنجى ابو القاسم	٢١٦
زهرة	٩٤

صفحة

ابو خنيفة الامام	١٢٣ ١٢٩
ابن الحوارى على بن محمد ابو القاسم	٣٥
	٩٢ ١٣٧ ٢٠٦
الحوز	١٠٧
خاطف	٢٧٤
الخاقانى محمد بن عبيد الله	٢٥
خالد الحذاء	٧٥
ابن ابى خالد الاحول	٢١١
الخباز ابو هاشم	٢٧٠
الخرقى احد بنى اسحاق الشيرازى	١٤٣
الخصيبى احمد بن عبيد الله	١٧٠ ١٥٦
خلب	٢١٩
خلف الصناديقى	١٦٢
خمارويه	٢٦٢ ٢٦١ ٢٦٠
خندق طاهر	٤٨
الخوارج	٢٠٩
الخومينى ابو عبد الله	١٢٢
دار البلاط	٣٢
دار الحور	١٧
دار اللامى	٧٧
دجيل	١٠٢
درب عون	٢٠٤
درب مهرويه	٢٤٣
ابن درستويه ابو محمد	١٣٣
درة الرقاص الصوفى	٩٥
ابن دريد ابو بكر	٢٥٠ ٢١٠ ٥٣

صفحة

ابو حامد ٥٤
الحائر ٢١٩ ٢٦٥
الحبشي سند الدولة ابو حرب ١٨٣
الحجاج بن يوسف ٦٩
ابن الحجاج الشاعر ابو عبد الله ٢١٥
حران ١١٠
ابو حسان الزيايدي ٢٢٠
الحسن بن احمد الانباري ابو علي ٢٨٢
الحسن بن اسماعيل بن اسحاق ابو علي ١٥٧
الحسن بن بشر الآمدي ابو القاسم ٥٠
الحسن بن سهل ١٤٦
الحسن بن عبد الله الايدجي ٢١٠
الحسن بن علي ١٢
الحسن بن علي بن زيد المتعجم غلام ابن نافع ١٣
الحسن بن محمد ٢٠١ ٢٠٢
الحسن بن هارون الكاتب ٢٩ ١٣٤
٢١٨
ابو الحسن الاهوازي الكاتب ٢١٨
٢٢٩
ابو الحسن بن ابي طالب بن ابي جعفر بن البهلول ١٧ ٢٦٩
ابو الحسن الكرخي ٢٤٢
ابو الحسن بن المامون الهاشمي ١٥
ابو الحسن بن محمد التومني ٨٦

صفحة

الحسين بن احمد المادرائي ابو زنبور ٣٣
الحسين بن الحسن الوائلي ٤٧
الحسين بن دريد ٢٥٠
الحسين بن علي ٢١٨
الحسين بن غريب البقال ٩٥
الحسين بن القاسم بن عبيد الله ١٢٨
الحسين بن محمد الانباري ابو علي ١٣٩
الحسين بن ناصر الدولة ٢٣٥
ابو الحسين بن حاجب النعمان ٣٩
وابنه ابو الحسين ايضاً
ابو الحسين بن سهيل الحذاء ٢٠٨
٢١٥ ٢٤٣
ابو الحسين قاضي القضاة اسمه عمر بن محمد الحشوية ٢٧٦
الحلاج الحسين بن منصور ٨٠ ٨٣
٨٤ ٨٧ ٢٤٨
حلب ١١١
حلوز بن با علي ٨٨
حمدان بن ناصر الدولة ٨٣٥
ابن حمدون ابو جعفر ١٢٩ ١٤٤
ابن حمدون ابو محمد ١٤٦ ١٥٤
بنو حمدون ١٤٤
حمص ٢٧٧
الحنابلة ١٧٤ ٢١٩
ابن حنبل ١١٧
ابن حنابلة هو الفضل بن جعفر

صفحة	صفحة
جبي ١٠٧	ابن أبي البقل ابو الحسين ١٨٣ ١٨٥
الجباني ابو علي ٨٧ ١٠٧ ٢٦٩ ٢٧٠	ابو بكر بن سعيد بن هارون الطليب ٥٨
الجباني ابو هاشم ٢١٠ ٢٤٣	ابو بكر بن أبي سعيد ١٢٢
جبريل ٢٧٦	ابو بكر الشافعي ٤٧ ٤٨
جحظة ٢٠٢ ٢٠٥ ٢٤٩	ابو بكر الواسطي ١٦٧
ابن الجصاص ابو عبد الله ١٦ ٢٤	بلا شكر ٢٠٦
٢٦٠ ٢٦٢	بنص (ابو نصر) ٥٣
ابن الجصاص ابو علي ١٨	ابن البهلول ابو جعفر ٣٧ ٦٨
جعفر بن ابراهيم الحصيني الانباري ١٢٦	٧٦ ١٩١
جعفر بن حرب ١٠٩	بوران ١٤٧
جعفر الخالدي الصوفي ٢١٥	بيت المقدس ٣١
جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ابو القاسم ١٤٨	بيروذ ٥٠
جعفر بن القاسم الكرخي ابو عبد الله	بحجى ٢٣٨
١٧٤	تحفة ١٣٢
جعفر بن محمد بن ورقاء ١٦ ١٧٦	تستر ١٤٩
جميلة بنت ناصر الدولة ٩٧	تغلب ١٤٤
الجهني ابو القاسم ٢٣ ١٤٤	ابو تغلب بن ناصر الدولة ٩٧ ٢٣٥
١٦٣ ١٦١ ١٤٦	ابو تمام ١٧٨
ابو الجيش هو خمارويه	التميمي ١٢٩
الجيل ٨٨	التوخى ابو علي المحسن ١٥٦
جوداب ١٠٥	التوخى ابو القاسم علي ١٣ ١٣٨
الحارث بن حلزة ٢٥٠	١٧٧ ٢٢٧ ٢٦٩
ابن الحارث ابو الحسن ١٣٨	التميز ٥٧
ابو الحارث ١٧٠	الاملاج هو ابن سليمان
ابو حازم ٥٠ ١١٨	الجاحظ ١٧٤ ١٩١
حامد بن العباس ١٤ ٢٤ ٨١ ٨٣	ابن جانش ٨٨

صفحة

صفحة

١٣٥	بختيار عز الدولة	٢١٤	ابن ابي الاضجيم
٢٥٥	بدر الحماي	٩٠	الاعراب
٧٣	بدر الطيفي	٧٦	ابو الاغر بن شهاب التيمي
١٥٧ ١٥٣	بدر المعتضدي	١١١	اغورج البطريق
١٣٢	بدعة جارية عريب	١٩٥ ٩٠	الاكراد
٩٨	بدعة الدرونية	٢٣٠	ابن الوي
٥٠	بدعة جارية القاسم بن عبيد الله	٨١	الامامية
٢٥١ ٢٢٠	البرهاري	١١٧ ١١٥	ابو امية الاخوص
١١٢	البرسي ابو اسحاق	٢٨١	بنو امية
١٣٥	برقة شهيد	١٧١ ١٦٦ ١٢٧	الانبار
١٥٧	بركة زلزل	٢٣	انس الموقفي
٣٩ ١١	بنو برمك	٢٤٠ ٢٢٧ ٣٠	انطاكية
١٣	البريدي ابو عبد الله احمد بن محمد	٢٢٩ ١٣٨ ١١٥ ٨٧ ١٢	الاهواز
١٦٩ ١٤٨ ١٣٨ ١٠٥		٥٤	ابن ابي ايوب ابو محمد
٢٧٠ ٢٢٩		٢٨٢	باب الابواب
٩٦ ٨٨	البريدي ابو القاسم	٢٦٥	باب حرب
٢٢٩ ١٤٧		٢١٧	باب الشماسية
١٧٠ ١٤٧	البريدي ابو يوسف يعقوب	٢٢١ ١٦١ ٩١ ١٧	باب الطاق
٣٨	البريديون	٧٥	بابك الخرمي
١٦٧	ابن بسام	٦٥	بادوريا
٥٣	بشر بن هارون	٥٣	البازيار
٨٩ ٧٢ ٣٨	البصرة	٢٧٥	الباغندي
٢٤٨ ٢٢٦ ٥٥ ٥٠		٥٥ ٥٠	اليغيا عبد الواحد بن نصر
٥٠	بصني	١٣٥ ١٣٤ ١١٠ ٥٨	
٣٠	البطرك	٢٥٩ ٢٥٧ ٢٥١ ٢٣٧ ١٦٠	
٧٤ ٦٥	بغداد	٢٨١ ٢١٦ ١٨٦ ٩٧	بجك

فهرسة الاعلام

صفحة

- ابو احمد بن الحسين بن يوسف ١٠٨
 ابو احمد بن ابي سامة ١٧٢
 ابو احمد الشيرازي هو الفضل بن عبد الرحمن
 ابو احمد بن ابي الورد ٣٥
 ابن الاخوش ١٦٨
 الادمي البزاز ١٤٨
 ارجان ١٥٧
 ارسطاطالس ٢٠٨
 ازاد مرد بن الفرند ٦٩
 الازرق هو يوسف بن البهلول
 اسحاق بن ابراهيم بن علي النصيبيني ٢٠٨
 ابو اسحاق الطبري ١٤٤
 اسد بن جهور ١٢٩ ١٩٩ ٢٤٤
 بنو اسد ٢٦٥
 اسفار بن شيرويه ١٥٦
 اسماعيل بن اسحاق الفاضي ابو اسحاق
 ٤٦ ١٢٦
 اسماعيل بن بلبل ٢٥ ٢٦ ٧٦
 ١٢٦ ١٢٩ ٢٦٣
 اسماعيل بن ابي خالد ٦٧
 اسماعيل الصفار البصري ٢٠٩
 الاشعث بن قيس ٦٦
 ابن اصدق ٢١٨

صفحة

- ابراهيم بن الحسن البزاز ١٦١
 ابراهيم بن خفيف الكاتب ٢٤٢
 ابراهيم بن علي النيسابوري ابو اسحاق ٥١
 ابراهيم بن عيسى اخو الوزير ٢٥
 ابراهيم بن المدبر ١٣١
 ابراهيم بن ناصر الدولة ٢٣٠
 ابو ابراهيم ٢٤٠
 ابلة ١٠٤
 ابليس ٨٦ ١٤٠
 الاتراك ١٥٢
 احمد بن اسحاق بن البهلول ١٢٧
 ١٢٨
 احمد بن جعفر بن ابراهيم الحصبني ابو علي
 ١١٧
 احمد بن الحسين بن عبدالله الجوهري
 ٢٦٠
 احمد بن سيار الضيمري ابو بكر ٤٦ ١٠٠
 احمد بن الطبيب ٦٥
 احمد بن عبدالله الاصفهاني ١٢٢
 احمد بن عبدالله بن بكر البصري ٩٨
 احمد بن عمر بن حفص ٩٥
 احمد بن عمرو البخاري ابو نصر ١١٧
 احمد بن محمد بن جملان ٢٦٠

طريقى وحمل معى تلك الغنم الى أن خرجت من أعماله فبعثها بمال عظيم.
حدثنى أبو على الانبارى قال : كنت بحضرة أبى يوسف الزيدى
فكُتبت كتباً كثيرة وحى النهار فقامت ضجراً أمشى فى الصحن الاعظم
من الدار فلقيت يوحنا الطيب الاهوازى النصرانى فقال لى : يا أبا على
افتصد الساعة وإلا طعنت . فقلت : أمس افتصدت . قال : فخل ازارك
وسراويلك . قال : فوقفت وفعلت ذلك . فقال لى : لو لم يتغير لونك الى
الاسفار لفصدتك ثانية . قال : فعجبت من فطنته لاجتماع الدم فى
وجهى ومعالجته بسرعة .

وحدثنى أبو على قال : دخل يوحنا يوماً الى دارى وبحضرتى
مطاولات كثيرة فيها نارنج خين رآها قال يوحنا : منذ كم هذ الاطباق
عندك ؟ فقلت : منذ أيام فقال : انا لله تقدم برفعها الساعة والالم أجاس
انا امالى . فقلت : شيلوها . ثم قلت : ما السبب فى هذا ؟ فقال : ان
النارنج خاصيته أن يعرف وأنه لا يعرف أحد عقيب ادمانه شمه رعا فافاً
يكون سببه شمه أو بالانفاق الا يدوم رعا فاه الى أن يموت فلا حيلة فيه .
أنشدنى أبو القاسم الصورى لنفسه :

ويوم كيوم البين حرا قطعته على سابع طاوى الا ياطل سابق
أخوض عليه جمره القيط حاسراً كأنى على الهجران فى قاب عاشق
وهذا آخر الكتاب

وكان الفراغ من كتابته فى يوم الجمعة مستهل رجب الفرد سنة
ثلاثين وسبعمائة والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم .

الملك فأحضر كل ما قدر عليه من حصى صغار وأحجار لطيفة فترك على كل نقطة حصاة حتى امتلأ الثوب بالحصا والحجارة اللطاف فوق النقط ثم أمر بجمع أمر عظيم من الغنم وأوقفت بحضرته وأمر رجالا أن يجلسوا ورجالا يقوموا فجلس بعضهم على الثوب فكانوا يأخذون حصاة حصاة فيلقونها عن الثوب فكلما ألقى من الجلوس رجل حصاة أخذ من القيام رجل شاة من الموضع الذى فيه الغنم الى رحلى وسامت الى أصحابى حتى استوفيت على عدد الحصا الذى كان فوق الثوب كل نقطة شاة .

قال : فاستحسننت فطنته لذلك فقلت للتراجم : قولوا له : ما انتصرف الى بلدى بشئ أحسن من فطنة الملك لاستخراج هذا فكيف وقع له هذا وهو لا يلبس مثله وأنا تاجر ما وقع لى ولا لجميع أهل مملكته .

قال : فأعجبه قولى وقال : انك لما أردت الانصراف تأسفت على ما يفوتنى من الثوب ففكرت والمالك لا بد أن يدر بهم الملك ويصير لهم مزية فى حيل الرأى فى الحوادث التى تطرقهم ليست لغيرهم لان أفكارهم صافية من الاهتمام بما يهيم غيرهم من المعاش موقوفة الا على مصالح المملكة ومداراة الخوارج أو على الشهوات قدر ما شغلوا به نفوسهم وليس يتحصل لواحد منهم الملك الا لشرفه ومعنى تد فضل به وتقدم من أجله اما بسعادة تخدمه أو بفضل فى نفسه فلما رأيت أن الثوب يفوتنى فككرت كيف الحيلة فى عدد النقط فوق لى ما رأيت . فقلت له : أيها الملك فائدتى بما سمعته منك من هذا الكلام أحب الى من فائدتى بما ربحته عليك فى ثمن الثوب . قال : فأجازنى بمجائزة سنوية وأصبحنى من آنسى وخدمنى فى

على من بين يديه فقال : لا أظنه يقبلها وهذا محترق بالعبادة ايش يعمل بالدرهم ؟ قال : فما كان بأسرع من ان رجع رسوله الذي كان انفذه بالدرهم فارغ اليد فقال له بحكم : أى شىء عملت ؟ قال : أخذت إليه الدرهم وأعطيته اياها . قال بحكم : فأخذها ؟ قال : نعم . فعرض بحكم على شفثيه وقال : انا لله حيلة تمت عليّ كلنا صيادون لكن الشباك تختلف .

وحدثني أبو على الحسن بن أحمد الانباري الكاتب عن رجل من التجار الموغلين في الاسفار قال : سافرت الى وراء باب الابواب بمسافة بعيدة ومعى متاع فبلغت أرضاً لها أهل بيض شقر مرط دقاق قصار عراة قليلو الاظفار لغتهم لغة غير الفارسية والتركية لا أعرفها لا ورق في بلادهم ولا عين وانما يتعاملون بالامتعة والاغلب عندهم الغنم فحملت الى ملكهم فعرضت عليه ما معى فاستحسن منه ثوب ديباج وكان معى منقطاً فسألني عن ثمنه فاستمت مالا كثيراً فقال له ^(١) : لا مال عندنا وانما هي هذه الامتعة فان صاحبت لك فخذ ما شئت . فقلت : لا تصالح لي . فقال : فالغنم . فقلت : كم عسالك تعطيني منها ؟ فقال : حكمك . فقلت : بعدد كل نقطة في الثوب شاة . فقال : قد أجبتك . فأخذت أعد النقط فلم ينضب لي ذلك وجهد جميع من عنده في هذا فتعذر عليهم فقال لي : نعم الآن قد تعبنا وأتعبناك في شىء لا يصح فهممت بحمل الثوب . وكان له ترجمانان يكلم أحدهما بلغته فيكلم الترجمان ترجماناً آخر بلغة أخرى فيكلمني ذاك بالفارسية فأفهم . قال : فبسطت الثوب وأمر

فسمعها تقول الايات التى فيها :

وجهك الميمون حجتنا يوم تأتى الناس بالحجج
فتواجد وصاح ودق صدره إلى أن أغمى عليه فسقط فلما انقضى المجلس
حركوه فوجدوه ميتا فشالوه ودفنوه واستفاض الخبر بهذا وشاع. والايات
لعبد الصمد بن المعذل وأمالى الصولى عنه باسناد ثابت فى أصول سماعى :

يا بديع الدل والغنج لك سلطان على المهج
إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج الى السرج
لا أتاح الله لى فرجا يوم أدعو منك بالفرج
وجهك المأمول حجتنا يوم تأتى الناس بالحجج

والصوفية إذا قالوا وجهك المأمول يقلبونه إلى مالههم فى ذلك من المعانى
وكانت قصة هذا الرجل وموته فى سنة خمسين وثلثمائة وأمره من مفردات الاخبار.
حدثنى جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها فى طرف الجسر سائلان
أعميان يتوسل أحدهما بأمر المؤمنين على عليه السلام والآخر بمعوية
ويتعصب لهما الناس وتجيئهما القطع دائرة فاذا انصرفا جميعا اقتسما القطع
فانهما كانا شريكين يحتالون بذلك على الناس .

حدثنى أبو أحمد عبد السلام بن عمر بن الحرث قال : جاء رجل من
الصوفية الى بجكم وهو بواسط فوعظه وتكلم عليه بالفارسية والعربية حتى
أبكاه بكاء شديدا فلما ولى من بين يديه خارجا قال بجكم لبعض من
بحضرته : احمل معه ^(١) ألف درهم وادفعها إليه . قال : خملت فأقبل بجكم

ضلّتم عن مداواة هذه الحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح فارقوا
 بالمرأة وسلوها قبول الدية ونجعلها من أموالنا . فأطافوا بها وسألوها
 فقالت : لا أفعل . قالوا : خذي ديتين . فقالت : شعرة من ابني بألف
 دية . فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات فقالت : اجمعوا المال فاذا رأيته إن
 طاب قلبي بقبوله والعفو عن الدم فعلت وإلا قتل القاتل . فقالوا : نعم .
 فقال الرجل : قومي عافاك الله وردني إلى موضعي من الجامع . قالت :
 لا أفعل . قال : فذاك إليك . فما زالوا يجمعون إلى أن جمعوا مائة ألف
 درهم وقالوا : خذيها . قالت لا أريد إلا قتل قاتل ابني أثر في نفسي .
 فأقبل الناس يرمون بثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء بحليهن والرجال
 كل يرمى بشيء من متاعه ومن لم يتحمل من ذلك الفداء كان في أمر
 عظيم وكأنه قد خرج من الدنيا فأخذته وأبرأته من الدم وانصرفت فأقام
 الرجل في الجامع أياماً يسيرة حتى علم أنها قد بعدت ثم هرب في بعض
 الليالي وطلب من غد فلم يوجد ولا عرف له خبر حتى انكشف لهم أنه
 حيلة عملها بعد مدة طويلة .

رأيت ببغداد صوفياً يعرف بأبي الفتح أعور في مجلس أبي عبد الله
 ابن البهلول يقرأ بألحان قراءة حسنة وصبي يقرأ (أولم نعلمكم ما تذكرو فيه
 من تذكر) فزعم الصوفي بلى بلى دفعات وأنغمى عليه طول المجلس
 وتفرق الناس عن الموضع . وكان الاجتماع في صحن دار كنت أنزلها فلم
 يكن الصوفي أفاق فتركته مكانه فما أفاق إلى قرب العصر ثم قام فلما كان
 بعد أيام سألت عنه فعرفت أنه حضر عند جارية بالكركخ تقول بالقضيب

بأفرادى^(١) وحمل إلى السلطان فسيعرضون لك الدية ولا تقبلها أو يبدلوا لك عشر ديات أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم فاذا تناهت عطيتهم في اقتدائي الى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً فاقبلي الفداء منهم واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك عن البلد الى طريق بغداد فإني سأهرب وأتبعك . فلما كان من الغد جاءت المرأة فلما رآته فعلت به ما قال لها ولطمته وقالت المقالة التي عليها . فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا : يا عدوة الله هذا من الأبدال هذا من قوام العالم هذا قطب الوقت هذا صاحب الزمان هذا هذا فأوما إليهم أن اصبروا ولا تنالوها بسوء فصبروا واوزر صلاته ثم سلم وتمرغ في الأرض طويلاً ثم قال للناس : هل سمعتم لى كلمة منذ أقمت فيكم ؟ فاستبشروا السماع كلامه وارتفعت صيحة عظيمة وقالوا : لا . قال : فإني إنما أقمت عندكم تائباً مما ذكرته وقد كنت رجلاً في زيغ وخسارة فقتلت ابن هذه المرأة وتبت وجئت إلى هاهنا للعبادة وكنت محدثاً نفسي بالرجوع إليها وطلبها لتقيدني خوفاً من أن لا تكون توبتي قد صحت وما زلت أدعو الله تعالى أن يقبل توبتي ويمكنها مني إلى أن أجيب دعوتي وقبل الله توبتي لما جمعت وإياها ويمكنها من قودي فدعوها تقتلني وأستودعكم الله تعالى . قال : فارتفعت الصيحة والبكاء وقال له هذا : يا عبد الله ادع لى . وقال له هذا : ادع لى . وأقبلت المرأة بين يديه وهو مار إلى وإلى البلد وهو يمشى على تآن ورقق ليخرج من الجامع إلى دار الأمير فيقتله بابنها . فقال الشيوخ : يا قوم لم

للراحة سبح ولم ينطق بلفظة ولم يشعر به أياماً ثم تبه على مكانه ورعى مدة وعرف خبره ووضعت العيون عليه فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام فتحير أهل البلد من أمره وكان لا يخرج من الجامع إلا في الهاجرة في كل يوم دفعة حتى يمضى إلى تلك الميضاة فيبول ويعمد إلى تلك الآجرة وقد عرفها وعليها ذلك المعجون وقد صار مستحيلاً وصورته صورة الغائط الناشف المستحيل فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط فيأكله ويطعم أوده ويرجع فإذا مسح للصلاة العتمة^(١) وفي الليل يشرب كفايته من الماء وأهل حمص يظنون أنه لا يذوق الماء ولا الطعام وأنه طأ طول تلك المدة فعظم شأنه ومحله عندهم وقصدوه وكلوه فلم يجب وأحاطوا به فلم يلتفت واجتهدوا في خطابه فلزم لهم هذا الصمت والعمل فزاد محله عندهم حتى إنهم كانوا إذا خرج للطهور جاؤوا إلى موضعه فيتمسحون به ويأخذون التراب من موضع مشيه ويحملون إليه المرضى فيمسح يده عليهم فلما رأى أن منزلته قد بلغت إلى ذلك وكان قد مضى على هذا الفعل سنة اجتمع في الميضاة مع امرأته وقال: إذا كان يوم الجمعة كما تصلي الناس فتعالى فاعلقى بي والطمى وجهى وقولى لى: يا عدو الله يا فاسق قتلت ابني ببغداد وهربت إلى هاهنا وجئت تتعبد وعبادتك مضروب بها وجهك ولا تفارقيني واطهرى أنك تريد قتل بابنك فإن الناس يجتمعون عليك وأمنعهم أنا من أذيتك وأعترف بأنى قتلتك وتبت وجئت إلى هاهنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان منى فاطلبى قودى

مالك عافاك الله ومن أنت ؟ فقال ابن الزكوري : أنا الروح الامين
جبريل رسول رب العالمين أرسلني اليك . فلم يشك المزالي في صدق
القول فأجهش بالبكاء والدعاء وقال : يا جبريل من أنا حتى يرسلك رب
العالمين إليّ ؟ فقال : الرحمن يقرئك السلام ويقول لك : موسى بن الزكوري
غدا رفيقك في الجنة . فصعق أبو عبد الله وسمع صوت الثياب وقد كان
خرج فرأى بياضا فتركه موسى ورجع فلما كان من الغد كان يوم جمعة
فأقبل المزالي يخبر الناس برسالة جبريل ويقول : تمسحوا بابن الزكوري
واسألوه أن يجعلني في حل واطلبوه لي فأقبل العامة أرسلالا إلى دار ابن
الزكوري يطلبونه ليمسحوا به ويستخلوه للمزالي فظهر وأمن على نفسه .
حدثني أبو الطيب بن عبد المؤمن قال : خرج بعض حذاق المكديين
من بغداد إلى حمص ومعه امرأته فلما حصل بها قال لها : إن هذا بلد حماقة
ومال إنني أريد أن أعمل معييا (قال : وهذه كلمة لهم إذا أرادوا أن يعملوا
حيلة كبيرة) فساعدني عليها بالصبر . قالت : سألك . فقال : كوني
بموضعك ولا تتجاذين بي البتة وإذا كان كل يوم خذى لي ثلثي رطل زبيبا
وثلثي رطل لوزا نيا فاعجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرة نظيفة لأعرفها
في الميضة الفلانية (وكانت قريبة من الجامع) ولا تزيدني على هذا
شيئا ولا تمرين بناحيتي . فقالت : أفعل . قال : وجاء هو وأخرج جبة
صوف كانت معه فلبسها وسراويل صوف وميزرا جعله على رأسه واعتمد
أسطوانة في الجامع بحيث يجتاز عليها أكثر الناس فلزمها يصلي نهاره أجمع
وليله أجمع ولا يستريح إلا في الاوقات المحظورة فيها الصلاة وإذا جلس

والخبز وغيرها ويومى له بما يريده ويعطيه ثمنه ويحمل الحاجة الى منزل صاحبه .

وحدثني أبى قال : كان عندنا بجبل أنطاكية المعروف بجبل اللكام رجل يتعبد يقال له أبو عبدالله المزابلى وسمى بذلك لانه كان بالليل يدخل الى البلد فيتبع المزابل فيأخذ مايجده منها فيغسله ويقطاه لا يعرف قوتا غير ذلك وأن يتوغل فى جبل اللكام فيأكل من الاثمار المباحة فيه وكان صالحا مجتهدا الا أنه كان حشويا غير وافر العقل وكانت له سوق عظيمة فى العامة بأنطاكية وكان بها موسى بن الزكورى صاحب المجوز والصفير فى شعره والحماقات وكان له جار يغشى المزابلى جفري بين موسى بن الزكورى وجاره ذاك شر فشكاه الى المزابلى فلمنه المزابلى فى دعائه وكان الناس يقصدونه فى كل يوم جمعة غدوة فيتكلم عليهم ويدعو فلما سمعوا لعنه لابن الزكورى جاء الناس الى داره أرسالا لقتله فهرب ونهبت داره وطلبته العامة فلستتر^(١) فلما طال استتاره قال : انى سأحتال على المزابلى بحيلة أتخلص منه بها فأعينوني . فقلت : ما تريد ؟ فقال أعطونى ثوبا جديداً وشيئا من الند والمسك ومجرة وناراً وغلاما يؤنسونى الليلة فى الطريق الى الجبل . قال أبى : فأعطيته ذلك كله فلما كان فى نصف الليل مضى وخرج والغلمان معه الى الجبل حتى صعد فوق الكهف الذى يأويه المزابلى فبخر بالند والمسك فدخلت الريح الى كهف أبى عبدالله وصاح بحلق عظيم يا أبا عبد الله المزابلى فلما شم تلك الرائحة وسمع الصوت أنكرهما فقال :

وأخبرني أبو الحسن الأزرق أيضاً في سنة إحدى وستين وثلاثمائة أنها توفيت في منزلها في جواره في هذه السنة .

حدثني أبو الطيب بن هرثمة أنه سمع الباغندي يحدث يقول لجارية كانت تخدمه وقد حرد عليها ذهب زمانك الذي كنت تخضين فيه بالكلكين . يريد تطلين على وجهك الكلكون^(١) . وأنه سمعه قال في حديث حدث به في قوله تعالى وفاكة وأباً فقال فأكبة وأنا .

وأخبرني بعض من سافر في الآفاق وهو أبو غانم عبد الملك بن علي السقطي البصري أنه كان في بعض طرقات اليمن ومعهم رجل معه قفص فيه قلائس فأصابتهم سماء فابتلت القلائس فأخرجها الرجل فنشرها في الشمس لما نزلوا وإذا بقطعة عظيمة من القروء قد أحاطوا بالقافلة فلما رأوا القلائس وكانت خارجة من القافلة بالقرب وقفوا ينظرون إليها جاء قرد كبير يقدمهم فلبس في رأسه واحدة وأخذ كل واحد منهم واحدة فلبسها إلى أن فنيت القلائس فتأملت صاحبها يلطم^(٢) أن مضوا هؤلاء وهي على رؤوسهم افتقرت فاني لا أملك غير هذه القلائس . فقال أهل القافلة : اجلس واسكت ولا تهجمهم فجلس فلما كان بعد ساعة وضع القرد الكبير القلنسوة من رأسه فوضعوا كلهم القلائس وانصرفوا فتبعوه في الانصراف وقام الرجل إلى قلائسه فجمعها .

وحدثني أيضاً قال : رأيت قروءاً عدة مستأنسة ببلدان اليمن القرد منها يخرج بالزنبيل من منزل صاحبه ومعه النفضة فيقف على بائع اللحم

(١) كلمة فارسية معناها لون الورد (٢) لعله سقط : وجهه ويقول :

أن تخرج من السقف أو تحرق الحائط بريشة من جناحك وتخرج فلا تكلفني أنا التفرير ببصرى . فأحس اللص بأنها جلدة فأخذ يرفق بها ويدارها ويبذل التوبة . فقالت له : دع ذا عنك فلا سبيل الى الخروج إلا بالنهار . وقامت تصلى وهو يهذى ويسألها وهي لا تجيبه حتى طلعت الشمس وجاء ابنها فعرف خبرها وحدثه بالحديث فمضى وأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص .

سمعت جماعة من اصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن وقد حكى لنا أن لصا حصل فى دار لمعتزلى فأحس به فطلبه فنزل الى بئر فى الدار فأخذ الرجل حجرا عظيما ليدليه عليه فخاف اللص التلف فقال له : الليل لنا والنهار لكم . يوهمه أنه من الجن . فقال له المعتزلى : فزن معى نصف الأجرة . ورمى بالحجر فهشمه فقال له : متى يأمن أهلك من الجن ؟ فقال المعتزلى : دع ذا عنك واخرج . فخرج وخلاه . سمعت أبى قال : جئت إلى أبى القاسم ابن بنت منيع لا كتب عنه الحديث فقال لى من فى منزله : قد توجه فى حاجة له . وكانت سنة إذ ذاك نحو مائة سنة جلوسنا ننتظر فاذا به قد جاؤوا به محمولا فألقى كالمغشى عليه واستراح فقلنا له : يا أبا القاسم ما كان هذا الأمر حتى خرجت فيه بنفسك الا كلفتنا حاجتك ؟ فقال : ليس هذا مما أكلفكم إياه مضيت إلى مجلس سقى خاطف فسمعتها وتواجدت فى قولها . قال : فعجبنا من شيخ محدث يحضر مجلس امرأة تغنى بالقضيب . وأخبرنى من أئق بهم أنها باقية إلى هذا الوقت وتغنى بالقضيب وأن لها نحو السبعين سنة .

فمدت الصلاة وتناول عليه الأمر ومضى نصف الليل وتحير اللص مما نزل وخاف أن يدركه الصبح ولا يظفر بشيء فطاف في الدار فوجد أزارا جديدا وطلب جمرا فظفر به ووقع في يده شيء كان له ^(١) دخنة طيبة فلبس الأزار وأشعل ذلك البخور وأقبل ينزل على الدرجة ويصيح بصوت غليظ ويعمد أن يجعله جهوريا لتفرع العجوز وكانت معزلية جلدة فقطنت لحركته وأنه لص فلم تره أنها فطنت وقالت : من هذا ؟ بارتعاد وفرع شديد . فقال لها : أنا رسول الله رب العالمين أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه من ارتكاب المعاصي . فأظهرت أنها قد ضعفت وغشى عليها من الجزع وأقبلت تقول : يا جبريل سألتك بالله الا رفقت به فإنه واحدى . فقال اللص : ما أرسلت لقتله . فقالت : فماذا تريد وبم أرسلت ؟ قال : لآخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك فإذا تاب رددته إليه . فقالت : شأنك يا جبريل وما أمرت . فقال : تنحى من باب البيت فتتحت وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش واشتغل في تكويره فمشت العجوز قليلا قليلا وجذبت الباب بحمية فردته وجعلت الحلقة في الرزة وجاءت بقفل فقفلته فنظر اللص الى الموت بعينه ورام حيلة في داخل البيت في نقب أو منفذ فلم يجدها فقال لها : افتحى الباب لاخرج فقد اتعظ ابنك : فقالت : يا جبريل أخاف أن أفتح الباب فتذهب عيني من ملاحظتى لنورك . فقال : إني أطفئ نورى حتى لا تذهب عينك . فقالت : يا جبريل إنك رسول رب العالمين لا يعوزك

(١) فى الاصل « لهم »

فى الاكل والحديث الى ان رفعت المائدة وقام أبو جعفر وقتنا وشيلت المائدة واستدعانى الى موضعه فغسلت يدى بحضرته فلما فرغت أردت أن أبتدئه بالخطاب فقال لى : قد آذيتك ياسيدى يا أبا عبد الله بتأخرى عن منزلك فامض الى بيتك وما أخاطبك مما فى نفسى ولا فيما أردت مخاطبتك فيه بعد ما تفضلت به . فشكرته وقلت : إن رأى سيدنا أيدى الله أن يتم معروفه الى تسليم المؤامرة الى فعل . فقال : هاتوها فصارحت إلا وهى فى خفى وانصرفت الى منزلى وقد سقط المال عنى ولزمته للسلام وصرت أتعمد مؤاكلته والتخصص به فسلمت عليه طول أيامه وسلم جاهى ومالى عليه الى أن مضى .

حدثنى محمد بن الفضل بن حميد الصيمرى مؤدبى قال : كان فى بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والقيام وكان لها ابن صير فى منهنك على الشرب واللعب وكان يتشاغل بدكان أكثر نهارة ثم يعود عشيا الى منزله فيخبى كيسه عند والدته ويمضى فيبيت فى مواضع يشرب فيها فعين بعض اللصوص على كيسه ليأخذه وتبعه فى بعض العشايا ودخل وراءه الى الدار وهو لا يعلم فاختنق بها وسلم هو كيسه الى أمه وخرج وبقيت وحدها فى الدار وكان لها فى دارها بيت مؤزر بالساج الى أكثر حيطانه عليه باب حديد تجعل قماشها وكل ما تمتلكه فيه والكيس نخبأت الكيس فيه تلك الليلة خلف الباب وجلست وأفطرت بين يديه فقال اللص : هذه الساعة تفطر وتكسل وتنام وأنزل فافتح الباب وأخذ الكيس والقماش . قال : فلما أفطرت قامت الى الصلاة ففطن اللص أنها تصلى العتمة وتنام فانتظرها

وجدى بارد فضربت يدي إلى كتفه فأكلتها ثم قدم بعده ألوان وقدم
جدي مبرر فأخذت الكتف فأكلتها ثم جدي بماء وملح فجئت لأخذ
الكتف فسبقتني يد أبي عبد الله إليه فكنت يدي فقال لي : يا أبا الحسن
أنت اليوم سابور ذو الأكتاف فاستحييت وخجلت وعلمت أنه ما قالها
إلا من غيظ فقصرت وتوقيت بعد ذلك مؤاكلة^(١) . فقال أبي : ما كان
في حالي ويهتك جاهي . فلم أدر ما أعمل فشاورت بعض من يختص به
فقال : طمعه فيك والله قوى وما ينفعك معه شيء غير المال . فقلت :
فكر في حيلة أو مخادعة . ففكر ثم قال : لا أعرف لك دواء إلا شيئا
واحدا ان سمحت به نفسك وتركت العلوية عنك وفعلته نجوت . فقلت
ما هو ؟ قال : هو رجل سمح على الطعام محب لآكله على مائدته موجب
لحرمة وأرى لك إذا وضع طعامه أن تخرج إليه فانك معه في الدار ولا
يمنعك الموكلون من ذلك فتجبي بغير إذن فتجلس على المائدة وتأكل
وتنسط وتخطبه في أمرك عقيب الأكل وتسأله وترفق به وتخضع له
فانه يسألك بأكثرها ويقرب ما بينك وبينه . فشق ذلك علي ثم
نظرت فاذا وزن المال أشق منه وكان أبو جعفر لا يأكل إلا بعد المغرب
في كل يوم مرة فلم آكل ذلك اليوم شيئا وراعت مائدته فلما وضعت
المائدة قمت فقال الموكل : إلى أين ؟ قلت : إلى مائدة الوزير . فما قدر
أن يمنعي وجاء معي فلما رأني أبو جعفر أكبر ذلك وتهلل وجهه وقال :
إلى عندي ياسيدي إلى عندي . وأجلسني إلى جنبه وأقبلت آكل وأنسط

(١) يظهر ان هذه حكاية ذهب صدرها ويوجد في الفخرى ما يشبهها

أخبرني غير واحد من أصحابنا أن أبا محمد عبد الله بن عباس
الرامهرمزي المتكلم أخبره قال : أردت الانصراف من عند أبي علي
الجبائي الى بلدى فجنته مودعاً فقال لى : يا أبا محمد لا تخرج اليوم فان
المنجمين يقولون ان من سافر فى مثله غرق فأقم إلى يوم كذا وكذا فإنه
محمود عندهم . فقلت : أيها الشيخ مع ما تعتقده فى قولهم كيف تجبى بهذا ؟
فقال : يا أبا محمد لو أخبرنا مخبر ونحن فى طريق أن فيه سبعاً أليس كان
يجب فى الحكمة علينا ألا نسلك ذلك الطريق إذا قدرنا على سلوك غيره
وإن كان ممن يجوز عليه الكذب ؟ قلت : نعم . قال : فهذا مثله وقد يجوز
أن يكون الله تعالى أجرى العادات بأن تكون الكواكب إذا نزلت
هذه المواضع حدث كذا والأخذ بالحزم أولى . قال : فأخرت خروجى
إلى اليوم الذى قاله .

حدثني أبو الحسين الأزرق قال : حدثني أبو هاشم الخباز قال : كان
أبو علي من أحنق الناس بالنجوم فولد فى جواره مولود فقتل أبوه : إني
أحب أن تأخذ طالعه . قال : وكان ليلاً فأخذ الاضطراب وعمل مولده
وحكم له بأشياء صحت كلها بعد ذلك .

جرى الحديث يوماً بحضرة أبي فى البخل والبخل واختصاص
الملوك بذلك وكان أبو الحسن مطهر بن إسحاق بن يوسف الالهوازي
الشاهد حاضراً فقال : دخلت يوماً الى ابي عبد الله البريدى وقد نصبت
مائتته فاستدعاني إليها وكنت جائعاً فأقبلت آكل منبسطاً فقدم جدى
مشوى حار فضربت يدي إلى كتفه فاكلتها ثم قدم بعده الوان أخر

وقال أبو معشر : هو شيء من الحيوان . فقال الموفق للآخر : أحسنت .
وقال لأبي معشر : أخطأت . ورمى من يده تفاعحة وأبو معشر قائم فتحير
وعاود النظر في الزائجة ساعة ثم عدا يسعى نحو التفاعحة حتى أخذها فكسرها
ثم قال : الله أكبر وقدماها إلى الموفق فإذا هي تنغش بالدود فهال الموفق
مارآه من إصابته وأمر له بمجازرة عظيمة^(١) . وهذا بعيد دقيق ولكن مما قد
شاهدته من بعض صحة أحكام النجوم كفاية . هذا أبي حوّل مولد نفسه
السنة التي مات فيها فقال لنا : هي سنة قطع على مذهب المنجمين وكتب
بذلك إلى بغداد إلى أبي الحسن بن البهلول القاضي صهره ينمى نفسه إليه ويوصيه
فلما اعتل أدنى علة وقبل أن تتحكم علته أخرج التحويل ونظر فيه طويلاً وأنا
حاضر فبكى وأطبقة واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيته التي مات عنها وأشهد
فيها من يومه جءه أبو القاسم غلام زحل المنجم فأخذ يطيب نفسه ويورد
عليه شكوكا فقال : يا أبا القاسم لست ممن يخفى هذا عليه فأنسبك إلى
غلط ولا أنا ممن يجوز عليه هذا فتستغفلنى . وجلس فواقفه على الموضع
الذى خافه ثم قال له أبو دعى من هذا بيننا شك في أنه إذا كان يوم
الثلاثاء العصر لسبع بقين من الشهر فإنه ساعة قطع عندهم ؟ فأمسك أبو القاسم
واستحيا منه أن يقول نعم فأمسك أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادماً لأبي
وبكى أبي طويلاً ثم قال يا غلام الطست جءه به فغسل التحويل وقطعه
وودع أبا القاسم توديع مفارق فلما كان في ذلك اليوم العصر بعينه مات
كما قال .

(١) هذه الحكاية نقلها ياقوت إلى معجم الأدباء ٥ : ٣٤٢

فقلت : فهل يطلق أم لا ؟ فنظرت أطلب شيئاً أزجره فرأيت السقاء قد صب الماء وهو يخرج من قربته فقلت إنكم تمضون وقد أطلق فهل أصبت ؟ فقال له أبو معشر : نعم وفرجت عني أيضاً اعطوه الدنانير واصرفوه فأبى أن يأخذ فما تركه أبو معشر حتى أخذها وخرج فطرح نفسه كالمستريح من امر عظيم ووضع يده على فؤاده وقال فرج عني .

حدثني أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحرث الحارثي قال : حدثني أبي قال : كنت أحد من يعمل في خزائن السلاح فكنت قائماً بحضرة الموفق في عسكره لقتال صاحب الزنج وبحضرته أبو معشر ومنجم آخر أسماه إلى وأُسيته أنا فقال لهما : خذا الطالع في شيء أضمرته منذ البارحة أسألكما عنه وأمتحنكما به وأخرجاً ضميري . فأخذا الطالع وعملا الزائجة وقالا جميعاً : تسألنا عن حمل ليس لأنسى . فقال : هو كذلك فما هو ؟ قال : ففكرنا طويلاً ثم قالوا : عن حمل البقرة . قال : هو كذلك فما تلد ؟ قالوا جميعاً ثور . قال : فما شيتيه ؟ فقال أبو معشر : أسود في جبهته بياض . وقال الآخر : أسود وفي ذنبه بياض . قال الموفق : ترون ما أجسر هؤلاء أحضروا البقرة فأحضرت وهي مقرب فقال : اذبجوها فذبجت وشق بطنها وأخرج منها ثور صغير أسود أبيض طرف الذنب وقد التف ذنبه فصار على جبهته فتعجب الموفق ومن حضره من ذلك عجباً شديداً وأُسنى جائزتهما .

قال : وحدثني أبي قال : كنت أيضاً بحضرة الموفق فأحضر أبا معشر هذا وهذا المنجم فقال لهما : معي خبيء فما هو ؟ فقال أحدهما بعد أن أخذ الطالع وعمل الزائجة وفكر طويلاً وقال : هو شيء من الفاكهة .

له : أنظر في نجمنا وأى شئ هو وفى أى شئ هو ذا نمضى . ففكر الزراق ساعة ثم قال : تمضون فى أمر محبوس . قال : فانتقع لون أبى معشر^(١) ودهش وتلجلج لسانه : فقلت أنا له : فهل يطلق أم لا ؟ قال : تمضون وقد أطلق . فقال لى أبو معشر : انطلق بنا فهذا اتفاق ظريف وهووس . فسرنا وجئنا إلى صاحب الشرطة فسألناه فى أمر الرجل فقال : الساعة والله وردت عليّ رقعة فلان يسألنى فى أمره فأطلقته . فنهض أبو معشر مبادراً وقال : إن لم أعرف من أين أصاب الزراق فى حكمه ذهب عقلى وخرقت كسبى واعتدت بطلان النجوم ارجع بنا إليه . قال : فرجعنا فوجدناه فى مكانه فى الطريق فقال له أبو معشر : قم بنا فأخذناه وحمله إلى داره وقال له : أتعرفنى ؟ قال : لا . قال : أنا أبو معشر . فقبل الزراق يده وقال : أستاذنا وقد سمعت باسمك . قال : دعنى من ذلك لك خمسة دنانير عينا وأصدقنى من أين حكمت لنا بما حكمت به . قال : أنا والله أصدقك ولا أجسر أن آخذ منك شيئا وأنت أستاذ هذه الصناعة أعلم أنى لا أحسن من النجوم شيئا وإنما أنا أزرق وأهذى على النساء وبين يدي هذا التخت والاصطرلاب والتقويم للحاق حيلة ولكن قد صحبت أهل البوادي فى وقت من الاوقات وتعلمت منهم الزجر والفأل والعيافة يعتقدون إذا سئلوا عن شئ أن ينظروا إلى أول ما تقع عليه عيونهم فيستخرجون منه معنى يجعلونه لما يسألون عنه وما يحكمون عنه . فلما سألتنى فى أى شئ نمضى تلجلجت فوقعت عيني على سقاء معه ماء محبوس فى قربته فقلت : محبوس .

الحاير ليزور فاجتاز في طريقه بموضع قريب من الأعراب وهم نزول خط
رحله ونزل وجلس يأكل هو وغلاماه فوقف به بعض أولئك الأعراب
يستطعم . قال : فقلت له : اجلس حتى نأكل ونُدفع اليك نصيباً فجلس
قريباً منا فاذا بغراب قد طار قريباً منه وصاح صياحاً متتابعاً فقام الأعرابي
يرجعه ويقول : كذبت يا عدو الله كذبت يا عدو الله . قال : فقلنا له :
ما الخبر يا أعرابي ؟ قال : فقال : يقول الغراب إنكم ستقتلونني وأنتم تريدون
أن تطعموني فكذبت في خبره . قال : فاستحمتناه وتمننا أكلنا وكان في
السفرة سكين يزمورد^(١) عظيمة حادة أنسيناها في السفرة فجمعنا السفرة
بما فيها وقلنا للأعرابي : خذها وفرغ ما فيها واردد السفرة . فجمعها بما فيها
وشالها فضرب بها ظهره بحميمة من فرحه بتمكيننا إياه من جميع ما فيها
فخرجت السكين بحدتها فدخلت بين كتفيه فخر صريعاً يصرخ : صدق
الغراب لعنه الله مت ورب الكعبة . فخشينا أن يصير لنا مع الأعراب
قصة فتركنا السفرة وقمنا بمادرتين فاختلطنا بالقافلة حتى لا نعرف وتركناه
يتشحط في دماله ولا نعلم هل عاش أو مات .

حدثني أبو الحسين قال : حدثنا سليمان بن الحسن قال : قال لي
أبو معشر المنجم وقد جرى حديث الزراقين : رأيت أعجب شيء وهو أن
رجلاً في جوارى بسر من رأى اعتقل فأثاني أبوه وكان صديقاً لي فقال :
تركب معي إلى صاحب الشرطة نسأله إطلاقه . فركبت فاجتزنا بزراق
على الطريق فقلت هل لك في أن تلهي بهذا الزراق ؟ فقال افعل . فقلت

ينعب على حائط دار ابى الحسين قاضى القضاة فقال للنفسين اللذين خلفه :
إن هذا الغراب ليخبرنى بموت صاحب الدار . فقال له الآخر : أجل إنه
لموت بعد ثلاثة أيام . فقال الآخر : نعم ويدفن فى داره . فقلت : أسمعت
ما قالوا ؟ قال : نعم هؤلاء أجهل قوم . وافترقنا فلما كان فى ليلة اليوم
الرابع سحرا ارتفعت الصيحة بموت قاضى القضاة أبى الحسين فذكرت
قول الأعرابى وعجبت وحضرنا جنازته ودفن فى داره . فقلت لابی طاهر
رأيت أعجب من وقوع مقالة الاعرابى بينها ايش هذا ؟ فقال : لا والله
ما أدرى ولكن تعال حتى نسأل عنهم ونقصدهم ونستخبر منهم من أين
لهم ذلك . فقال : كنا أياما نسأل عنهم وعن حلتهم من البلد فلا نخبر إلى
أن أخبرونا أنهم نزول حلة من بنى أسد باب حرب فقصدناهم فقلنا : هل
فيكم من يبصر الزجر ؟ فقالوا : أجل ثلاثة أخوة فى آخر الحى يعرفون بينى
القائف . ودلونا على أخبيتهم فجئنا فصادفنا أصحابنا بأعيانهم ولم يعرفونا
فأخبرناهم بما سمعناه منهم وسألناهم عنه فقالوا : إنا وغيرنا نعرف نعييا للغراب
بعينه لا ينعبه فى موضع إلامات ساكنه مجربا على قديم السنين فى
البوادي لا يخطئون ورأينا ذلك الغراب نعب ذلك النعب الذى نعرفه .
فقلنا للآخر : كيف قلت إنه يموت بعد ثلاثة أيام ؟ قال : كان ينعب ثلاثا
متتابات ثم يسكت ثم ينعب قلنا على هذا فحكمت بذلك . فقلت للآخر :
وكيف قلت إنه يدفن فى داره ؟ قال : رأيت الغراب يحفر الحائط بمنقاره
ورجليه ويحشو على نفسه التراب فقلت إنه فى داره .

حدثنا ابو الحسين بن عياش قال : أخبرنى صديق لى أنه خرج إلى

فقال المنجم : ما تقول ؟ قال : هذا جهل . فينا نحن كذلك إذ طار زنبور على رأس إسماعيل وغلام يذب عنه ف ضرب الزنبور فقتله فقام الأعرابي وقال : قتلت والله المزمز ووليت مكانه ولى حق البشارة . وجعل يرقص وإسماعيل يسكنه فنحن كذلك إذ وقعت الصيحة بنجر الولادة فقال : أنظروا ما المولود . فقالوا ذكر . فسر إسماعيل بذلك سروراً شديداً لأصابة العائف في زجره وترجية الوزارة وهلاك صاعد ووهب للأعرابي شيئاً وصرفه فما مضى على هذا إلا دون شهر حتى استدعى الموفق إسماعيل وقلده الوزارة وسلم إليه صاعداً . وذكر حديث الأعرابي فطلبه جأؤوا به فقال : خبرني كيف قلت ماقلته ذلك اليوم وليس لك علم الغيب ولا هذا مما يخرج في نجوم . فقال : نحن إنما نتفاءل ونزجر الطير ونعيف ما نراه فسألني أولاً لآئى شئ طلبت فتأملت الدار فوقعت عيني على برادة عليها كيزان معلقة في أعلاها . فقلت : حمل . فقلت لى : أصبت . ثم قلت لى : أذكر أم أنثى ؟ فتأملت فرأيت فوق البرادة عصفوراً ذكراً فقلت : ذكر . ثم طار الزنبور عليك وهو مخصر والنصارى متخضرون بالزنانير والزنبور عدو أراد أن يلمسك وصاعد نصراني الأصل وهو غدوك فزجرت أن الزنبور عدوك وأن الغلام لما قتله أنك ستقتله . قال : فوهب له شيئاً صالحاً ثم صرفه .

وحدثنا أبو الحسين قال : اجتزت أنا وأبو طاهر بن نصر القاضي بشارع القاضي نقصد دار قاضي القضاة أبي الحسين في علة التي مات فيها لنعوده فاذا بثلاثة من الأعراب ركبنا فشال أحدهم رأسه وقد سمع غراباً

عندك أنت مثل هذا يا أبا مشكاحل ؟ فتنكر المكتفى وتسرّوهم به فأومى إليه العباس بالامساك فأمسك وترك العقد ابن الجصاص بحضرة الخليفة وخرج . فقال المكتفى للعباس : بالله ويخفى عليك هذه الكنية يلقبني بها العامة ؟ فقال : لا والله يامولانا ولكن هذا رجل رقيق عامى والعامة إذا افتخرت على إنسان قالت له مثل هذا وقد ربحت بهذه الكلمة العقد بلا ثمن فدعنى وابن الجصاص فإن جاءك فأحلّه عليّ . فلما كان بعد أيام جاء ابن الجصاص فأذكر المكتفى بثن العقد فقال له : الق العباس . فجاء إليه فطالبه بالمال فقال : ويحك تطالب بثن العقد بعد ما أقيت الخليفة بسبة واجترأت عليه بما لا يجوز أن يجترأ بمثله على بعض غلمانة لا تتكلم بهذا فتولد لنفسك منه ما لا تحتاج إليه . فأمسك ابن الجصاص وذهب منه العقد والمال بالكلمة .

حدثني أبو الحسين ابن عياش قال : أخبرني من أثق به أن اسمعيل ابن بلبل لما قصده صاعد لزم داره وكان له حمل قد قرب وضعه فقال : أطلبوا لى منجماً يأخذ مولده . فأتى به فقال له بعض من حضر : وما تصنع أيدك الله بالنجوم ؟ ها هنا أعرابي عارف ^(١) ليس فى الدنيا أحذق منه فقال : يحضر . فأسماء الرجل فطلب وجاء فلما دخل قال له اسمعيل : تدرى لأى شئ طلبناك ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ فأدار عينه فى الدار فقال : لتسألنى عن حمل . وقد كان اسمعيل أوصى ألا يعرف فتعجب من ذلك فقال له : فأى شئ هو أذكر أم أنثى ؟ فأدار عينه فى الدار فقال : ذكر .

لنا شيء إلا على يديه وكان مشغولاً به فكسب فيه الأموال وحصل يأكل معه ويشاربه إذا أراد الشرب فينام ندماءه كلهم غيره فولد له ذلك أنساً تاماً فكان يخرج إليه على النبذ بأسراره ويحادثه ويأنس به ويرد إليه أمر داره والاشراف على جميع نفقاته وحاله تقوى وتزايد حتى عرض له تزويج ابنته بالمعتضد فأنفذه في الرسالة حتى عقد الإملاك ثم أجرى أمر الجهاز على يده جرف الأموال بغير حساب .

قال : فأخبرني بعض أصحابه أنه لحق بعض الفرش الذي كان في جهاز قطر الندى ابنة خمارويه مطر فيما بين دمشق والرملة فنزلها ابن الجصاص وكتب إليه يعرفه الخبر ويستأذنه في تطرية ذلك فأذن له فيه فأقام شهرين بهذا السبب وطرى الفرش فاحتسب في النفقة ثلاثين ألف دينار .

قال : ولما حصلت قطر الندى ببغداد أضاق خمارويه إضاقة شديدة لأنه افتقر بما حمله معها وخرج من جميع نعمته حتى طلب شمعة فاحتبست عليه ساعة إلى أن احتيلت فقال : لعن الله ابن الجصاص افقرني في السر . قال : ومن عجيب أخبار ابن الجصاص انه طلب منه المكتفى عقداً حسناً من فاخر الجوهر يبتاعه منه فقال : كم تبلغ يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثلاثين ألف دينار . قال : لا تصيب كما تريد واسكن عندى عقد فيه ستون حبة ولا أبيعك إياه بأقل من ستين ألف دينار فإن بلغت حملته . فقال : افعل . فحمله اليه والعباس بن الحسين قائم بين يديه فعرضه عليه فمال المكتفى أمره وحسنه وقال : ما رأيت مثل هذا قط . فقال : ومن اين

التجار ولم ازل اشترى ما قدرت عليه إلى ان حصلت مائة حبة أشكال في النوع الذى ارادته وجئت بها عشياً فقلت : إن خرط هذا يحتاج إلى زمان وإنظار وقد خرطنا اليوم ما قدرنا عليه وهو هذا (ودفعت إليهم المجتمع) والباقي يخرط فى أيام . ففقتعت بذلك وارتضت الحب وخرجت فما زلت أياماً فى طلب الباقي حتى اجتمع خملت إليهم مائتى حبة قامت عليّ بأتمان قريبة تكون دون مائة الف درهم أو حوالىها وحصلت جوهرًا بمائتى ألف دينار ثم لزممت دهليزهم وأخذت لنفسى غرفة كانت فيه جعلتها مسكنى . قال : فلحقنى من هذا أكثر مما يحصى حتى كثرت النعمة وانتهت إلى ما استفاض خبره .

حدثنى أبو الحسين بن عياش قال : سمعت مشايخنا يقولون ان أصل اختصاص ابن الجصاص بأبى الجيش ابن طولون أن أبا الجيش كان يشرب إذا قعد للشرب أربعين رطلاً من نبيذ مصر المعروف بالشيروى قال : ومن يشرب منه رطلاً يتقدر أن يشرب من غيره أرطلاً . وكان لا يصبر معه أحد من ندمائه ويسكرون قبله فيصعب ذلك عليه ويبقى وحده فكان يتطلب المحيدين للشرب فوصف له ابن الجصاص وهو إذ ذاك يتجر فى الجوهر فاستدعاه فأدخل إليه خفين مثل بين يديه قبل الأرض ولم يكن الناس يعرفون ذلك فاستطرف خمارويه حسن أدبه . قال : أبو من ؟ قال : عبد الأمير الحسين . فقال هذه اثنتين . فواكاه وشاربه قدحاً وقدحاً حتى سكر خمارويه ثم شرب بعده رطلاً فبلغ ذلك خمارويه من غد فأدخله وأجازه إجازة عظيمة وقال : ما صناعتك ؟ قال : الجوهر . قال : لا يتناع

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي يتقاصر التفصيل عن تفصيله
ضمنت تأميلي نداه فرده جذلان من سفر الظنون بسوله
وأفقت حين بلغت ورد نواله عن ورد ممتع النوال بخيله
فالغيث يغبطني على إنعامه والدهر يحسدني على تأميله
وعلمى بأن أقرب مؤمليه أيده الله إليه . وأوجبهم حرمة عليه .
أشدهم استزادة لنعمه . وأكثرم تسجبا على كرمه . بعثني على التقرب
إلى قلبه بالسؤال . ومناجاة كرمه بلسان الآمال .

إن تعلم الايام موضع عبده من عزه ومكانه من رائه
بشواهد الخلع التي يغدو بها متطاولاً شرفاً على نظرائه
فمن العجائب حبس توقيع له وموقع التوقيع من شفعائه
فعل إن شاء الله تعالى .

حدثني أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعلان قال : حدثني أبو علي
أحمد بن الحسين بن عبد الله الجوهرى بن الجصاص قال : قال لى أبى :
كان بدء إكشارى أننى كنت فى دهليز حرم أبى الجيش خمارويه بن
أحمد بن طولون وكنت اتوكل له ولهم فى ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاج
إليه وما كنت أكاد افارق الدهليز لاختصاصى بهم فخرجت إلى قهرمانة
لهم فى بعض الأيام ومعها عقد جوهر فيه مائتا حبة لم أر قبله احسن منه
ولا اخفر تساوى كل حبة الف دينار عندى فقالت : نحتاج ان تخرط هذه
حتى تصغر فتجعل لأربع عشرات اللعب . فكذت ان اطيعر واخذتها
وقلت : السمع والطاعة وخرجت فى الحال مسروراً وأنا على وجهى فجمعت

يا عبقة بن عبيد حوشيت من كل عيب (ليك يا مختصر وأنت حوشيت من السوء)

وأبعد الله قوماً رموك عندى بعيب
قالوا بأنك تهوى زبيدة بن شعيب (كذبوا)
فقلت هذا محال أصبوة بعد شيب

(أحسن الله جزاءك وقلت ما يشبهك وربما كانت)

لقد هتقم بشيخ نقي ذيل وجيب (بئس ما فعلوا والحمد لله على ذلك)
حدثني أبو الفرج البغاء قال : تأخر عني رسم من الكسوة على
الامير سيف الدولة وكان أثر الاشياء عنده وأنفقها عليه وأجها إليه أن يسأل
فيعطى وان يستزاد فيزيد وأن يطالب وينظر حتى كان دائماً يعزل للانسان
شيئاً يريد هبته له خلف ظهره ويقول أريد أعطى فلاناً هذا فيخرج من
يخضر فيحدث^(١) للرجل فيخضر ولا يعطيه فيقول له الرجل ايش وراء
مسورة مولانا؟ فيقول وايش فضولك؟ فيقول هذا والله لى عزله مولانا.
فيقول لا . فيقول بلى . ويأخذه ويجاذبه عليه فاذا فعل ذلك أعطاه وزاده
شيئاً آخر يلتذ هذا . قال فيكتب إليه أستحته على رسمى فى الكسوة :

الرضا بالمأمول أطال الله بقاء سيدنا الامير سيف الدولة دليل على
همة الآمل . ومحل السؤال فى نفسه مترجم عن نفاسة نفس السائل . إذ
كان الناس من التخلق بالكرم . والتفاضل بالهجم فى منازل غير متقاربة .
ومراتب غير متناسبة . وشرف أدبه . فى شرف طلبه .

ودب صبغ اللهب فيه بتض — ريج كصبغ الشقائق الضرج
ظننت شمس الضحى به انكسفت للخلق في قبة من السبيح
وأنشدني لنفسه في صفة شمعة :

وصفر كأطراف العوالى قدودها قيام على أعلى كراس من الصفر
تلبس من شمس الأصيل غلاثلا فأشرقن في الظماء بالخلع الصفر
عرائس يحلوها الدجى لماتها وتحيا إذا أذرت دموعا من التبر
إذا ضربت أعناقها في رضى الدجى أعارته من أنوارها خلع الفجر
تبكى على أحشائها بجسومها فأدمعها أجسامها أبداً تجرى
علاها ضياء عامل في حياتها كما تعمل الأيام في قصر العمر
أنشدني غير واحد قالوا أنشدنا سرى بن أحمد الرفاء لنفسه :

وذى غنج يرنو بمقلة جوذر متى يعد فيه خالع العذر يعذر
له فوق ورد الخد خال كأنه إذا احمر ورد الخد نقطة عنبر
أخبرني جماعة من أهل عصرنا من المتأدبين ببغداد أن أبا الحسن
محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي دخل إلى قاضى القضاة أبى السائب
عتبة بن عبيد الله وهو جالس للحكم فكتب رقعة كالقصص ودفعها إليه
وقد كان مدحه فتأخرت صلته عنه فلما قرأها أبو السائب لم يبين في وجهه
غضب ولا تكبر ووقع فيها شيئاً بخطه وقال أين رافع هذه القصة ؟ فقام
ابن سكرة فدفعها إليه فأخذها مقدراً أن فيها ما يستكف لسانه عنه من
صلة أو بر فلما قرأها استجيا وانصرف فقرئت الرقعة فاذا ابتداء بخط
ابن سكرة شعر والجواب بخط أبى السائب نثر كما نسختها هاهنا :

على شعر في عارضيه كأنما زرعن المها اجفانها فيه والسقما
 كأن الليالي قد عددن سنينه فصيرن في خديه داراتها رقما
 وأنشدني لنفسه يصف مجدورا :

قد رق غصن من فوق دعص نقا لم أصغ في حبه إلى لاح
 له لحاظ مرضى بلا سقم سكرى من الغنج تسكر الصاحي
 جدر فاعتاض من توردده بصفرة في ملثم ضاح
 كأنه فوق خده حجب يلعب بعد المزاج في الراح
 وأنشدني لنفسه في كانون :

كأن تأجيج كانوننا تكاثف نور من العصفور
 وأحدث إخماده زرقة تأجيج في مدمج أحمر
 كبركة خمر بحافاتها بقايا تفتح لينوفر
 وأنشدني لنفسه في كانون :

أنظر إلى كانوننا يضحك من غير فرح
 حكمة من شفق دجها قوس قزح

وحدثني أبو الفرج البيهقي قال كنت بحضرة أبي العشائر ابن حمدان
 وبين يديه كانون قد عمل النار فيه في باطن خمة فعملت في الحال وأنشدته:
 ومجلس حل من يحل به من المعالي في أرفع الدرج
 أمسى فدام الكانون فيه لنا أكثر أنس النفوس والمهج
 يبدى لنا ألسنا كألسنة الحيات من ثابت ومختلج
 لما بدا الفحم فيه اسود كالليل وبث الشرار كالسرج

أُسمت فتاة العير حمل العلا وقد
ومشيتها تحت الشريعة والقضا
فيا عجباً ان لم يسخ رسغها القضا
ومن ذا يطيق الطود حلماً اذا رسي
نزلت بدر منك لم يخف نوره
وقت سليم الجسم يدعو لك الثرى
نهني بك المحراب والآى والتقى
أنشدنى أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصرورى لنفسه يصف زراقة
النفط :

وصفراء فى فيها لعاب كلونها
يجلله من بطنها فى خروجه
لها ذنب فى رأسه ذنب له
يمج بروقا بين ليلين من حشا
تخوض الوغى عريانة لتخيفه
أنشدنى لنفسه :

وناولنى فى أسفل الكأس فضلة
كنرجسة فى الروض تنو بمقلة
وأنشدنى لنفسه فى صفة إبريق وساق :

ولاح لنا الابريق من كف شادن
كمحوظة مدت يدا دون وجهها
له وجنة من لحظنا أبداً تدا
وأخرى بهار دت على رأسها الكما

إقبال . وأجل حال . بعد أن أجفل العدو خذله الله مستطيلاً مدة إقامته .
 وشاكافى إحراز سلامته . متوهماً أن الخيول تطلبه . والرماح تتبعه .
 ولا يتعرج على ضعفاء ساقته . ولا يلوى على أخص من فى جملة .
 وتقدمنا بمكاتبة أو أيائنا وكافة رعيتنا بذكر ما هياؤه الله عز وجل لنا من
 تظاهر النعم . وتواتر القسم . وليشبهوا ذلك على منابر الصلوات . ويعلموه
 بالرسائل والمكاتبات . إذ كان ما يتوجه بالله سبحانه من تتابع المنح
 وتواصل العوارف عائداً على الملة . ومساوياً بالنفع للأمة . فالحمد لله الذى
 اختصنا من اختياره . وأفرزنا بآثاره . بما رآنا له أهلاً لخلافة نبيه صلى الله
 عليه وسلم من حراسة أمته . واعزاز كلمته . وإليه نرغب فى توفيقنا
 للاعتراف بعوارفه . لما يكون به النعم محروسة والموهبة محفوظة لا ينقصها
 كفران . ولا يرتجى عدوان . إن شاء الله تعالى .

حدثني أبى قال : حدثني المعوج قال : كبا الفرس بدر الحمى
 واقتصد فدخلت إليه فأنشدته أبياتاً عملتها فى الحال :

لا ذنب للطرف ان زلت قوائمه وليس يلحقه من عائب دنس
 حملت بأساً وجوداً فوقه وندى وليس يقوى بهذا كاله الفرس
 قالوا افتصدت فما نفس العلا معها خوفاً عليك ولا نفس لها نفس
 كيف الطيب دعا كفاً^(١) يقبلها ويطلب الرزق منها حين يحتبس
 فأمر لى بخمسة آلاف درهم فأخذتها وانصرفت وكنت سقطت
 من بغلة فعمل أبو القاسم عبيد الله قصيدة أنشدنيها منها

إلى أن حل بفنائنا . ملقيا مقاليد امره إلى الاستسلام . وآخذا من وفائنا بأوكد ذمام . وافتتحنا الفداء يوم السبت غرة رجب الذى هو غرة الأشهر الحرم وقد عرف الله تعالى المسلمين ما استودعناه من صالح الأعمال . وزكى الأفعال . تعجل البركات . وتناصر الخيرات . فاستمر بأكمل هدى . وأنجح سعى . وبسط قدرة واعم بصيرة واعز سلطان . واوضح برهان . وكلمة الله هى العليا . وكلمة الذين كفروا السفلى . والله عزيز حكيم ولم تزل الحال فى ذلك جارية على أحكم نظام . واحسن التثام . إلى أن استنقذ الله بنا من كاد تطاول الأسر يستغويه . والاياس من الخلاص أن يرديه . وهم على أفضل ما عهدناهم عليه من حسن اليقين . والتمسك بعصم الدين . وسارعنا من فادينا من البطارقة المذكورين . والزاورة المشهورين بأجسام ضائعة . وقلوب قاطنة . تلقت الى ما خلفته من غامر تفضلنا . وألفته من الطاف تطولنا . فهم بعد الفداء موثقون فى أسر الاحسان . ومع الخلاص مقرنون برق التطول والامتنان . ولما أحضرونا من أسروه من الأعمال النازحة . والبدان الشاسعة . لم نستخر ادخار الأموال عن خلاصهم ولا الشح بها عن تعجيل فكاهم فابتعناهم من الأئمان بأعظمها . ومن الأموال بأجسمها . ولم نطع فى ادخار الذهب والفضة المقرون بمخاوف الوعيد . وفضيع التهديد . أمر الشك فى ربح الصفقة بمتاجرة الله تعالى واثقين بماجل الخلف وأجل الجزاء وذلك الفوز العظيم . وتداركنا من عمارة أحوالهم ما كان محتلا بمعاناة الفقر . ومتهافتا بتطاول الأسر . وانقلبنا قافلين بأسعد منقلب . وأربح مكتسب . وأتم

أيديهم من الموحدين . ومن في رقهم من المسلمين . أفضل كاسب لعاجل الشكر . وأوفى ضامن لأجل الأجر . فأنفذنا الى سائر الأقطار . وبثنا الأصحاب في جميع الأمصار . لاحصاء السبي واتزاعه . والتوفر على جمعه وابتياعه . من خالص ملكنا وخاص مالنا من غير مساحمة لأحد من أهل زماننا في معاونتنا بغير الثياب ^(١) التي شركناهم بها في نيل الحمد وكسب المثوبة وأضفناهم الى من ملكناهم بنجم الرماح . وأحرزناه بقهر الخيل والصفاح . من أكبر البطارقة وأنجاب الزرارة ووجوه الأعلاج وأنجاد الأنجاس ولم يزل من سلف قبلنا من الملوك وتقدمنا من السلاطين في عقد الهدن واقامة الأفدية يرغب الى سائر نظرائه وذوى البيعة من أتباعه والمكنة من رعيته في معاونته بالأحوال . ومعاضدته ببذل الأموال . وأنى الله لنا إلا التفرد بأجر ذلك وشكره . وحميد أثره وجميل ذكره . وفدينا ^(٢) أكبر الغلمان وثقات الخدم لتسييرهم بأعم رأفة وأتم رفيق حسب ما أمرنا به من ترفيه السبي ومراعاة الأسرى إلى أن عبرنا بجمعهم من الفرات بجيـث سألنا صاحبهم الأنجذاب اليه . ورغب إلينا في النزول عليه . تأنساً بمجاورة الدروب المستصعبة . وحذراً من مفارقة الجبال المستعصمة . فلما اقتضى قربنا سرعة المسير . وتنجز دنونا إمضاء الأمر بعد التقرير . أقدم مراتباً بإقدامه . وسار متهماً عواقب رأيه واعتزاه . بجموع يفرق الجزع أراءها . وقلوب يشنت الخوف أهواءها . وافكار مكدودة بالوجل . ومنن مستعبدة لأوامر الفشل . يحسبون كل صيحة عليهم « هم العدو فاحذرهم »

(١) كذا بالأصل والمعنى غير واضح (٢) لعله وندبنا

باحراز فضله . بعد ان استراحت فيه النيات الى الغفلة ومطاوعة الشح
 ومساكنة الراحة ويظنون بالله الظنون فالحمد لله حمداً نستديم بالاخلاص
 فيه مد عوارفه . وأياديه وصلى الله على سيدنا محمد وآله ولما كانت منح
 الله تعالى لدينا . ونعمه المتظاهرة علينا . أعظم من ان تطاول ببناء . وأجل
 من ان تقابل بجزاء . رأينا الاعتراف بما احرزناه من سالفها . والاشارة بما
 قابلناه من مستأنفها . أقدر على استزادتها . وأولى بحراستها . ولم نزل والله
 المنة منذ عرفنا ما ندبنا اليه . وتأملنا ما حضضنا عليه . من الخوف لجهاد
 والتعب لقتال المخالفين . بين رأى يتضمن التوفيق عواقبه . وعزم يصرع
 الاقبال مغالبه . وفتح يجمع الاسلام اثره . وبلاء تتداول الأيام خبره .
 ولا ننصرف عن عزم الا الى يقين . ولا تتشاغل بنظر إلا الى تدبير .
 ولا نعتد بالمال إلا ما أنفقناه . ولا نسر بذخر إلا ما انفدناه . فيما حرس
 الأمة . وحصن الملة . وبث العدل . وجمع الشمل . الى أن استعبدنا ملوكهم
 بالأسر . وحبسنا ذرياتهم بكتائب النصر . وأوحشنا المراتب من اربابها .
 وأسفرت لنا الحصون عن اصحابها . وجعنا ملكهم بصهره وابن أخته
 قهرا . وأثكلنا اخاه مرأمة وصغرا . فلما أدلنا الحق من الضلال . وأعاده
 الله تعالى بنا من العز الى اشرف حال . عدلت السيوف عن دماءهم الى
 أغمارها . واستبدلت اصدارها بإيرادها . ونصت الرماح أسننها . وطاوعت
 الخيل أعنتها . واستماحتنا الأعداء الى المواعدة . ورغبت الينا بالتضرع في
 المسألة . واستفتحوا ذلك بطلب الفداء الذي لا يسعنا الامتناع منه . ولا
 نجد تأولاً في الاضراب عنه . فرأينا بعد الاثخان في الارض فك من في

إلى قراءته .

حدثني أبو الحسن قال : سمعت أبا محمد السليمانى الهاشمى المعروف بعباد وقد جرى ذكر البربهارى بحضرته فقال : وقف يوماً للقاهر فقال يا أمير المؤمنين أهلك الهاشميين . فقال القاهر : افعل وانما أراد أن يذكره بهم ويقول أهلك . ورأى عينا هائجة فقال لو استعمل لها الخضرط عوفيت . فقيل له : ليس هو الخضرط فقال : نعم غلطت هو الخضرط . فسكتوا عنه وانما أراد الحصرم .

حدثني أبو الفرج البيهقي قال : لما أقام سيف الدولة الفداء بشاطيء الفرات في رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة لزمه عليه خمسمائة ألف دينار في شراء الاسارى والاموال التي وصلهم ورم بها أحوالهم وأخرج جميع ذلك من ماله صبراً واحتساباً وطلباً للثواب والذكر غير أن يعاونه أحد من الملوك عليه ولا غيرهم وكان ذلك خاتم أعماله الحسنة وأفعاله الشريفة التي تجاوز الوصف وتفوق العد فلما فرغ من ذلك تقدم الى كل من بحضرته في الوقت من أهل الكتابة أن ينشئ كل واحد منهم نسخة كتاب ليكتب عنه الى من في البلدان من الجيش والرعية بخبر تمام الفداء ووصف الحال فيه فكتبت عنه في ذلك : كتابنا تولاكم الله بكفايته وحرسنا فيكم بناظر رعايته من معسكرنا المعروفة^(١) بالمعلقة من شاطيء الفرات بعد امضائنا أمر الفداء الذي اختصنا الله به بشرف ذكره . وانتخبنا للنهوض بمعظم أمره . وولينا بالمعونة في تحمل ثقله . ووفقنا للفوز

بينهما ولعبا فتوالى اللعب على جحظة من الرجل بأن تجيء الفصوص على ما يريد الرجل من الاعداد فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش إلى السماء وقال كأنه يخاطب الله تعالى : لعمري إني أستحق هذا إني أشبع من أجمته. وحدثني قال : سمعت بعض شيوخنا يحكون أن رجلا مؤذنا عادى محتسبا فأحضره فقال له : أى شئ بينكما ^(١) مما يوجب استدعاءك لى ؟ قال : أريد أن تعرفنى وقت الصلاة فإن كنت عالما بها وإلا لم أدعك تؤذن مع الناس بالصلاة فى غير وقتها . فوجده غير قيم بذلك فمنعه الأذان وحدثني قال : حدثني جماعة عن أبى بكر بن دريد أنه قال : كان أبو عثمان الأشنادانى معلمى وكان عمى الحسين بن دريد يتولى تربيتى فاذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه فدخل عمى يوما وأبو عثمان المعلم يرويني قصيدة الحرث بن حنزة التى أولها :

أذنتنا بينها أسماء

فقال لى عمى : إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا . ثم دعا بالمعلم لىأكل معه فدخل إليه فأكلا وقعدا بعد الأكل ساعة فالى أن خرج المعلم حفظت ديوان الحرث بن حنزة بأسره فخرج المعلم فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره علي فوجدنى قد حفظته فدخل إلى عمى فأخبره فأعطانى ما كان وعدنى . قال : وكان أبو بكر واسع الحفظ جدا ما رأيت أحفظ منه كان يقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى حفظها فيحفظها وما رأيت قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق

ضاق صدرى وأريد أبعدهم . فقال له : مثل ماذا ؟ قال : يروني أفعل أشياء ولا يسألوني عنها ولا يستكشفونها فيعلمون^(١) أنها ليست كما وقع لهم ويخرجون ويقولون الحلاج مجاب الدعوة وله معونات قدمت على يده والطاق ومن أنا حتى يكون لى هذا ؟ يحسبك أن رجلا حمل اليّ منذ أيام دراهم وقال لى اصرفها الى الفقراء . فلم يكن فى الحال أحد فجعلتها تحت بارية من بوارى الجامع إلى جنب أسطوانة عرفتها وجلست طويلا فلم يجئني أحد فانصرفت إلى منزلى وبت ليلتي فلما كان من غد جئت الى الأسطوانة وجلست أصلى فاحتف بي قوم من الصوفية فقطعت الصلاة وشتت البارية وأعطيتهم تلك الدراهم فشيّعوا عليّ بأن قالوا إني إذا ضربت يدي إلى التراب صار فى يدي دراهم . قال : وأخذ يعدد مثل هذا أشياء فقام خالى عنه وودعه ولم يعد اليه . وقال : هذا منمّس وسيكون له بعد هذا شأن . فما مضى إلا قليل حتى خرج من البصرة وظهر أمره وتلك الأخبار عنه .

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخى قال : حدثني أبو على بن الأعرابي الشاعر قال : كنت فى دعوة جعظة فأكلنا وجلسنا نشرب وهو يغنى إذ دخل رجل فقدم إليه جعظة زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل وكان بخيلا على الطعام . قال : وكان الرجل كان طاوى سبع فأتى على الزلة وشال الطيفورية فارغة وجعظة يرمقه بغيظ ونحن نلمح جعظة ونضحك فلما فرغ قال له جعظة : تلعب بالنرد ؟ فقال : نعم . فوضعناها

الساعة صرت أبو علي . فاسترحت وطلبت مقراضاً وكان لي سبيل كما يكون للجند فقصصته فضجت من ذلك وقالت : ما هذا ؟ فقلت : بعد هذا لا أخدم غير ربى . فصار هذا سبب عبادتى . قال : وخبره مستفيض ومنزلته مشهورة وصارت هذه الكلمة عادته لا يقول فى حشو كلامه وأكثر أوقاته غيرها يا قديم الاحسان . قال : وكان يقال انه مجاب الدعوة وكان الناس يقولون انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فمسح يده عليه فسأله عن ذلك فحدثنى بهذا الحديث وقال : ما كان سبب عافيتى غيره . قال : فقال لى : كان لي قراح على شاطئ دجلة بالمدائن وكان فيه تلال وأشياء ينبغى أن تستخرج ويطم بها مواضع فيه فتحتاج الى رجال كثيرة فكنت ليلة فيه وكانت قهراء فعرفونى فقلت لهم : فهل لكم أن تكسحوا هذا القراح الليلة وتسووا تلوه بالارض وتأخذوا منى كذا وكذا ؟ فقالوا نعم اتحننا بالأجرة . فعملوا ذلك فأصبحنا وقد صار أرضاً مستوية فقالت العامة : الملائكة أصلحوه . وكذبوا ما كان غير هذا .

حدثنى أبو الحسن محمد بن عبيد القاضى قال : حملنى معه الحسين بن منصور الخلاج وهو إذ ذاك فى جامع البصرة ويتعبد ويتصوف ويقرىء قبل أن يدعى تلك الجهالات ويدخل فى ذلك وكان أمره إذ ذاك مستوراً إلا أن الصوفية تدعى له الميجزات من طرائق التصوف وما يسمونه معونات لا من طرائق المذاهب . قال : فأخذ خالى يحادثه وأنا صبي جالس معهم أسمع ما يجرى فقال خالى : قد عملت على الخروج من البصرة . فقال له خالى : لم ؟ قال : قد صير لى أهل هذا البلد حديثاً فقد

وقد علم الله انى لا أتزوجها الا لصيانتها لا لغير ذلك فأقمت معها مدة ثم انى رأيت يوماً حية وهى داخلة الى جحرها فانثنت علىّ فنهشت يدى فشلت قال ثم شلت الاخرى بعد مدة ثم زمنت رجلاى واحدة بعد اخرى ثم عميت ثم خرسيت فكشيت على هذه الحال سنة لم يبق فيّ جراحة صحيحة الا سمعى أسمع به ما أكره وكنت طريقا على ظهري لا أقدر على إشارة ولا إيماء فأسقى وأنا ريان وأترك وأنا عطشان وأطمم وأنا ممتلىء وأفقد الطعام وأنا جائع لا أدفع عن نفسى ولا أقدر على إيماء بما يفهم مرادى سنة فدخلت امرأة بعد سنة الى زوجتى فسألتها عنى فقالت : كيف لييب ؟ فقالت لها وأنا أسمع : لا حى فيرجى ولا ميت فينسى . فغمضى ذلك وبكيت وضيّجت الى الله تعالى بسرى وكنت فى جميع ذلك الحال لا أجد ألما فى شئ من جسمى . فلما كان فى ذلك اليوم ضرب بدنى كله ضربا شديدا لا أحسن أصفه وألمت ألما مفرطاً فلما كان فى الليل سكن الألم فنمت واتبتهت ويدي على صدرى فعجبت من ذلك وكيف صارت يدي على صدرى ولم أزل مفكراً فى ذلك ثم قلت : لعن الله قد وهب عافيتى فخركتها فاذا هى قد تحركت ففرحت وطمعت فى العافية وقلت : لعن الله أذن بخلاصى . فقبضت إحدى رجلى إليّ فانقبضت وبسطتها فانبسطت وفعلت بالأخرى كذلك فتحركت فقممت قائماً لا قلبه بى ونزلت عن السرير الذى كنت مطروحا عليه فخرجت الى الدار ورفعت طرفى فرأيت السكواكب وإذا أنا قد أبصرت ثم انطلق لسانى فقلت : يا قديم الاحسان باحسانك القديم . ثم صحت بزوجتى فقالت : أبو على ؟ فقلت :

الجامع خمسة عشر يوما من رمضان الى أن راح المال وأنا أؤاكله هكذا فلما افترقنا انعل بعد العيد بايام مات فيها فقلت : انا لله ليت لا يكون ما عملته معه سببا لموته غما .

حدثني أبو الحسن احمد بن يوسف الازرق قال : حدثني أبو القاسم علي بن الاخضر المشهور بعلم النحو وكان نبيلاً جليلاً مرتفعاً عن الكذب في نفسه : قال حجبت فدخلت الى طاهر بن يحيى العلوى أسلم عليه فجاءه رجل فقبل رأسه ويديه وأخذ يعتذر اليه . فقال : لا تعتذر قد زال ما في نفسي وقبلت عذرك فان شئت اخبرتك قصديك ايى وسبب عذري لك من قبل أن تخبرني . فتعجب الرجل وقال : افعل يا سيدي . قال انك رأيت رسول الله صلى الله عليه في منامك معاتبك على قطع عاداتك عني اذا دخلت المدينة حاجا وانك طويتني عدة حجج دخلت فيها الى المدينة ولم تجئني فقلت له ان الحياء منعك من قصدي وانك لا تأمن الا أبسط عذرك . فقال لك : اني أمر طاهر بن يحيى ببسط عذرك فلا تخف ولدي وصله . فجئت الى . فقال الرجل كذا والله كان فمن أين لك ياسيدي هذا ؟ قال : أتاني رسول الله صلى الله عليه في النوم وأخبرني بما جرى بينكما على الشرح .

حدثني ابو الحسن ايضا قال ^(١) : كان في باب الشام رجل يقال له لييب العابد زاهد ناسك صالح فأخبرني قال : كنت مملوكا روميا فمات مولاي فعتقتي فخلصت لنفسى رزقا برسم الرجالة وتزوجت بستي زوجة مولاي

مكشفة فكتبت الى الوزير احرصه عليه وكتب يتشكاني فوردت
الكتب الى شاكر الاسحاق وهو أمير الكوفة ان يجمع بيننا في المسجد
ولا نبرح ولا نفصل أو يرضيني فركبت وجئت الى باب اسحق^(١) ولم
أدخل وعرفته ماورد وأننى متوجه الى الجامع فركب وحتنى وقال :
ورد على مثل هذا . فقلت : تحضر أسدا . فركب اليه فأحضره خين
اجتمعنا تجارحنا في الكلام الى أن قلت له : أظن أنى لا أعرف اباك
وأنه كان راجلا على باب ديوان الضياع يرزق دينارين في الشهر ؟ قال :
وكان اجتماعنا في أول يوم من شهر رمضان فلم ينته الكلام الى فصل
وجاءت المغرب فقام شاكر ليركب وأسد معه جلست أنا فقالا : لم تجلس ؟
فقلت : أنا لا اخالف أمر الوزير ولا ابرح الا بفصل أو بالمال . فقال
شاكر لأسد اجلس معه ولا تبرح . وقال لى : لولا ان قعودى معكما
مالا فائدة لكما فيه ويضرنى لقعدت . واعتذر الى فمذرتة وانصرف
وقمت أنا الى موضع من الجامع يقال له قبة خالد جلست عنده أصلى
وجلس أسد مكانه وأتخذ الى داره يستدعى الافطار وأنفذت الى دارى
جاء طعامه وطعامى معا فقام الى وسألنى أن أجعل افطارى معه وبسطت
سفرته وأصلحت مائدته وأقبل أسد يسألنى الحجيء اليه وأنا أمتنع الى أن
حلف وكنت أعرف بخله فقلت لعلامنى : اخرجوا طعامنا تصدقوا به
على من حوالى الجامع . ففعلوا وجئت فأكلت معه منبسطا أكل صائم
ولونه يتغير ولا يتقدر على النطق فتقطعت نفسه ولم تزل متلازمين فى

البهلول التنوخي قال : كان لابي فص حجر خمري اللون عليه صورة ذبابة
وقد شاهده غير دفعة واحدة فيجعله في دكان اللبان وهو مملوء ذبابا فيتطاير
الذباب فاذا تنجى عادت فاذا عاد تنجت وقد شاهدت ذلك غير دفعة .

حدثني أبو الحسين أحمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول
التنوخي قال : حدثني أبي قال : كان أسد بن جهور كثير النسيان فحضرته
يوما في مجلس عبيد الله بن سليمان وهو يخاطبه في أمر من الامور فيقول
له اسد سمعنا لأمر القاضي أعزّه الله وقد نسي أنه الوزير . قال : وكان الى
جنب ابي العباس بن الفرات فغمزه أبو العباس وقال : قل الوزير ^(١) أعز
الله القاضي . قال : فضحك ابن الفرات وقال : لست القاضي فارجم الى
صاحبك فقصه . قال : وكنت يوما عند أسد جفنت دواته وهو يكتب
منها فقال : يا غلام كوز ماء للدواة . جاء الغلام بالكوز ليصبه فيها فأخذه
وشربه ومضى الغلام فقال : ويلك هات الماء للدواة . جاء ثانية فشربه
أيضا ومضى الغلام واستمد من الدواة فكانت أجف فقال : ويلكم كم
أطلب ماء للدواة ولا يجيئني ؟ جاءوه بكوز ثالثة فأخذه وشربه ^(٢) فقال
الغلام : يا سيدي تصب في الدواة . فقال : نعم نعم فصبه في الدواة .
قال : وأخرجني ابن الفرات في سنة سبع وسبعين أنظر في أمر اصلاح
الطريق وتفتقات الموسم وسبب لذلك ما لا على الكوفة وأسد بن جهور
عاملها فلما جئها وكان لي صديقا تاخر عن قصدي فتأخرت عنه أيضا فولد
بيننا ذلك وحشة واستقصيت عليه في المطالبة بالمال وتقاعدني فصارت

(١) الجملة ناقصة (٢) لعله ليشره

الخير فلو خاطبته ولم اكن أعرفه فدخلت اليه فعرفتي ولم أعرفه فقام
واكرم وقال لى : حاجتك ؟ فذكرت له حال الاكسية . فقال : كم
تريدون ؟ قلت : خمسين كساء . فحملها معى فى الحال فقرقها فيهم . ولقد
جاءنى منذ أيام رجل من أهل البيوتات فشكى من خلته ما أبكاني وذكر
أن صلاح أمره فى نيف وثلاثين درهما فما طمعت له فيها من أحد ولا
عرفت من أعلم أننى ان خاطبته فيها أجاب وورد لنا فى هذه السنة
صاحب لأبى هاشم نخطبنا له جماعة واجتهدنا فى شىء يحصل له يغير حاله
فما حصل له من ذلك قليل ولا كثير ولقد كان فى الدرب الذى أنزله هذا
وهو درب مهرويه خلق من أمراء وكتاب وتناء وتجار حسبت ما كانوا
يملكون فكان أربعة آلاف ألف دينار وما فى هذا الدرب اليوم من يحتوى
ملكه على أربعة آلاف درهم غير أبى العريان أخى عمران بن شاهين .

حدثنى أبو الحسين بن سهيل الحذاء قال : حدثنى أبو العباس الفرغانى
الصوفى وكان ممن ختم القرآن فى ركعة وكثير الصلاة واخف الناس
روحا واشدهم مجونا وأطيبهم قولاً ورقصاً قال : اجتزت فى الطريق
بمخنت يتغوط وهو جالس ويديه على جبهته كأنه انسان مغموم فوقع لى
ان اولع به فقلت يا أختى لم أنت مغمومة تخافين الا يجيئك بدله خلفه
سريع الله يخلف عليك . فقال لى بالعجلة ليس غمى لهذا ولكن غمى
أنكم جماعة وهو قليل لا يكفى غذاءكم اليوم .

حدثنى أبو الخطاب محمد بن على بن ابراهيم بن يعقوب بن اسحق بن

من فعل الله عز وجل فامتنع رسيله من ملاعبته فقال : هو ذا تكفر فلا أَلعب معك فشارطه أن يلاعبه على أن لا يكفر فلعِب معه فغلبه دفعات فقال لرسيله : يا هذا لست أنقض الشرط بأن أكفر ولكن قل أنت : ليس هذا قصد قبيح .

تجارينا ذكر شدة زماننا ونفر الناس فيه وضيق أحوالهم واستجابهم البخل حتى ان بعضهم يسميه احتياطا وبعضهم إصلاحا وتوصية الناس بعضهم بعضا به وتحذر التجار من معاملات الناس ومسك الناس أيديهم عن الاحسان إلى أحد اوره ^(١) أو إغائة ملهوف أو التنفيس عن مكروب وأن ذلك في الاكثر لضيق احوالهم فقال لى أبو الحسن أحمد بن يوسف : لقد كان يحىء الرجل من أهل العلم فيجى له من أصحابنا الالف درهم والاقل والاكثر في يوم لا يحتاج الى أحد يخاطبه في ذلك مع قلة عدد أصحابنا اذ ذاك ولقد قدم رجل أردنا أن نربطه ليتعلم لجودة قريحته وكان يحتاج الى مائة درهم في كل شهر فكلمت ابراهيم بن خفيف الكاتب صاحب ديوان النفقات وكان من أصحابنا ورجلا آخر من أصحابنا فأجريا عليه مائة درهم في كل شهر كل واحد منهما خمسين درهما وكان الرجل يأخذها الى أن خرج من بغداد سنين ولقد قال لى يوما بعض من حضر الى مجلس أبي الحسن الكرخى من الفقهاء : يحتاج أهل المجلس الى اكسية فقد قرص ^(٢) الهواء فقمتم افكر فيمن أخاطبه في ذلك فاجتزت فى طريقى بدار فقال لى بعض من كان معى هذه دار تاجر موسر من أهل

وشتمهم . قال : خدثني هو قال : دخلت ليلة الى صديق له مستهتر بالشطرنج أيضاً وكانت المغرب قد وجبت فقال لي : بت عندي الليلة حتى نلعب الشطرنج ونحدث فيما بت ^(١) فقال : نصلي ونلعب دستاً أو دستين إلى وقت العتمة وتنصرف . فصلينا وجعل السراج عندنا ولعبنا وطاب لي اللعب فواصلناه والليل يمضي ونحن لا نشعر به إلى أن أحسنا في أنفسنا بتعب شديد وضجر ووافق ذلك سماعنا للأذان فقلت له : قد أذنت العتمة وتعبت ولا بد من قيامي . فصاح بغلماناه فلم يجيبوه فقام معي فأنبههم وقال : امضوا بين يديه . فلما خرجنا نظرنا فإذا الأذان هو أذان الغداة وإذا الليلة كلها قد مضت ونحن لا نعقل . قال : وكذا كان على الاستهتار بها إذا لمته قال : ليس أنا بمستهتر بها المستهتر بها هو مثل من قيل له وقد احتضر : قل لا إله الا الله : فقال : شاهك ودع الرخ . قال : فقلت له : لا أعرف مثلك كأنك لست ترضى من نفسك إلا بهذا القدر . قال : وكان يصف من فضائل الشطرنج أشياء فيقول : هي تعلم الحرب وتشجب ^(٢) اللب وتدرب الانسان على الفكر وتعلمه شدة البصيرة فلو لم يكن فيها شيء من الموز في غيرها الا أن أهل الارض يلعبون بها منذ ألوف سنين ما وقع فيها دست معاد قط من أوله الى آخره .

وبلغني عن بعض لاعاب الترد أن لعبا توجه عليه لرسيله فقال له المتوجه عليه اللعب : غلبتك : صل على النبي . فقال : لم أفعل ذا حتى لا تصيب غلبتي العين . وأن آخر منهم كان اذا غلب يكفر ويعرض بأن غلبه

(١) لعله فأبیت (٢) لعله تشجب

سمعت بخبرها في هذا الزمان لا تعرف غير الصلاة والصيام وطلب الرزق على أجل الوجوه عاتق الى الآن دينة جداً ولا تعرف الى الآن في المشاهد وعند أهلها إلا بالعلوية الزمنة .

سمعت قاضي القضاة أبا السائب عتبة بن عبد الله بن موسى يقول :
الشاهد اذا لم يكن فيه ثلاث خلال من خلال أهل النار صار هو من أهل النار فقلت له ماهي ؟ قال : قلة الحياء لأن الشاهد اذا كان مستحيًا أجاب الى كل محال يسأله فيذهب دينه ويصير من أهل النار والحياء في الاصل من الايمان وأهل الايمان في الجنة كما روى الخبر فقلة الحياء من خصال أصحاب النار . والثانية أنه يحتاج أن يكون فيه سوء الظن لأنه متى أحسن ظنه تمت له الحيلة والتزويرات فيشهد بالمحال فيدخل النار وإذا كان سيء الظن سلم وسوء الظن في الأصل إثم كما قال الله تعالى والاثم من خصال أهل النار . والأخرى فقد نسيتهما أنا ثم قال : ما ظنكم ببلد فيه عشرات ألوف ناس ليس فيهم شهود إلا عشرة أنفس أقل أو أكثر وأهل ذلك المصر كلهم يريدون الحيلة على هؤلاء العشرة كيف يسلمون إن لم يكونوا شياطين الانس في التيقظ والذكاء والتحرز والفهم ؟

حدثني أبي قال : كان لي صاحب يخدم أبي ويخدمني بعده من أهل أنطاكية يقال له أبو إبراهيم وكان مستهتراً بلعب الشطرنج وكان له فيها عجائب : منها أن غلماناً كانوا يلعبون بها وكان إذا لعب بها برك على الارض واتكأ على ذراعيه كالنائم فيجئ أحدهم من ورائه فيعبي على ظهره عدة مخاد ولا يشعر بها فاذا انقضى الدست أحس بذلك فتنحاهها عن ظهره

أبى طالب عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه لو دعوت الله تعالى أن يهب لى العافية . فقال لى الرجل : أنا أبوك محمد رسول الله . فقلت : يا رسول الله ادع الله لى . قالت خرك شفتيه ثم قال لى : هاتى يدك . فأعطيته يدي فأخذهما وأجلسنى ثم قال لى : قومى على اسم الله . فقلت : يا رسول الله كيف أقوم ؟ فقال : هاتى يدك . فأخذهما فأقامنى ثم قال لى : امشى على اسم الله . فقلت كيف امشى ؟ فقال : هاتى يدك . فشا بى ثم جلست ففعل بى ذلك ثلاث مرات ثم قال لى : قد وهب الله لك العافية فأحمديه . وتركنى ومضى فانتبهت وأنا لا أشك أنى أراه لسرعة انتباهى فصحت فظنت خادمتى أنى أريد البول أو شيئاً مما يشغل عليها فتنقلت فقلت لها : ويحك ائتنى فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه فى النوم فانتبهت وأنا مسجاة فاستشرحتنى فقلت لها : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه فدعا لى فى النوم وقال : قد وهب الله لك العافية . فقالت لى العجوز : ويحك فإنى أرجو أن تكونى قد برئت من العلة هاتى يدك إلى أن قالت فقالت لى والله كما قال النبى صلى الله عليه فى النوم ولم أكن عرقها ذلك فأعطيتها يدي فأجلستنى وقالت لى : قومى فقمى فتعبت ثم جلست ففعلت بى ذلك ثلاث مرات ثم قت^(١) فمشيت بحضرتهم متوكية فكثروا على فى الليل ومن غد حتى كدت أن أئلف وما زالت قوتى ترجع الى أن مشيت كما أمشى الآن ولا قلبه بى . قال : وقد رأيتها بعد ذلك أنا تمشى وتجىء إلى عيالنا ماشية وهى الآن باقية صحيحة وهى أصلىح وأورع وأزهد امرأة

الانتقباض في ذكر مثله واتصل بي ما كان من أمر الواجبة الحق عليك المنسوبة بعد نسبتك اليها اليك . ومن الله صياتها في اختيارها ما لولا أن الأنفس تتناكره . وشرع المروءة يحظره . لسكنت في مثله بالرضا أولى . وبالاعتداد بما جده الله من صياتها أخرى . فلا يسخطك من ذلك ما رضىه موجب الشرع وحسنه أدب الرسالة فباح الله أحق أن يتبع وإياك أن تكون ممن اذا عدم اختياره سخط اختيار القدر له والسلام .

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال ^(١) : كانت في شارع دار الرقيق صبية علوية زمنت نحو خمس عشرة سنة وكان أبي يتفقدتها وكانت مسجاة لا يمكنها أن تقلب من جنب الى جنب أو يقلبها غيرها ولا تقعد أو تقعد وكان لها من يخدمها في ذلك وفي الإنجاء والاكل وكانت فقيرة وإنما قوتها مما يبرها الناس فلما مات أبي اختل أمرها فبلغ تجنى جارية أبي محمد المهلبى أمرها فكانت تقيم بأكثر أمرها وإنها أصبحت في يوم من الايام قد باتت في ليلة زمنة على تلك الصورة فأصبحت من غد وقد مشيت وبرئت وقامت وقعدت وكنا مجاورين لها وكنت أرى الناس ينتابون بابها كالنوم فأنفذت امرأة من دارى صدوقة ممن شاهدتها زمنة على طول السنين فسألتها عن الخبر فقالت : انى ضجرت بنفسى فدعوت الله تعالى طويلا بالفرج أو الموت وبت وأنا على غاية الألم والصياح والقلق وضجرت المرأة التي كانت تخدمنى فلما استثقلت في النوم رأيت كأن رجلا قد دخل عليّ فارتعت منه فقال : لا تراعى فأنا أبوك . فظننته على بن

ولن يرتفع لغادر علم إلا وضعه الله سبحانه وتعالى بمثله أيده الله من كرام
المخلصين لديه . ولا ييسط لبطل أمل إلا قطعه الله تعالى بأقرب الطائعين
إليه . فقال الله جل ذكره في عباده ليجعل جنده المنصورين . وأعداءه
المقهورين . وليظهر حقه . على يد مستحقه . (إلهك من هالك عن بينة
ويحيا من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم . ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا) إلا منه حرسه الله (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله
قويا عزيزا) وهنا الله مولانا الامير نعمه عليه . وضاعف قسمه ومنحه
إليه . وأصلح به وعلى يديه . وجعل الخير والسعادة واصلين إليه . وكبت
أعداءه وحسدته . وبلغه في الدين والدنيا أمنيته . ولا ابتزه ثوب نعمته .
وحرس الأمة بحراسة مهجته . وصرف عين السوء عن دولته . وشيد
قواها^(١) بقدرته . فالسعيد من وفق لخدمته وحظي بجميل رأيه والشقي من
نفر عن حوزته وخرج عن ظله وجملته والله وليه والدافع عنه والذاب عن
الاسلام وأهله ببقائه والمحسن إليهم بالمدافعة عن حوبائه وهو حسبنا
ونعم الوكيل .

حدثني أبو الفرج البيهقي قال جرى بحضرة الامير سيف الدولة ذكر
رجل تزوجت أمه من أصحابه وحديث الترسل والكتابة فقال لي
أكتب الساعة على البريد رقعة عن نفسك الى هذا الرجل تعزیه بتزويج
أمه فكتبت رقعة بين يديه ارتجالا وحفظتها :

من سلك سبيل الانبساط لم يستوعر مسلكا من مخاطبة فيما يحسن

مصاحبة للصواب والساداد . وراياته موصولة بالعز والنصر . ونعمة الله عنده محفوظة بالحمد والشكر . وبحسب ذلك يكون دواعي الزيد . وعلى قدره تضاعف التمكن والتأييد . لهذه الشيم السنية . والفضائل الجليلة العلية . والطوية الحميدة المرضية . ما يجدد الله منحه لديه . ويدعم دفاعه عنه وإحسانه إليه . ويسبغ الآلاء ونعمه عليه . ويجعل كلمته العليا . وكلمة أعدائه بسهم الله السفلى . وينوه باسمه ثبته الله في سائر البلاد . ويجعل زناؤه أناره الله أضوء زناؤه . وبشرت الدعاء^(١) على التناهي بذكره . وتصل السنة من قرب وبعد بشكره . والحمد لله على ما خوَّله وأولاه . وإليه الرغبة في زيادته فيما نوله وأعطاه . وحراسته في بدء كل أمر وعقباه . وإعلائه على كل من حسده وناواه . وقصر عن شأوه فعاداه . والحمد لله الذي جعل سفرته ظاهرة البركة . سعيدة السكون والحركة . ميمونة الأحوال . محمودة الحل والترحال . مؤذنة بحسن الانقلاب . على أحسن الوجوه وأجمل الأسباب . عائدة بشكر الرعية ودعائهم . جامعة لسياهم^(٢) على اختلاف آرائهم . وهو المرجو الأعانة على ما قرب إليه . والمستول حسن التوفيق لما يزلف لديه . إنه ولي حميد . فعال لما يريد . ولقد صدق الله فله الحمد في مولانا أدام الله عزه ظنون أوليائه وأهل طاعته وحقق بما تفضل به من ظهوره على أعدائه تقديرات خدمه وعبيد نعمه فشكرهم لله تعالى على ما منحه من التوفيق والنعمة في ذلك بحسب موقعها ومقدارها وموضعها وما يخصهم ويم غيرهم منها ويصل إلى القاصي والداني الحظ بها

وله :

كأنما الماء عليه الجسر درج بياض خط فيه سطر^(١)
 كأننا حين استتب العبر أسرة موسى حين شق البحر
 كان الحسين و ابراهيم ابنا ناصر الدولة حالفا على أخيهما أبي تغلب
 فضل الله بن ناصر الدولة عقيب قبضه على أخيه محمد بن ناصر الدولة
 وإصعاده به الى القلعة مقيدا وقبضه على نعمته وخرجا إلى أعماله محاربين له
 ومواطنين حمدان بن ناصر الدولة على محاربة أبي تغلب واجتمعوا معه
 فخرج أبو تغلب بالجيوش إليهم فلقاهم وانهزم حمدان ودخل الحسين إلى
 أبي تغلب وانحدر ابراهيم إلى باب السلطان ببغداد ليدخل في الأمان
 وكان ابتداء ذلك في شعبان سنة ستين والصلح في شوال فكتب أبو محمد
 يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد إلى أبي تغلب بالتهنئة على ذلك
 كتابا نسخته :

لم تزل عادة الله عند مولانا الامير السيد أطال الله بقاءه وأدام
 تأييده وكبت أعداءه . جارية بالمواهب النبيلة . والنعم المتصلة الجليلة . على
 التوفيق والسواد . مطردة بمنة الله أجمل اطراد . لما خصه الله تعالى بحسن
 النية وجميل الاعتقاد . وأفردته من تعمد الحق في الاصدار والاياراد .
 وألهمه اياه من التوفر على شكره وحمده . واجتلاب الزيد لذلك من عنده .
 فابتدا آتة أدام الله تأييده دالة على حسن عواقبها . ومبشرة بنيل البغية في
 أوائل الامور وأواخرها . وأفعاله مقترنة بالرشاد . وآراؤه بحمد الله

كأنها مسيلة من زرد مضاعف^(١)

وله :

يا ليلة لست أنسى طيبها أبدا
باتت وبت وبات الزق نالشنا
قد كان كل سرور حاضرا فيها
أهدت سلاقتها صرفا إلى فيها

وله :

بتنا نعلل من ساق أعد لنا
كأنه حين أذكى نار وجنته
بخرتين من الصهباء والحد
يعمل ماء عناقيد بطرته
سكرا وأسبل فضل الفاحم الجعد
بماء ما حملت خداه من ورد

وله :

وظي غرير في فؤادي كناسه
فمن خلقه لباتها ونحورها
إذا التبتست غور الفلاة وقورها^(٢)
ومن خلقه عصيانها ونفورها

وله :

وجناته تجنى على عشاقه
بيض عليها حمرة فتوردت
ببديع ما فيها من اللآلئ
فكأنما برزت لنا بغلالة
فعل المدام مزجته بالماء
بيضاء تحت غلالة حمراء

وله :

كأنما تساقط الـ
أوراق ورد أبيض
ثلج لعيني من يرى
والناس في شاذ كلي^(٣)

(١) ص ٦٥ (٢) في ص ٦٧ من الديوان وصورها (٣) كذا بالأصل

لو رأني إذا استهلت دموعي في صبح ذكرته أو غبون
أسرق الدمع من نديمي بكاسي فأحلى عقيانها بالعقيق
وله :

هل تحسان لي صديقا صدوقا يحفظ العهد أو رفيقا رفيقا^(١)
لا رعى الله يا حبيبي دهرًا فرقتنا صروقه تفرقا
وله :

من السلوة في عيني — لك آيات وآثار^(٢)
أراها منك في القلب وفي القلوب أبصار
إذا ما برد الحب فما يسخنه النار

وله :

الحزن مجتمع والصبر مفترق والحب مختلف عندى ومفترق^(٣)
ولى إذا كل عين نام صاحبها عين تخالف فيها الدمع والارق
لولاك يا ظبية الانس التي نظرت لما وصلن إلى مكروهى الخدق
لكن نظرت وقد سار الخليط ضحى بناظر كل حسن منه مسترق
وله :

يا من يلوم على هواه جهالة انظر إلى تلك السوالف تعدر^(٤)
حسنه وطاب نسيمها فكانها مسك تساقط فوق ورد أحمر
وله :

ومرئد لطرة مد له الرفارف

وتركت حلوالعيش لم احفل به لما رأيت اعزه في مره
والمرء ليس ببالح في اهله^(١) كالصقر ليس بصائد في وكرد
وله :

في الناس ان قشتم من لا يعزك او تذله^(٢)
فاترك مجالسة اللهيم فان فيها الفخر كله
وله :

وفضل الناس في الأنفـس ليس الفضل في الحال
غنى النفس لمن يعقـل خير من غنى المال
وله :

ندل على موالينا ونجفو ونعتبهم وان لنا الذنوبا
بأقوال يجانبين المعالي وألسنة يخالفن القلوبا
وله :

ولقد علمت كما علمت وإن أقت على صدوده^(٣)
إن الغزاة والغزا ل لنى ترائبه وجيده
وله :

قد كان لى فيك حسن صبر خلوت يوم الفراق منه
لم يبق لى فى الجفون إلا ما استزلتنى الحدود عنه
وله :

لى صديق على الزمان صديق ورفيق مع الخطوب رفيق^(٤)

(١) فى الديوان بغام فى ارضه (٢) ص ١٢٧ (٣) ص ٦٥ (٤) ص ١٣٤

فان الداء أقتل ما تراه يكون عن الطعام أو الشراب
هذا شعر أبي فراس ابن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون
العدوى الشعلي: ^(١)

أشد عدويك الذي لا تحارب وخير خليلك الذي لا تناسب
لقد زدت بالايام والناس خبرة وجربت حتى هذبتني التجارب
فأقصاهم أقصاهم عن اساءتي وأقربهم مما كرهت الأقارب
*وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحارب
*وما أنس دار ليس فيها مؤانس وما قرب أهل ليس منهم مقارب
نسبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب
وله :

اذا كان فضلي لا اسوغ نفعه فأفضل عندي أن أرى غير فاضل
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل يحور على حوبائها حكم جاهل ^(٢)
وله :

لمن أعاتب مالى اين يذهب بي قد صرح الدهر لى بالمنع والياس ^(٣)
ابغى الوفاء بدهر لا وفاء له كأنتى جاهل بالدهر والناس
وله :

وأخ أطعت فما رأى لى طاعتي حتى خرجت بأمره عن أمره ^(٤)

(١) راجع ديوانه المطبوع فى بيروت ١٩٠٠ ص ١٢٦ والبيتان المعلم عليهما
بالنجم ليسا هناك (٢) فى الديوان كل جاهل (٣) راجع ص ٨٤ من الديوان
(٤) ص ٦٤

خيراً . وانه قال : احصيت ما انا فيه من المسكاره فما وجدت منه شيئاً
لحقني إلا ممن احسنت اليه . فقال لى أبو الحسن : هذا صحيح ولكن
حدث عند فساد الزمان وإلا فالأكثر من عدد الناس كان قديماً على
تصرف زمانهم ما يعتقدونه من مودات اخوانهم فلما فسدت الطباع
وتسمح الناس فى شروط موداتهم صار الانسان ساكناً ممن لا يعرفه لا
يلحق به شره ولا يناله ضره وإنما يلحق الآن الضرر من المعارف ومن
يقع عليه اسم الاخوان وذلك أنهم يطالبون فى المودة بما لا يفعلون مثله
فان اسدى اليهم احساناً عرف طعمه فهى العداوة القليلة وان حفظ
الانسان ما يصنعونه أبداً حصل تحت الرق وان قارضهم الافعال تارت
العداوة وتواترت عليه المسكاره هذا اذا سلم من أن يبدأك من تظنه
صديقاً بالشر والتجنى والمعاملة القبيحة بالتوهم والتظنى من غير تثبت ولا
استصلاح فأما اذا كان ليس بينكما أكثر من المعرفة فالضرر معها بالثقة
لان كل مكروه يلحقك اذا حصلت كان ممن يعرفك ويقصدك به على علم
بك فأما الضرر ممن لا تعرفه فبعيد جداً مثل لصوص يقطعون عليك
الطريق غرضهم أخذ المال منك أو من غيرك وما يجرى هذا المجرى على
أن أشد الضرر من اللصوص ما وقع عن تعيين وعلى معرفة بالانسان فهما
أمكن العاقل أن يقل من المعارف واجتلاب من يسمى أخاً فى هذا
الزمان فليفعل وليعلم أنه أقل من الاعداء وكلما استكثر منهم فقد استكثر
من الاعداء . وكان ابن أوى جمع هذا فقال :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب

حيًا ثم يخرج عن ايدى المسلمين بعدك وقتلتنا الروم وسبت ذرارينا وصليت
بأئمننا فى القيامة وعارنا فى الدنيا والله الله فينا فقد صدقتك يا امير المؤمنين
والامر اليك بعد ذلك . قال : فنكس المعتضد رأسه ساعة ثم رفعه وقد
بكى وقال : فكيف اعمل وقد سبق قولى بأن اهدمه . فقلت له : تعمل
الفعلة فى هذا اليوم فقط فيكون فى ذلك ابرار لقول امير المؤمنين ثم اذا
رحل هو عنا اذن لنا فى إعادة ما هدم اليوم فقط . فقال : انفذوا غدًا من
يرد الفعلة ويمنعهم من هدم السور بعد اليوم وقد اذنت لكم فى إعادة ما
انهدم . فشكرناه ودعونا له وارفعت الصيحة بالدعاء له وعدنا فوجدنا
الفعلة قد هدموا ذلك اليوم قطعة منه فأعدناها بعد خروج المعتضد من
اموالنا فهي معروفة الى الآن فى السور لتغير بنائها عن البناء الاول .

جرى بينى وبين ابى الحسن الكاتب الاهوازى (وهذا الرجل من
معقلى الناس وفضلائهم عقلا ونبلا وبراعة فى صناعته وتقدمًا وقد ولى
كبار الاعمال للسلطان وخلف ابا عبد الله البريدى على الأهواز وتولاها
لمعز الدولة مكان ابى عبد الله البريدى عقيب هربه من معز الدولة ثم
استخلفه بعد ذلك ابو القاسم البريدى على البصرة ثم خلف ابا على الطبرى
وابا محمد المهلبى كأنه اذ ذاك على كور الاهواز ثم تقلد عمالة البصرة
اسباشى الحاجب الخوارزمى التركى ثم لمعز الدولة رياسة فى ايام وزارة
ابى محمد المهلبى وحلب الدهر اشطره وجرب الأمور وسبر الزمان) ذكر
الزمان وتصرفه وفساد الاخوان فيه وقلة المودات وما بلغنى عن
ابى الحسن ابن الفرات انه قال : جزى الله عنا من لا نعرفه ولا يعرفنا

والعدو يطرقتنا ونظرته ان هدمت هذا السور كان ذلك أقوى عدة للعدو علينا وكان البلد له عند أيسر ضعف يلحقنا وحادثه تطرقنا فان رأيت أن ترحم ضعفنا وتستتر ذرارينا بهذا السور . فقال : قد كثرت الحوادث علينا من هذه الثغور واعتصام كل مخالف بحصن منها وقد علمتم ما لحقنا بالامس من ابن الشيخ واليوم من هذا الخادم وقد سبق مني القول ولا أدع حصناً إلا هدمته وأنا أهدم هذا السور وأحصنكم من العدو باضعاف عدد الشحنة وإدرار الارزاق وإطلاق مال للمطوعة يقوون به على جهاد العدو فتكون قوتهم مانعة للعدو وكأن السور لم يزل ولم يطمع أحد في التحصن به على العصيان . قال : فلم يكن عند أصحابي حجة وضعف كلامهم ورأيت المجلس كالمقوض على هذا فقممت واستأذنت في الكلام فأذن لى فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله لو خلد أحداً في الارض لخلد محمداً صلى الله عليه وان هذه الحصون والاسوار لم توضع لسنة بعينها ولا لايام خليفة بعينه وانما جعلت لتبقى على الدهور وتدفع عن أهلها في أيام كل ملك سائساً كان أو متوانياً ولو كنا نثق بحياة أمير المؤمنين أبداً ما سألناه خلاف ما يراه أو كنا نثق ان من يلي أمور المسلمين بعده يكون لهم باهتمامه بمصالحهم وسياسته بنخاصتهم وعامتهم مثله لسهل ذلك علينا المصيدة بفقدان السور الذى لا عوض عنه وان كان من يتقلد بعده لنا مثله لما كان لنا فى ذلك عزاء عن السور إنا لا نأمن من اهمال من يحجىء بعد ذلك الخليفة أيضاً أن تشغله حادثة عنا تمنعه من مصالحنا فنكون نحن درية لسيوف الروم ورماحهم وإنك يا امير المؤمنين ان هدمت هذا السور بقى بلدنا ما دمت

ثم قال لى : احفظها يا بن أخى عليّ فإنه لا خامس لقافيتها بشرط ألا
تغير الصاد والذال . ثم ضربت عنقه ، وانتبهت وأنا أنشد الايات فى الحال
فعلقتها وطلبت فيما أعرفه واذكره قافية خامسة للأيات فلم أجد . قلت
أنا : وطلبت لها قافية فوجدت ما يصلح أن يضاف إليها « فاصده » من القصد
« وعاصده » ولا أدرى كيف ذهب ذلك على أبى أحمد ولعل غيرى إن قش
وجد قوافى آخر لكنها قافية عزيزة على هذا الشرط كيف تصرفت الحال
حدثنى أبى قال : لما خرج المعتضد الى قتال وصيف الخادم الى
طرسوس وأخذه وعاد الى أنطاكية فنزل خارجها وطاف بالبلد بجيشه
وكنت صبيغاً اذ ذاك فى المكتب قال : نخرجت فى جملة الناس فرأيت
وعليه قباء أصفر بلا سواد وسمعت رجلاً يقول : الخليفة بقاء أصفر بلا
سواد . قال : فقال أحد الجيش : هذا كان عليه وهو جالس فى داره
ببغداد فجاءه الخبر بعصيان وصيف فخرج فى الحال من داره الى باب
الشماسية فعمسكرو وحلف ألا يغير هذا القباء أو يفرغ من أمر وصيف
فأقام بباب الشماسية أياماً حتى لحقه الجيش ثم خرج فهو عليه الى الان ما
غيره . قال : حدث أبى بعد ذلك : وأنفذ المعتضد الى سور انطاكية بفعلة
يهدمونه فماج الناس وتلحت العامة وتشاور شيوخ المدينة فى هذا فأجمع
رأيهم أن كفوا العامة . ومضوا الى مضرب الخليفة وسألوا الوصول
فأنفذ اليهم أن اختاروا عشرة منكم يدخلون اليّ ويخاطبونى . فاختاروا
عشرة كنت منهم حدثنى قال : دخلنا عليه فسلمنا ووقفنا فأمر باجلاسنا
فجلسنا فقالوا يا أمير المؤمنين نحن فى وجوه عدو كلب وجهاد متصل

فقلت : أيها الوزير ما أحب أن أزداد على عطية رسول الله صلى الله عليه
 شيئاً فاني أرجو البركة فيه لا فيما عداه . فبكي على بن عيسى وقال : هذا
 اليقين خذ ما بدا لك . فأخذت أربعمئة دينار وانصرفت فقصصت قصتي
 على صديق لي وأريته الدنانير وسأله أن يحضر غرمائي ويتوسط بيني
 وبينهم ففعل وقالوا : نحن نؤخره ثلاث سنين بالمال فليفتح دكانه .
 فقلت : لا يأخذون مني الثلث من أموالهم . وكانت ستمئة فأعطيت كل
 من له شيء ثلث ماله فكان الذي فرقته مائتي دينار وفتحت دكاني وأدرت
 المائتين الباقية في الدكان فما حال الحال عليّ إلا ومعى ألف دينار فقضيت
 ديني كله وما زال مالي يزيد وحالي تصلح .

حدثني أبو أحمد الحارثي بن عبد الله بن عمر قال : رأيت في منامي
 كأنني مجتاز بالبصرة في بني نمير على مجلس الشرطة والناس مجتمعون
 فقلت ما هذا ؟ قالوا : فتى يضرب عنقه . فاطلمت في الحلقة فأذا بفتى
 حسن الوجه قد أجلس وشد ليضرب عنقه فقال لهم : دعوني أتكلم
 بكلمتين ثم اعملوا ماشئتم . فقالوا له : تكلم . فقال : أهاهنا رجل من أهل
 الأدب يحفظ عني ما أقول ؟ قلت : نعم . فقال :

أيأشاهدى قتل المشوق تحملا	زكي سلام طيبته مقاصده
إلى الظبية للعساء من سند الحمي	بحيث تحرى باب عثمان قاصده
فقولاله ^(١) إن المشوق الذي اعتدت	عليه لريب الدهر ايد تراصده
مضى وباحناء الضلوع هواكم	إلى أن يرى لإنشاء بعد حاصده

حدثني جماعة من أهل الحضرة^(١) أن رجلا عطارا من أهل الكرخ كان مشهورا بالتستر ارتكبه دين فقام من دكانه ليلة الجمعة وصلى صلاته ودعا ونام . قال : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول لي : اقصد على بن عيسى الوزير فقد أمرته لك بأربعمائة دينار نخذها وأصلح بها أمرك . قال : وكان عليّ قيمة ستمائة دينار فلما كان من غد قلت : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي فلم لا أقصد هذا الوزير ؟ قال : فقصدته فلما جئت إلى الباب منعت من الوصول إليه جلست إلى أن ضاق صدري وهممت بالانصراف فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة فأخبرته الخبر فقال : يا هذا إن الوزير والله في طلبك منذ السحر وإلى الآن وقد سألت عنك فما عرفنيك أحد والرسول مبعوث في طلبك فكن مكانك . قال : ومضى فدخل فما كان بأسرع من أن دعوني فدخلت إلى أبي الحسن على بن عيسى فقال : ما اسمك ؟ قلت : فلان بن فلان العطار . قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم . قال : يا هذا أحسن الله جزاءك في قصدك إياي فوالله ما تهنت بعيش منذ البارحة جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي فقال : أعط فلان ابن فلان العطار من الكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه وكنت اليوم طول نهار في طلبك وما عرفنيك أحد . ثم قال : هاتم ألف دينار جأؤوا بها عينا فقال : خذ منها أربعمائة دينار امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وستمائه دينار هبة مني لك .

(١) وردت الحكاية في الفرج بعد الشدة ١ : ١٧٦

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا رأى أحدكم في منامه ما ينكره فليتحول من جانبه إلى الآخر وليقل ثلاثا أستغفر الله ويلعن إبليس ويستعيز بالله ثم يم . فرفع رأسه وقال : يا أخى فكيف إذا كانت الطامة من جهة رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : فقال لى : الست ذا كرا رؤيا طاهر بن الحسين ؟ فقلت : بلى . قال عبيد الله : وكان طاهر وهو صغير الحال رأى النبي صلى الله عليه في منامه فقال له : يا طاهر إنك ستبلغ من الدنيا أمرا عظيما فاتق الله واحفظنى فى ولدى فإنك لا تزال محفوظا ما حفظتنى فى ولدى . فقال : ما تعرض طاهر لقتال علوى قط ونذب إلى ذلك غير دفعة منه . قال : ثم قال لى أخى محمد بن عبد الله : إني رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامى كأنه يقول لى : يا محمد نكثتم . فانتبهت فزعا وتحولت واستغفرت الله تعالى وتعوذت من إبليس ولعنته واستغفرت الله تعالى ونمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وهو يقول يا محمد نكثتم . ففعلت كما فعلت فى الاولى ونمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة وهو يقول : نكثتم . وقتلتم أولادى والله لا تفلحون بعدها أبدا . فانتبهت وأنا على هذه الحالة وهذه الصورة منذ نصف الليل ما نمت . قال : واندفع يبكى وبكيت معه فما مضت على ذلك إلا مديدة حتى مات محمد ونكبتنا بأسرنا أقبح نكبة وصرفنا عن ولاياتنا ولم يزل أمرنا يخمل حتى لم يبق لنا اسم على منبر ولا علم فى جيش ولا إمارة وحصلنا إلى الآن تحت المحن .

ونرزقك رزقاً . خمدت الله وشكرته وصليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوت لأمير المؤمنين وانصرفت والمال معي وصرت الى منزلي وما طلعت الشمس واهل المسجد يتوقعون خروجي للصلاة وقد انكروا تأخيرى عنهم فنزلت فصليت بهم وسلمت واذا بالخراساني فأدخلته منزلي واخرجت الية بقية ماله فأرى ختمه غير صحيح وقلت : خذ هذا فهو بقية مالك فقد صرفته . واومأت الى المال الذي كان معي وقلت : خذ تمام مالك . فقال : ما قصتك ؟ فأخبرته الخبر فبكي وحلف لا يأخذ شيئاً وحلفت عليه فقال : والله لا اخذته ولا ادخلت مالى شيئاً من مال هؤلاء وبدأت بالنظر في امر بناتي وتزويجهن وتجهيزهن وتقدمت بابتياح سواد ودابة وغلام وصرت الى المأمون يوم الموكب فأدخلت فسلمت فأوقفت مع القضاة وأخرج الي عهداً من تحت مصلاه وسلمه إلي وقال : قد قلدتك القضاء في الجانب الغربي وهذا عهدى إليك عليها فاتق الله وقد أمرت لك بكذا وكذا في كل شهر رزقاً فما زال أبو حسان يتقلدها في أيام المأمون .

حدثني أبي قال : حدثني الصولي أن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حدثه قال : لما عاد محمد بن عبد الله أخى من مقتل يحيى بن عمر العلوي رضى الله عنه بعد مديدة دخلت إليه بعد ذلك يوماً سحراً وهو كئيب مطأطأ الرأس في أمر عظيم كأنه قد عرض على السيف وبعض جواريه قيام لا يتجاسرن على مسئلته وأخته وافنة فلم أقدم على خطابه فأومأت إليها ماله ؟ قالت : رأى رؤيا هالته . فتقدمت إليه وقلت : أيها الأمير

أُنكَب الطريق حتى لا يزحموني بدوابهم . فجذبت العنان لادخل درباً
 فاذا بهم يصيحون بي فوقفت فقالوا : من أنت ومن تكون ؟ قلت : رجل
 من الفقهاء . فمُسكوني فجاذبتهم وجاء رئيسهم فقال : من أنت رحمك الله ؟
 لا بأس عليك ان صدقت . قلت : رجل من الفقهاء والقضاة . قال : بمن
 تعرف ؟ قلت بأبي حسان الزيادي . فصاح الله أكبر الله أكبر أجب
 أمير المؤمنين . فسرت معه حتى أدخلت على المأمون فقال لي : من أنت ؟
 قلت : رجل من الفقهاء والقضاة أعرف بالزيادي ولست منهم انما سكنت
 في محلة لهم فنسبت اليهم . فقال : بأي شيء تكني ؟ قلت بأبي حسان .
 قال : ويحك مادهاك وما قصتك فان رسول الله صلى الله عليه ما تركني
 البارحة أنام بسببك أناني دفعة في اول الليل ووسطه وهو يقول أغث
 أبا حسان الزيادي فانتبهت ولا أعرفك وأنسيت السؤال عنك فلما كان
 الساعة أناني فقال : أغث أبا حسان الزيادي . فما تجاسرت على النوم وأنا
 ساهر من ذلك الوقت وقد بثت الناس في جانبي البلد أطلبك فما قصتك ؟
 قال : فصدفته عن الخبر حتى لم أكتمه منه حرفاً وقلت : أنا رجل كنت
 أقبلد للرشييد من أبي يوسف القضاء بناحية فلما مات صرفت وانقطعت
 ارزاق ولزمتي العطلة والاضاقة فكان من خبري مع رجل خراساني
 كيت وكيت . فبكيت وبكى وقال : انا لله وانا اليه راجعون هاتوا خمسة
 آلاف درهم جأؤوا بها فقال : خذ هذه فارددها مكان ما تصرفت فيه .
 ثم قال : هاتم عشرة آلاف درهم جأؤوا بها فقال : خذ هذه فأصلح بها
 امر بناتك وزوجهن واذا كان يوم الموكب فصر الينا بسواد لنقلدك عملاً

وقلت : مالك ؟ فقال : قد انصرفت عن السفر الى مكة وأريد المقام ببغداد
فترد اليّ تلك الوديعة . قلت له : ليس أتمكن من ذلك الساعة فتجيئني
غداً غدوةً . فنهض ونهضت الى منزلي وما بي طاقة للشئ فيما بين المسجد
وبيتي فدخلت مغشياً علي واجتمع أهلي فلما أفقت قالوا : مادهاك ؟ قلت :
أنتم حملتموني على التصرف في مال الخراساني وقد جاءني الساعة يطلبه
فكيف أعمل والآن أفتضح ويذهب جاهي فأهلك بين الناس وأحبس
فأموت صبراً وغماً . فبكوا وبكيت وجاءت المغرب فلم أقدر على الخروج
الى المسجد وكذلك العشاء ثم قمت فصليت في البيت فقلت : هذا أمر لا
يكشفه إلا الله وليس لي إلا الفرع اليه . فجددت طهوراً وصنفت قدمي
في المحراب أصلي وأبكي وأدعو حتى ختمت القرآن وقد كاد يطلع الفجر
وما اكتحلت غمضاً فقلت لاهلي : الساعة يجيء الرجل الى المسجد
فكيف أعمل ؟ فقالوا : لا ندري . فقلت : أسرجوا لي . وكان لي بغلة
أركبها وقلت لهم : اني هو ذا أركب لا أدري الى أين أمضي ولست
أرجع اليكم وان تلفت ولا وجه لي يقويني على كلام الخراساني فان طالبكم
وأخرجكم الى مكروه فساووا اليه بقية المال وأصدقوه الحديث وان أمكنكم
مدافعته فدعوني مستوراً فعلي أرجع بفرج أو رأي في أمره . وركبت لا
أدري أين أقصد وليس معي ضياء ولا غلام وتركت عنان البغلة على
عرفها وجاءت الى الجسر وعبرته الى الجانب الشرقي وأنا عليها وصارت
بي الى باب الطاق وعظمت بي في الشارع الكبير المنفذ الى دار الخليفة فلما
توسطته اذا بموكب عظيم وضياء وقوم يجيئون من ناحية دار الخليفة فقلت :

تعريض بالسلف . قالوا : فبلغنا أن البر بهارى قال بلغنى أن نائحة يقال لها
 خلب تنوح اطلبوها فاقتلوها .

حدثني أبى عنه بأسناد ذكره أن أبا حسان الزيادى ^(١) كان من وجوه
 فقهاء أصحابنا ومن علمان أبى يوسف وكان من أصحاب الحديث وكان تقدر
 القضاء قديماً ثم تعطل فأضاق فلزم مسجداً حيال داره يفتى ويدرس الفقه
 ويؤم ويحدث وإضاقة كل يوم ترداد وهو يطلب التصرف أو الرزق فلا
 يظفر به وقد تقدم ماعنده وباع كل ما يملكه وركبه دين عظيم إذ جاء يوماً
 رجل خراسانى وقد حضر وقت خروج الناس من بغداد الى مكة فقال
 له : انى أريد الخروج الى الحج وهذه عشرة آلاف درهم معي تقبلها وديعة
 لى فان رجعت من الحج رددتها عليّ وان رجع الناس ولم أرجع فاعلم أنى
 هلكت وهى لك هبة حالالا . قال أبو حسان : فأخذتها الى منزلى
 وقصصت على زوجتى الجبر فقالت : نحن فى ضر شديد فلو تصرفت فيها
 من الآن وقضيت دينك واتسعت فلفل الله يجعلها لك فتكون قد تعجلت
 العيش . فقلت : لا أفعل . فما زالت فى يومى وليلتى تحملنى على ذلك حتى
 أجبته اليه من غد فقضضت الختم عن الكيس وقضيت منه دينى وتأملت
 وتوسعت فى منزلى واشترت ثياباً لى ولها ولبناتى وأصلحت جميع أمرى
 بنحو خمسة آلاف درهم من ذلك ومضى على هذا الحديث ثلاثة أيام أو
 أربعة فالتفت يوماً من الصلاة فاذا بالخراسانى ورائى فلما رأيته قامت قيامتى

(١) وردت الحكاية فى الفرج بعد الشدة ١ : ١٥٣ وفى الف ليلة (طبع

أصدق عني أن ينوح

لم أمرضه فأسلو لا ولا كان مريضا

فاتتبت فزعة . قال : وقالت العجوز « لم أمرضه » بالطاء لأنها
لا تتمكن من إقامة الضاء فسكنت منها إلى أن نامت . ثم قال لي : يا أبا
القاسم مع معرفتك الرجل قد حملتك الأمانة ولزمتك إلى أن تبلغها له .
فقلت : سمعا وطاعة لأمر سيدة نساء العالمين . قال : وكان هذا في شعبان
والناس إذ ذاك يلقون جهدا جهيدا من الحنابلة إذا أرادوا الخروج إلى
الخير فلم أزل ألتطف حتى خرجت فكنت في الخير ليلة النصف من
شعبان فسألت عن ابن أصدق حتى رأيته فقلت له : إن فاطمة عليها السلام
تأمرك بأن تنوح بالقصيدة :

لم أمرضه فأسلو لا ولا كان مريضا

وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك . قال : فترعج من ذلك
فقصصت عليه وعلى من حضر الحديث فأجهشوا بالبكاء وما ناح تلك
الليلة إلا بهذه القصيدة وأولها :

أيها العينان فيضا واستهلا لا تقيضا

وهي لبعض الشعراء الكوفيين وعدت إلى أبي الحسن فأخبرته بما
جرى . قال أبي وابن عياش : كانت ببغداد نائمة مجيدة حاذقة تعرف بخلب
تنوح بهذه القصيدة فسمعتها في دور بعض الرؤساء لأن الناس إذ ذاك
كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز سلطان أو سرا لأجل الحنابلة ولم
يكن النوح إلا مرأى الحسين وأهل البيت عليهم السلام فقط من غير

يمشى فرأته امرأة وكان حسن البدن فقالت ليت على ابنتى شحم هذا الخنث . قال فقال لها الخنث مع بغاى . فشتته فقال لها كيف صار تأخذين الجيد وتدعين الردى ؟

حدثنى أبى قال : خرج إلينا يوما أبو الحسن الكاتب فقال : أتعرفون ببغداد رجلا يقال له ابن أصدق ؟ قال : فلم يعرفه من أهل المجلس غيرى فقلت : نعم فكيف سألت عنه ؟ فقال : أى شيء يفعل ؟ قلت : ينوح على الحسين عليه السلام . قال : فبكى أبو الحسن وقال : إن عندى عجوزا ربتنى من أهل كرخ جدان عفتية اللسان الأغلب على لسانها النبطية لا يمكنها أن تقيم كلمة عربية صحيحة فضلا عن أن تروى شعرا وهى من صالحات نساء المسلمين كثيرة الصيام والتهجد وإنها انتهت البارحة فى جوف الليل ومرة قدها قريب من موضعى فصاحت بى يا أبا الحسن فقلت : مالك ؟ فقالت : الحقى . فجئت فوجدتها ترعد فقلت ما أصابك ؟ فقالت : إني كنت قد صليت وردى فمنت فرأيت الساعة فى منامى كأني فى درب من دروب الكرخ فأذا بحجرة نظيفة بيضاء مليحة الساج مفتوحة الباب ونساء وقوف عليه فقلت لهم من مات أو ما الخبر ؟ فأومئوا إلى داخل الدار فدخلت فأذا بحجرة نظيفة فى نهاية الحسن وفى صحنها امرأة شابة لم أر قط أحسن منها ولا أبهى ولا أجمل وعليها ثياب حسنة بياض مروى لين وهى ملتحفة فوقها بأزار أبيض جدا وفى حجرها رأس رجل يشخب دما فقلت : من أنت ؟ فقالت : لا عليك أنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وهذا رأس ابني الحسين عليه السلام قولى لابن

شيء جيد . فأخبرني ^(١) أنها قالت تهجو أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي لما ولي الوزارة وتعييه بقصر قامته :

شاورني الكرخي لما بدا النيروز والسن له ضاحكة
فقال ما نهدي لسلطاننا من خير ما الكف له مالكة
قلت له كل الهدايا سوى مشورتى ضائعة هالكة
أهد له نفسك حتى اذا اشعل نارا كنت دوباركة

انشدتني ذلك في سنة اثنتين واربعين وثلثمائة . الدوباركة كلمة اعجمية وهي اسم للعب على قدر الصبيان يحلون بها اهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدى ويلعبون بها ويخرجونها في زى حسن من فاخر الثياب وحلي يحلون بها كما يفعل بالعرائس وتحقق بين يديها بالظبول والزمور وتشعل النيران فبهجة هذه المرأة بما تحقق عندي انها صادقة فيه لانه يليق بكلام النساء وقد كانت تنشدني لنفسها اخل من هذا الكلام وكتبت ذلك عنها وهو ثابت في مواضع من كسبي وما تعلق بحفظي لها غير هذه الايات . حدثني أبي قال : أماشي المعوج الشامي الشاعر ببغداد وكان دقيقا دقيق الوجه أشهل معوج الوجه فلقينا مخنث فولع به المعوج فقال له المخنث : لا تسكت يا من كانه ديك يطلع في سطل فيه ماء فأسرع المعوج من يده وقال لو كان هذا شاعرا كان أشعر الناس والله ما شبهني أحد أصح من تشبيهه .

حدثني أبو الطيب ابن هرثمة قال : كنت مجنازا ببغداد ومخنث

اليوم يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ستين وثلاثمائة
وخلع عليه من الغد وهو يوم الاربعاء وكان القبض عليه يوم ثلاثاء وخلع
على أبي الفرج للوزارة صارفاً له يوم الاربعاء وبين الامرين أربعائة يوم
وجاء أبو الفرج فجلس في دار أبي الفضل ونظر في الوزارة :

يا سيداً طلمته لم تزل اشهى الى عيني من النوم
لم تظلم الناس وحاشاك أن تحيف بالظلم على القوم
جازيتهم مثل الذي اسلفوا في الرأي والمجلس واليوم

ثم خرج عن مجلسه فجلس جماعة في دار الوزير أبي الفضل فأنشدنا
شيخ حضر من الكتاب لابن زريق الكاتب في مثله وهو أبو القاسم
ابن زنجي قال انشدني ابن زريق لنفسه في الكوفي لما صرف :

إنا لقينا حجاباً منك ارمضنا فلا يكن ذلنا فيه لك انغرضا
فاسمع مقالى ولا تعجل عليّ فما ابغى بنصحك لا مالا ولا عرضا
في هذه الدار في هذا المكان على هذى الوسادة كان العز فانقرضا

انشدتني عائدة بنت محمد الجهنية لنفسها وهذه امرأة فاضلة كاتبة
كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد وخليفته على كتابة بحكم وسبكتكين في
الديوان الذي كان لأبي جعفر وجاءه ابن زريق فحجب ثم دخل بحيلة على
ما اخبرنا . قال : فأنشدته هذه الايات فلما ولى الوزارة نفعه واستخدمه
فلما قبض على الحسن بن علي المنجم وحبس ابنته في دار أبي وكل هذه
المرأة بها وهي اذ ذاك عجوز فكانت تنشدنا الاشعار وتنشدنا لنفسها كل

قد صار بالباب يستأذن عليك . قال : فنهض الشيخ وخرج اليه وقبل يده
وقال : أبيت أيدك الله الا الاخذ بالفضل . قال : لا تشكرني واشكر
ال خليفة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه على ذلك . ودخل اليه فقال : انك
انصرفت وقد أمضى خطابك وقد كان ما خاطبتك به على ضجر مني
وغير اعتقاد وركبت في الحمال الى الخليفة فخاطبني وأنا مشغول القلب بما
دار بيننا فوجد كلامي مضطرباً وأقسم عليّ الا أخبرته ^(١) فأخبرته فأخذ
يعذلي ويوبخني على ما لقيتك به وقال : لا تقف امض اليه الساعة معتذراً
وأخرجه من بيته واقض حاجته وانظر في أموره . قال : ثم دعا بدواة
فوقع لي بما كنت سألته بمال وصلني به وتصرف قلدي به ونهض فشكرته
ودعوت للخليفة وحمدت الله تعالى على ما وفقه لي .

حدثني أبو الحسين بن سهيل الحذاء قال حدثني أبو الحسن علي بن
عبد الله الحذاء قال حدثني جعفر الخالدي الصوفي قال كنا مع ابن واصل
الصوفي في سنة احدى عشرة بالهجير فاما أخذ الناس في الوقعة وبدأ السيف
في أهل القافلة اجتمعنا اليه فقلنا تدعو الله لنا أن يخلصنا . قال ليس هذا
وقت الدعاء هذا وقت الرضا والاستسلام انه اذا نزل القضاء لم ينفع الدعاء
حضرت أبا عبد الله بن الحجاج الكاتب البغدادي صاحب السفه
في شعره ينشد أبا الفضل الوزير ليوم قبض ببغداد على حرم أبي الفرج
محمد بن العباس وأسبابه وأطلق الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين وتقلد
الوزارة وكان محبوساً في دار أبي الفرج جلس فيها أكثر يومه وكان ذلك

وجرى كذا وكذا وأخبره بالخبر وسلم إليه التوقيعات بما أمر له به الخليفة والكتب الى مصر ووافقه على العمل وأخرج اليه .

وحدثني أيضاً عن ابن أبي خالد هذا قال : كان بغيضا قال : فاتفق أن بكر إليه يوماً رجل شيخ من شيوخ الكتاب يقال له ابن أبي الأضجيم متعطلا قد طالت عطلته يفتنم أن يراه سحرا جالسا يشكو إليه حاله ويسأله التصرف فبكر بكورا شديداً فتلقيه برد قبيح وقال : أيش هذا المهم في مثل هذا الوقت ؟ قال : فاحتد عليه الشيخ وقال : ما العجب منك العجب مني حين ربطت أملئ بك وأسهرت عيني توقعا للفجر في البكور إليك وأسهرت عيالي وغلماي وتحملت التجشم إليك وأنزلت بك حاجتي حتى تلتقاني بمثل هذا وعلى وعلى وحلف بأيمان البيعة لا دخلت دارك أبداً ولا سألتك حاجة ولا طلبت منك تصرفاً أو تحيئني إلى داري معذرا مما تلقيتني به وتقضى حاجتي في منزلي . ونهض فلما صار الرجل إلى منزله ندم ندماً شديداً وقال : هذا رجل لئيم الطبع سيئ الظفر شرس الخلق وأنا مضطر إلى لقائه ومسألته إلى حوائجي فلم حلفت بهذه اليمين وما أحد أسوأ حالا مني فإن هذا الوزير لا يفكر في ولا يجيئني والله أبداً ولا يكون لي طريق إلى قصده ويحس العمال بذلك فيخربون ضيعتي وتدوم عطلتي ويلحقني كيت وكيت وأقبل يalom نفسه ويؤنبها ويفكر كيف يعمل وقد أسفر النهار وتعالى إلى أن صار نحو ساعتين فدخل عليه غلماؤه فقالوا : ياسيدنا الوزير مجتاز في شارعنا . فقال : ما علينا منه . فدخل آخر فقال : ياسيدي قد والله عدل من الشارع الى دربنا وتبادر الغلمان فقالوا :

منه فوقف بحضرة الخليفة وجرى الكلام فقال له الخليفة : قد ألت عامل مصر بالمال وجنح الى المدافعة فاختر رجلا شهماً لنفذه مشرفاً عليه ومطالباً بما مضى . قال : وكان ابن أبي خالد يعتنى برجل متصرف يقال له الزبيرى فأراد أن يسميه لذلك فقال « الهبيرى » لما كان فى نفسه منه وقرب العهد بذكره والغيط من أمره . فقال الخليفة : أوعيش الهبيرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين لم أرد الهبيرى وإنما أردت فلان ابن فلان الزبيرى . قال : يجوز أن تكون أردت الهبيرى ^(١) ولكن أخبرنى بنجر الهبيرى فقد كانت له بى خدمة ^(٢) فى حياة أبى وبأسبابنا وهو واجب الحق علينا . فقال : نعم هو يعيش . قال : أحضرنيه حتى أشاهده فإن كان مختلاً أوت له بصلة وجار وإن كان ينهض بالعمل أنفدته . قال : يا أمير المؤمنين انه متطل منذ سنين وقد خمل وذهب اسمه وصوته وهذا عمل يحتاج الى من له نباهة . قال : اذا أقبلنا عليه ونديناه لمثل هذا الامر العظيم تجدد ذكره وتطرى أمره . قال : انه لا حال له ينهضه . قال : نطلق له من مالنا مائة ألف درهم يصلح بها حاله ونحمل اليه من البغال والدواب والخيم والآلات . قال : فأخذ يعقل عليه . قال : أرى فيك تحاملاً عليه لتصدقنى عن أمره معك . فتلجلج فقال : بحياتى أصدقنى . فصدق عن الخبر . فقال الخليفة : قد والله أجرى الله عز وجل رزقه على يدك بالرغم منك كما قال والله لا برحت أو تكتب عهده وتصله بجميع ما أمرته ثم عليّ بالهبيرى . فأحضر وخرج ابن أبى خالد عليه فقال : يا هذا قد والله جاء رزقك على يدى بالرغم منى

والله ما هذه الدراهم من مال الوزير ولا هي إلا من مالى ورسالته أقبح مما تذهب إليه وإنما كرهت تلقيك بها وأنت من شيوخ هذه الصنعة فتحملت لك هذا الغرم من مالى من غير علم صاحبى صيانة لك وله . فقال : أما أنت فأحسن الله جزاءك ولا حاجة بي إلى مالك ولو مصصت الثماد ولكن أنشدك الله إلا ما أبلغتنى رسالته بعينها وحزت بذلك شكرى . قال : فأديتها إليه على حقها وصدقها . قال : فقال أحب أن تتحمل الجواب . فقلت : قل . قال : تقول له والله ما آتيك لك نفسك وإنما أنت رجل قدصرت باباً لا رزاقنا إذ كنا لا نحسن صناعة غير الكتابة ولا تصرف فيها الا عندك ومن أراد دخول الدار يجب أن يأتيها من بابها وعلى الانسان أن يتعرض للرزق ويأتى بابه فان قسم الله له منه شيئاً أخذه وإلا كان قد أدى ما عليه وليس يمتنى استثقالك لى أن أقصدك فان قسم الله لى شيئاً من جهتك أو على يدك أخذته على رغمتك والا فلا أقل من أن أوديك برؤيتى كما تودينى بعطلى . قال : فانصرفت متعجباً منه ولم أعد على الوزير ذلك لئلا يعتاظ وتعافلت يومى فلما كان من الغد بكر الوزير خارجاً من داره وأنا معه فاذا بالشيخ فلما رآه التفت الى وقال : ألم أنفذك اليه برسالة ؟ قلت : بلى . قال : فلم عاد ؟ قلت : الخطب طويل طريف واذا اطمأن الوزير فى مجلسه حدثته . قال : فلما نزل فى طياره قال : اخبرنى بما جرى . فقصصت عليه القصة وحملى الدراهم من مالى وما جرى بأسره وأدبت اليه رسالته بعينها فكاد أن يطير غيظاً وانتهى الكلام وقد قدم الطيار الى دار الخلافة فدخل اليه وفى نفسه حديث الميرى والغيظ

واحد^(١). قال : وكان هذا في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فأخبرت أصحابنا بالخبر وبكينا على الكلام والعربية طويلا وافترقنا .
حدثني أبي عنه بأسناد ذكره أن رجلا من شيوخ الكتاب يعرف بالهيري لزمته العطلة وأضرت به فكان يلزم ابن أبي خالد الأحول وهو إذ ذاك يدير أمور الوزارة فطالت ملازمته داره وكان ابن أبي خالد يستثقله فحجب عن الدار فكان يبكر كل يوم فيقف على دابته بالباب حتى يخرج الوزير ثم ينتظره إلى أن يعود ويدخل الوزير وينصرف هو فطال ذلك على الوزير حتى برم به فقال لكاتب له : الق هذا الرجل وقل له : إنه لا تصرف لك عندي ولست أحب أن أراك في كل وقت فأنصرف عني ولا تقرب بابي . قال الكاتب : فاستحييت أن أؤدى عن صاحبي مثل هذه الرسالة إلى شيخ من جيل الكتاب وإن كان الزمان قد حطه وعلمت أن ذلك صدر من الوزير لسوء رأيه فيه ومقته له واستثقاله إياه فصرت إلى منزلي وأخذت معي خمسة آلاف درهم وصرت إلى الهيري فقلت : الوزير أعزه الله يقرأ عليك السلام ويقول لك : هو ذا يشق عليّ رؤيتك بالباب والأشغال تقطعني عنك ولا تصرف عندي أرتضيه لك في هذا الوقت وقد حملت إليك خمسة آلاف درهم فاستعن بها في نفقتك والزم دارك واربح العناء . فإذا سنع عندي شغل يصلح لك استدعيتك . قال : فاستشاط الشيخ وقال : جعلني من الشحاذة والمستمحين ينفذ إلى برقد والله لا قبلته . قال : فاستجهلته وداخلني غيظ من فعله فقلت : يا هذا

في الخلاف . قال : فوقعت ليلة في الدرب الذي كان ينزل اسمعيل بالبصرة صاعقة فلما أصبح قال لغلمانه : اكنسوا الى الباب وافرشوا الى عليه وإلا أرجف بي المخالفون . ففعلوا وجلس على بابه فاجتاز بعض جلة شيوخ البصرة من المخالفين فلما رآه قال : ألم نخبر أن الله رماك بصاعقة من عنده ؟ قال : ولم ؟ أنا أقول إني أرى الله جهرة ؟ وقال رجل من أصحاب إسمعيل بالبصرة إن القرآن مخلوق بحضرة غوغاء من العوام فوثبوا عليه وحملوه إلى نزار الضبي وكان أميراً على البصرة فحبسه فطاف إسمعيل على المعتزلة فجمع منهم أكثر من ألف رجل وبكر بهم إلى باب الأمير فاستأذن عليه فأذن له فقال : أعز الله الأمير بلغنا أنك حبست رجلاً لأنه قال إن القرآن مخلوق وقد جئناك ونحن ألف كلنا يقول إن القرآن مخلوق وخلفنا من أهل البلد أضعاف عديدنا تقول مقاتلتنا فيما حبست جميعنا مع أخينا أو أطلقته معنا . قال : فعلم أنه متى ردهم نارت فتنة لا يأمن عواقبها وأن الرأي يوجب الفرق بهم فقال : بل نطلقه لكم . فأطلقه وانصرفوا به عدواً .

حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الأيدجي القاضي قال : لما توفي الشيخ أبو هاشم الجبائي ببغداد اجتمعنا لدفنه فحملناه إلى مقابر الخيزران في يوم مطير ولا يعلم بموته أكثر الناس وكنا جماعة في الجنازة فبينما نحن ندفنه إذ حملت جنازة أخرى ومعها جميعة عرفتهم بالأدب فقلت لهم : جنازة من هذه ؟ فقالوا : جنازة أبي بكر بن دريد . فذكرت حديث الرشيد لما دفن محمد بن الحسن والكسائي بالرى في يوم

سمعت أبا طلحة يقول : روى فلان عن فلان بأسناد طويل من أصبح في يوم سبت وعنده طباهجة عنبرية وبالقرب منه باقلاني ولم يصطبح لا صبحه الله بخير ولا عافية .

أخبرني أبو الحسين أحمد بن يوسف ويعقوب بن اسحق بن البهلول التتوخي أن أبا حذيفة واصل بن عطاء خرج يريد سفرا في رهط من أصحابه فاعترضهم جيش من الخوارج فقال واصل لأصحابه : لا ينطق منكم أحد ودعوني معهم . فقالوا : نعم . قال : فقصدتم واصل واتبعه أصحابه فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا بهم فقال : كيف تستحلون هذا وما تدرون ما نحن ولاى شئ جئنا . قالوا : نعم فما أنتم . قال : قوم من المشركين جئناكم مستجيرين لنسمع كلام الله . قال : فكفوا عنهم وبدأ رجل يقرأ عليهم القرآن فلما أمسك قال له واصل : قد سمعنا كلام الله فأبلغنا مأمنا حتى نظر فيه (نظر في الدين) . فقالوا : هذا واجب سيروا . قال : فسرنا والخوارج والله معنا برماحهم يسترئوننا ويحموننا عدة فراسخ حتى قربنا من بلد لا سلطان لهم عليه فقالوا : ذاك مأمنا . فقال واصل : نعم فارجعوا عنا وانصرفوا . وذهب أبو حذيفة من ^(١) ذلك إلى قول الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) ^(٢)

حدثني أبو الحسين قال : كان إسماعيل الصفار البصرى أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة وكان الناس إذ ذاك يتشددون على أهل الحق ويباينونهم

(١) لعله في (٢) وردت الحكاية في الكامل للمبرد ٢ : ١٠٦

يا بني حسبك فالى هاهنا جررت برجل أبى من الدارحتى^(١) جررتنى منها^(٢)
حدثنى أبو الحسين بن سهيل الحذاء عن بعض الصوفية أنه قال :
طيب الطعام يستخرج لب الشكر . أنشدنى اسحق بن ابراهيم بن على
النصيبنى المتكلم لنفسه فى غلامه سعد :

وفق الله من دعاك بسعد فلقد كان فيه عين السعد

أبصر السعد غرة بين عينيـك فسمك باسمه المحمود

فاذا ما دعاك داع لامر كنت ياسعد فيه سعد السعد

وجدت فى كتب أبى كتاباً من أبى محمد المهلبى اليه قبل تقلده الوزارة
بسنين أوله :

كتابى أطال الله بقاء سيدنا القاضى عن سلامة لا زالت له إلغاً
وعليه وفقاً

وحمداً لمولى أستمده بحمده له الرتبة العليا والعز دائماً

وان يسخط الايام بالجمع بيننا ويرضى المنا حتى ترينه سالماً

وصل كتابه أدام الله عزه فقامت معظماً له وقعدت مشتملاً على

السرور به

وفضضته فوجدته ليلاً على صفحات نور

مثل السوالف والحدو د البيض زينت بالشعور

بنظام لفظ كالنفو ر أو اللآلى فى النحور

أنزلته فى القلب من زلة القلوب من الصدور

(١) لعله حيث (٢) هذه الحكاية أخذت من كتاب الاخلاق لارسطاطلس

ولقد هيج البلا حين عض السفرجلا
ولقد قام جبكم في فؤادي بأعلى العلا
فقال : خلطت . قال : أنا أبو عيشونة وحياة أصحابي أنج بنفسك .
فمضى الرجل وتركه . رأيت حذاء ماجناً باب الطاق يعرف بالمدلق
ويلقب بالقاضي يسمى النعال بأسماء من جنس الصفة على سبيل الهزل
فيقول لمن يخاطبه : هذه صلمكية وهذه راسكية وهذه قنوية . فقال له
واحد : كم أعطيت بها ؟ فقال : إذا نزلت في حلقك عرفتكم ثمها وأخذته
منك فتى وقعت في عنقك وكرهتها فأنا آخذها منك بالثمن . ورأيت
طبيباً يماجن على مريض وقد شكى إليه شيئاً فقال : هذا يدل على أنك
نارت بك الصفراء . وكان الذي شكاه المريض رطوبة فقال : يا هذا أنا
مرطوب فكيف تشور بي الصفراء ؟ قال : فالسوداء . قال : لا أعلم . قال :
الذي عندي أنه نارت بك الملمعة . فقطن الرجل لموضع قوله الصفراء
والسوداء ثم وصف له ما يصلح له مما شكاه إليه . قال لي أبو طلحة الحذاء
البصري وكان مألفاً للأحداث والمنادمين قال : قال لي صديق لي : أريد
نعلاً يكون لها وجه ملبح وأسفل وثيق . فقلت : يا حيبي عليك بفلان
العلق فإن وزنت خمسين درهماً في اليوم ولست أجد لك بهذه الصفة
إلا هو .

حدثنا أبو عبد الله بن ورام الكوفي المتكلم قال : كان عندنا
بالكوفة رجل له ابن عاق به فلاحاد يوماً في شيء جبر برجله حتى أخرجه
من بيته وسحبه في الطريق شيئاً كثيراً فلما بلغ إلى موضع منه قال له :

أحسننت والله يا أبا الحسن فقال : افس على كيف شئت . فنجعل جحظة .
قال : وأخبرني أنه كان معه في حديدى لابن الحواري وقد حملهم
إلى بلاشكر^(١) ليتفرجوا والحديدى يمدده الملاحون بالقلوس والجحظة بين
يدى الرجل قد صار فى أعلى الريح لأنها كانت شمالاً على سطح الحديدى
فأقبل جحظة فيفسو فأنكر الرجل ذلك وقال : يا هذا الفساء من أين هذا ؟
فقال جحظة هؤلاء المدادون سفلى وإذا مسدوا فسوا وهم أعلى منك فى
الريح فهي تحمل فسامم إلينا . قال : فتشبه ذلك على الرجل . فقلت له :
يا أبا الحسن لو أن فساء هؤلاء يريد الطراة التي تجىء على حبها مستويًا
إلى نفس الطراة ما وصل إلينا بهذه السرعة والريح من جهتك لا من
الملاحين وأنا أنبه عليك . قال : فأقبل يصانعى ويفتأى من يدى أن لا
أغمز به . فقلت : على شريطة أن تقطع . قال : نعم .

حدثني أبو القاسم الصروى الكاتب قال : كان بمدينة السلم شاطر
يعرف بأبى عيشونة فاجتاز به بعض العلماء من أهل الادب فى هيج قد
وقع وقد خرج ليأخذ ثياب المجتازين فقبض عليه وقال : اطرح ثيابك .
فقال : أنا فلان فاستحي منه فقال : خذ على ما أنشدك . قال : هات .
فقلت^(٢) :

خمسون الف فتى ما منهم أحد إلا كآلف فتى ضرغامه بطل
شدوا ثيابهم يوماً على أمل فأفرغوها وأدلوها على الاجل
فقال الرجل : أحسننت فبالله زدنى من شعرك . فقال :

الآخر فأذا هو دراهم طرية فوزن لى منها خمسمائة درهم . قال : ياسيدى تلك أمرت به وهذه الدراهم هدية منى . فأخذتها وانصرفت وصار الصيرفى صديق وداره لى .

حدثنى^(١) أبو الحسين ابن عياش قال : كان جحظة لما أسن يفسو فى مجالسه فيلقى من يعاشره من ذلك جهداً وكنت أحب غناءه والكتابة عنه لما عنده من الآداب وكان يستطيع عشتى وكنت إذا جلست أخذت عليه الريح وجلست فوقها جثته يوماً فى مجلس الادب والناس عنده وهو يملى فلما خفوا قال لى ولآخر كان معى أسماء لى وحدثنى ذلك الرجل هذا الحديث : اجلسا عندى حتى اجلسكما على لبود ، وأطمعكما طباهجة بكبود ، وأسقيكما معتقة اليهود ، وأنجركما بعود ، وأغنيكما غناء الممدود ، أطيّب من الندود ، فقلنا : هذا موضع سجدة . وجلسنا وصديق لا يعرف خلقه من الفساء وأنا قد أخذت الريح فوفى لنا بجميع ما شرطه وقال لنا وقد غنى وشربنا : نحن بالعادة فى صورة العلماء وبالعشى فى صورة المخنكرين فلما أخذ النبىذ منه أقبل يفسو وصديق يغمزنى ويتعجب فأغمزه وأقول : إن ذلك عادة له وخلق له وإن سيّله أن يحتمل إلى أن غنى جحظة صوتاً مليحاً الشعر والصنعة له فيه وكان يجيده جداً وهو :

إن بالخيرة قساً قد محن فتن الرهبان فيها وافتتن

ترك الانجيل حباً للصبا ورأى الدنيا مجوناً فركن

وطرب صديق ذلك عليه طرباً شديداً استحساناً له وأراد أن يقول :

وكذا كانت عادته إذا سكر فقام الناس من مجلسه وقت وقد طلع الفجر وأضاء وهو وقت تبكر الناس في حوائجهم فخرجت كأنى لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامى الثياب والعتيدة كارة فصرت إلى منزلى ونمت نومة ثم ركبت إلى درب عون أريد الصير فى حتى لقيته فى دكانه وأوصلت الرقعة إليه فقال : ياسيدى أنت الرجل المسمى فى التوقيع ؟ قلت : نعم . قال : أنت تعلم أن أمثالنا يعاملون للفائدة ؟ قلت : نعم . قال : وربحنا أن نعطى فى مثل هذا ما يكسر فى كل دينار درهم . قلت له : لست أضايقك فى هذا . فقال : ما قلت هذا لأربح عليك الكثير إنما أحب إليك تأخذ كما يأخذ الناس وهو ما عرفتك أو تجلس مكانك إلى الظهر حتى أفرغ من شغلى ثم تركب معى إلى دارى فقيم عندى اليوم والليلة وتشرب فقد والله سمعت بك وكنت أتمنى أن أسمعك ووقعت الآن لى رخيصة فإذا فعلت هذا دفعت إليك 'الدنانير بما تساوى من غير خسران . فقلت : أقيم عندك . فجعل الرقعة فى كمه وأقبل على شغله فلما دنت الظهر جاء غلامه ببغل فاره فركب وركبت معه وصرنا إلى دار سرية حسنة بفاخر الفرش والآلات ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير خل فتركنى فى مجلسه ودخل ثم خرج إلى بتياب أولاد الخلفاء من حمام داره وتجر وبخرنى بيده بند عتيق جيد وأكلنا أسرى طعام وأنظفه وقتنا إلى مجلس للشرب سرى فيه فواكه وآلات بمال وشربنا ليلتنا فكانت ليلتى عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد فلما أصبحنا أخرج كيسين فى أحدهما دنانير وفى الآخر دراهم فوزن لى خمسمائة دينار من أحدهما ثم فتح

ونمت وقد مضى نصف الليل فأكلت ما أصلح وغسلت يدي وأسرج
لى وأنا عامل على المضى إليه إذ طرقتى رسله فجثته فقال : بحياتى أكلت
شيئاً ؟ قلت : أعينك بالله انصرفت من عندك قبل المغرب وهذا نصف
الليل فأى وقت أصلح لى شئ أو أى وقت أكلت ؟ أسأل غلمانك على
أى حال وجدونى . فقالوا : والله وجدناه ياسيدنا وقد لبس ثيابه وهو ذا
ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها . فسر بذلك سرورا شديدا
وقدم الطعام فما كان فى فضل أشمه فأمسكت عن تشعيته ضرورة وهو
يستدعى اكلى ولو أكلت أحل دى . قال : وكذا كانت عادته . فأقول
له : هو ذا آكل ياسيدى وفى الدنيا أحداً كل أكثر من هذا وانقضى
الأكل وجلسنا على الشرب فجعلت أشرب بأرطال وهو يفرح وعنده
أنى أشرب على الريق أو على ذلك الأكل الذى خلست معه ثم أمرنى
بالغناء فغنيت فاستطاب ذلك وطرب وشرب أرطالا فلما رأيت النبذ قد
عمل فيه قلت : ياسيدى تطرب أنت على غنائى فأنا على أى شئ أطرب ؟
قال : يا غلام هات الدواة فأحضرت فكتب لى رقعة ورمى بها إليّ وإذا
هى إلى صيرفى يعامله بخمسمائة دينار فأخذتها وشكرته ثم غنيت فطرب
وزاد سكره فطلبت منه ثيابا خلعت عليّ خمسة أثواب ثم أمر أن يبخر من
كان بين يديه فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير فأخذ
الغلمان يبخرون الناس منه فلما انتهوا قلت : ياسيدى وأنا أرضى أن أبخر
حسب ؟ فقال : ما تريد ؟ قلت : أريد نصيبى من العتيدة . قال : قد
وهبتها لك . فأخذتها وشرب بعد ذلك رطلا آخر واتكى على مسورته

فأمر برفع الدجاجة فرفعت ومسح يده ودخل القوم فخطبهم بما أراد وانصرفوا فقال: ردوا الطبق فأحضر فتأمل الدجاجة ساعة ثم حرد وقال: أين تلك الدجاجة؟ فقالوا: هي هذه. فقال: لا وحق أبي عليّ بالطباخ. فحضر فقال: هذه هي تلك الدجاجة؟ فسكت. فقال: اصدقني ويحك. قال: لا. قال: فما عملت بتلك؟ قال: لما شيلت لم نعلم أنها ترد إليك فأخذها بعض الغلمان الصغار وأكلها فلما طلبتها أخذنا هذه فكسرنا منها وشعشنا مثلما كنت كسرت من تلك وشعشت طمعاً في أنك لا تعلم بذلك وقدمناها. فقال له: يا حمار تلك كنت قد كسرت منها الفخذ الأيمن وأكلت جانب الصدر الأيسر وهذه مأكولة جانب الصدر الأيمن مكسورة الفخذ الأيسر لا تعاود بعدها لمثل هذا.

حدثني أبو الحسين ابن عياش قال: حدثني جحظة قال: رجحت بأكلة أقريتها خمسمائة دينار وخمسمائة درهم وخمسة أثواب فاخرة وعتيدة طيب سريّة. فقلت: كيف كان ذلك؟ قال: كان الحسن بخيلاً على الطعام سمحاً بالمال وكان يأخذ ندماءه فيسقيهم النبيذ ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلاً ومن شرب عنده على الخسف حظى عنده. قال: فكنت عنده يوماً فقال لي: يا أبا الحسن قد عملت غداً على الصبوح الجاشري فبت عندي. فقلت: لا يمكنني ولكنني أباكرك قبل الوقت فعلى أي شيء عملت أن تصطبيح؟ فقال: أعد لنا كذا وكذا ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله. فعمدنا الرأي على أن أباكره وقت وجئت إلى بيتي فدعوت طباخي فتقدمت إليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه ويفرغ منه وقت العتمة فعمل

أشد قبض وقال : يا غث يا بارد يا قليل العشرة يا قبيح الأدب في الدنيا أحد يستحسن إفساد مثل هذه ؟ فقال ابن أخته : يا لئيم يا بخيل يا سيء الاحسان فلائى شئ يصلح ؟ يجعل عقدة في وجه التركة للأعقاب واسطة للمخائق في صدور المجالس سرية يتمتع بالنظر إليها ؟ ما أقدر شهد الله أن أدعها من يدي . فتصابرا عليها إلى أن قال له الفتى : فافتدها مني . قال : بما تحب أن أفعله ؟ قال : ببغلتك الفلانية . قال : قد فعلت . قال : بسرجهها وجامها الفلاني ؟ قال : قد فعلت . قال : ما أرفع يدي عنها أو يحضر ذلك . قال : يا غلام أحضره . فأحضرت البغلة والمركب فسلمها الفتى إلى غلامه وأخرجها ورفع يده عن الدجاجة وانقضى الطعام وشيلت المائدة وقام لينام . فخرج ابن أخته فقال للطباخ عليّ بالفأفة الساعة وبجميع ما شتموه من المائدة فأحضر إليه ورد الندمان وقعدوا فأكلوا ذلك وانصرفوا وقد أكل الدجاجة والطعام أجمع وحصلت له البغلة والمركب . قال : وإنما كان لا يطيق أن يرى ذلك يوكل فأما إذا نحى من بين يديه لم يسئل عنه ولم يطالب به أخبرني أبو الحسين بن الأزرق قال : حدثني أبي عن الحسن بن مخلد بهذا الحديث أنه حصل مع ابن خاله قال : رأيت الفتى قد غدا إلى ديوان الخراج على بغلة الحسن بن مخلد فسألناه عن السبب فأخبرنا بذلك سمعت أبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي يقول : كنت بحضرة ناصر الدولة ببغداد فاستدعى بشئ يأكله مستعجلا ليتعل به جأؤوه بدجاجة مشوية ورغيف واحد وسكر وملح وخل وقليل بقل فجعل يأكل وأنا أحاذيه إذ دخل الخاجب فأخبره بحضور قوم لا بد من وصولهم يحتشمهم

أخبرني غير واحد أن أسد بن جهور العامل كان بخيلا وله سؤدد يتقلد كبار الأعمال وهو عظيم الحال والمال قال : وكتب يوما إلى عامل له في رستاق : احمل إلى مائتي جوانييرة .^(١) فقال العامل : وما يصنع بهذه العجائز كلهن وهذه العدة كيف تجتمع لى من قرية ؟ جمع ما قدر عليه من النساء بين الشباب والعجائز وأنفذهن طوعا وكرها وكتب إليه : إن كتابك وصل بجمع مائتي جوانييرة وهذا لا يوجد إلا في بلد كبير وعدة رسائيق وقد جمعت لك كذا وكذا وحملته مع موصل هذا الكتاب . فلما قرأ كتابه قال : ادفعوهم إلى الطباخ وقولوا له يذبح منهن اليوم كذا وكذا ويصلح منهن كذا وكذا . ففعل له : يذبح لك النساء ؟ قال : وما طلبت نساء . قالوا : أنت طلبت نساء . قال : ردوا الكتاب . فردوه قال : إنا لله إنما أردت جوامرك^(٢) وكتبت جوانييرة ادفعوا إلى النساء شيئا وأصر فوهن واكتبوا إليه بجمع الجوامركات . ففعل ذلك وكان معروفا بالبخل على الطعام جدا وكان ندماؤه يلقون من ذلك جهدا وكان يحضروهم ويطالبهم بالجلوس ويحضر كل شئ لذيد شهى من الطعام فازدافه منهم أحد ولو دافعا استحل دمه وعجل عقوبته وكانت معهم^(٣) إذا شيلت المائدة أن يمسحوا أيديهم في لحاهم ليعلم أنهم ماشبعوا شيئا يزهمها . وكان له ابن أخت يجترئ عليه ولا يفكر فيه ويهتك ستره إذا واكاه . فقدمت يوما دجاجة هندية فائقة سرية فحين أهوى ابن أخته إليها قبض على يده

(١) كان الكلمة مركبة من جوان أى شاب وپير أى كبير السن (٢) كانها

مركبة من جوان ومرغ أى طير (٣) لعله عادتهم

وتسمعن في منزلك فيصير لك بمادته رسم وجاهك مع إخوانك باق
ببرك وملاقاك لهم فهم يحامون عليك العاقل منهم ويحافظ لك الآخر
فتصير في مراتب بدئ الأمر وفي جملة وتصير قيادتك كالتشيع عليك
والعقب لك وتخرج عن حد القواد المحض الذين يودون قائما وتكبس
منزلهم . قال : فاعتقدت في الحال أن الصواب ما قاله ومات في علة
جلمست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته وفرقها كما أمرني ثم بيضت الدور
وهي هذه وزدت فيها ما اشتيت واستزدت من الآلات والنقوش
والأبنية كما أردت وابتعت هؤلاء الجوارى والعلمان والخدم من بغداد
ودبرت أمري على ما قاله لي أبي من غير مخالفة لشيء منه فأنا أفعل هذا
منذ سنين كثيرة ما حقني فيه ضرر ولا خسرت ولا فيه أكثر من
إسقاط المروءة وقلة الحفل بالغيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأ وألتذ
أتم لذة مع هؤلاء الجوارى والعلمان والخدم ومن يعاشرني عليهم ودخلي
بهم أكثر من خرجي ونعمتي الموروثة باقية بأسرها ما بعت منها شيئا بحجة
فضة فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا وأضفته إلى ما
خلف أبي على وأمرى يمشي كما ترى . فقلنا يا هذا فرجت والله عنا
وأوجدنا طريقا إلى قضاء حقك واتخذنا نمازحه ونقول فضلك في هذه
الصناعة غير مجهول لأنك قواد ابن قواد وما كان الشيخ يدبر لك هذا
إلا وهو بالقيادة أحذق منك . فضحك وضحكنا وكان الفتى أدبا خفيف
الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحال فلما كان من الغد جمعنا له بيننا ثلثمائة دينار
من نفقاتنا وحملناها إليه فأخذها ورحلنا عنه .

بذلك أمورا ومنها أنك تبتدى بهذا فلا ينكر عليك في آخره ومنها أنك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية ولا يطعم فيك سلطان أو إن طمع فيك رشوت وبذلت من قدرة وجدة فتخلصت . فقلت : كيف أعمل ؟ قال تجلس إذا مت ثلاثة أيام للعزاء إلى أن تنقضى المصيبة فإذا نفدت تقدمت ^(١) وصيتي وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حقى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدى فتشتري من الجوارى والمغنيات والسواذج كل لون ومن الغلمان والمرد والخدم البيض والسود ما تحتاج إليه وتشتهي ودارك وضياعك وآلتك كما خلفته فإن احتجت إلى استزادة شئ فاستزد وتنوق وعاشر من تريد أن تعاشره من غير أن تدخل إليك مغنية قيان ولا من يأخذ جذرا وداخل الأمير والعامل وادعها مرة في شهر أو شهرين وهادها أيام الأعياد بالأطاف الحسنة والقهما كل أسبوع دفعة واجتهد أن تعاشرها على النبذ في دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحق واتخذ في كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يكون معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فإن ذلك أولا لا يظهر مدة طويلة فما ظهر صدق به أعداؤك وكذب به إخوانك وقالوا لعل هذا على سبيل التجوز والشهوة وعلى طريق التخالع أو مسامحة الإخوان وإلا فأى لذة له في ذلك وليس هو محتشا ولا مجنونا ولا فقيرا فيحتاج إلى هذا فيكثر الخلاف فيك مدة أخرى وأنت مع هذا قد وصلت سلطانك ولعل العشرة بينكما قد وقعت فتستدعى مغنياتك

(١) لعله سقط : بانفاذ

فقلت أفعل . فقال : أنا أعلم أنك ستتلّف جميع المال في مدة يسيرة فعرّفتني إذا افتقرت ولم يبق معك شيء تقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا ؟ فقلت : لا . قال : فتحمّل على رأسك ؟ فقلت : لا . قال : فتحسن تصرف وتكسب المال ؟ قلت : لا . قال : فعرّفتني من أين تعيش ؟ قال : ففكرت ساعة فلم يقع لي إلا أن قلت : أصير قوادا . قال : فبكي ساعة ثم مسح عينه وقال : لست أعيب : عندك هذه الصناعة فإنها ماجرت على لسانك إلا وقد دارت في فكرك ولا دارت في فكرك وأنت تنصرف عنها أبدا بعدى ولكن أخبرني كيف يتم لك المعاش فيها ؟ فقلت : قد تدربت بكثرة دعوای للتحاب والمعنیات ومعاشرتي لشراب النبیذ فأجمعهم على الرسم فسينفقون في بيتي ويعملون ما يريدون وأخذ منهم الدراهم وأعیش . فقال : إذا بلغ السلطان خبرك في جميعه فيخلقون رأسك وذقنك وينادی عليك ويفرق بجمّك ويبطل معاشك ويقول أهل البلد : انظروا إلى فلان كيف ينادی عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا . ولكن إن أردت هذه الصناعة فأنا أعلمك إياها وإن كنت لا أحسنها فلعلك تستغنى فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشيء . فقلت : افعل . قال : إنك تحلف لي أنك تقبل مني . خلفت فقال : إذا مت فاعمل على أنك قد افتقرت وأنفقت جميع مالك وافتقرت وابتدئ كن قوادا ولك ضیاع وعقار ودور وأثاث وآلة وجوار وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل كل ما في نفسك أن تعمله إذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وجیه عند إخوانك بمالك واعمل أنك قد أنفقتّه واجعل معيشتك بما تريد أن تجعله إذا افتقرت فمنها أن تستفيد

فقالوا ماترى ؟ قلت : نرى أن نفاتش الرجل فننظر ايش هو فان كان ممن
يقبل هدية أو برا عملنا على تكريمته وارتحلنا ولو كان بخلاف ذلك كينا
معتقدين له المكافاة فى وقت ثان وسألناه أن يحضرنا من نكترى منه
فأوبدقرنا ورحلنا. فتقرر رأينا على هذا فلما جلسنا تلك العشية على الشرب
قلت له : قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد أحد أحسن مما أضفتنا
ونريد الرحيل الى مصر لما قصدناه فى طلب التصرف وأنا فلان ابن
فلان وهذا فلان فعرفت نفسى والجماعة وقد حملتنا من اياديك ومنك
مالا يسعنا معه أن نحمد لك ويجب أن تعرفنا نفسك فنبث شكرك
ونقضى حقتك ونعمل على الرحيل . فقال أنا فلان ابن فلان أحد أهل
دمشق . فلم نعرفه فقلنا : إن رأيت أن تزيدنا فى الشرح . فقال : جعلت
فداكم أنا رجل قواد. فحين قال هذا خجلنا ونكسنا رؤسنا . فقال : ما بكم إن
لقيادتى خبراً أظرف مما رأيتموه . فقلنا : إن رأيت أن تخبرنا . فقال : نعم أنا
رجل كان أبائى تناء تجارا عظيمى النعمة والأموال وانتهت النعمة إلى أبى
وكان ممسكا مكثرا ونشأت له وكنت منخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء
والمغنيات والشرب فأتلقت مالا عظيما من مال أبى إلا أنه لم يؤثر فى حاله
لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه وأوصى فدعانى فقتال يابنى إنى قد جعلت
لك نعمة قيمتها مائة ألف دينار وأكثر بعد أن أتلقت على خمسين ألف
دينار وإن الاتفاق لا آخر له إذا لم يكن له بأزائه دخل ولو أردت تحقيق
هذا المال عليك فى حياتى أو الآن حتى لاتصل إلى شىء منه لفعلت
ولكنى أتركه عليك فاقض حتى بحاجة تقضيها لى لا ضرر عليك فيها .

المبيت وأغلقوا وانصرفوا فبتنا في أنعم عيش ليلتنا فلما كان السحر باكرنا الخدم فقالوا مارأيكم في الحمام فقد أصلح؟ فقمنا ودخلناه ودخل المرد معنا فمنا من أطلق نفسه معه مما كان امتنع منه بالأمس وخرجنا فبخرنا بالنند العتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرائى المحلاة وأخبرنا غلماننا أن صورتهم في ليلتهم كانت كصورتنا وانهم أتوا بجوارى الخدمة الروميات فوطئوهن فأقبل بعضنا على بعض يعجب من قصتنا وبعضنا يخاف أن تكون حيلة وبعضنا يقول هذا في النوم نراه ونحن في الحديث إذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجوارى لنا فحمدناهن عنده . وقال ايما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى أن يدرك الطعام أم اللعب بالشطرنج والترد والنظر في الكتب؟ فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والترد والدفاتر . فأحضرنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتين أو ثلاثا من النهار حتى أحضرنا مائدة كالمائدة الأمسية فأكلنا وقمنا الى الفرش والغلمان المرد فغمزونا وغمزهم منا من كان يدخل في ذلك وزالت المراقبة وانتبهنا فحملنا الى الحمام وخرجنا فبخرنا وأجلسنا في مجلسنا بالأمس وجاء أولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هن أحسن منهن فقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل فحملن معنا إلى الفرش فكانت حالنا هذه أسبوعا فقلت لأصحابي ويحكم أرى الأمر يتصل ومن الحال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عني وقد استطبتكم أنتم مواضعكم وانقطعت عن سفركم فما آخر هذا؟

هذا الاحتشام لضيافنا أعزهم الله أخرجن وهتك الستارة . قال : فخرج علينا جوار لم نر قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهم من بين عوادة وطنبورية وكراعة وربايسة وصناجة ورقاصة وزفانة بثياب فاخرة وحلى فغنينا واختلطن بنا في المجلس والجلوس وكان تجنبنا أشد وانقباضنا أكثر وضبطنا أنفسنا أعظم فلما كدنا أن نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يأسادة إن تمام الضيافة وحققها والوفاء بشرطها أن يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج إليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت إليكم نصف النهار بالغلمان فأخبروني بعفافكم عنهم فقلت لعلمهم أصحاب نساء فأخرجت هذى فرأيت من انقباضكم عن مآزحهم مالو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا ؟ قلنا : يا سيدنا أجللناك عن تبذل من في دارك لهذا وفينا من لا يستحل الدخول في الحرام . فقال : هؤلاء مماليكي وهن أحرار لوجه الله إن كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة منهم ويتمتع ليلته بها فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لا كون قد قضيت حق الضيافة . فلما سمعنا هذا وقد انتشينا طربنا وفرحنا وصحنا وأخذ كل واحد منا واحدة فأجلسها إلى جانبه وأقبل يقبلها ويقرصها ويمآزحها فتزوجت أنا بواحدة منهم وغيرى ممن رغب في ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد هذا ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤوا فأدخلوا كل واحد وصاحبه إلى بيت في نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش وفيه برذعة وطية سرية فبخرونا عليها ونومونا والجوارى إلى جنوبنا وتركوا معنا شمعة في البيت وما نحتاج إليه من آلة

الارض ولا ندرى أين نزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه والثياب جالس على باب دار شاهقة وفناء فسيح وغلمان بين يديه وقوف فقام إلينا وقال : أظنكم على سفر ووردم الآن . فقلنا نحن كذلك . فقال فتزلون عليّ وألح علينا وسألنا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيبته وحططنا على بابه ودخلنا ودخل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدعون أحداً من غلماننا يخدمنا حتى حملوه بأسره في أسرع وقت وجاؤونا بالطساس والاباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجالس حسنة مفروشة بأنواع الفرش الذي لم نر مثله وإذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور عدة وبستان عظيم وصاحب المنزل يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام . فقلنا نحن محتاجون إليه فأدخلنا الحمام في الدار في نهاية الحسن وجاء غلمانه نخدمونا بدلاً من القيم والمزين وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم إلينا مائدة حسنة جلييلة عليها من الحيوان وفاخر الطيخ والالوان ونادر الخبز وغريب البوارد وكل شيء وإذا بغلمان مرد في نهاية الحسن والزى قد دخلوا إلينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم ويظلف عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم اتبهننا فنقلنا إلى مجلس آخر على صحنين في أحدهما بستان حسن فأخرج إلينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شيء طيب حسن وشربنا أقداحاً يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة فاذا بجوار خلفها فقال غنين فغنى الجوارى اللواتي كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما

سمعت القاضي أبا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي يقول: كنت بحضرة القاضي أبي عمر بعد قبوله شهادتي بمدة على خلوة وأذن جري حديث الملاهي فقلت: فلان يضرب بالرباب. فصاح عليّ أبو عمرو قال: هاه هو ذا تهزأ بنا هو ذا تنمس علينا ما هذا الكلام؟ فقلت: ما هو أيد الله القاضي فوالله ما أدري أني قلت شيئاً يتعلق بما قاله القاضي. فقال: قولك يضرب كأنك لا تعلم أن الرباب يجر حتى يجيء صوته ولا يضرب به. خلفت له بآيمان مغلفة أني ما علمت هذا ولا رأيت الرباب قط. فقال: ان هذا آفة سبيل الصالح أن يعلم طرق الفساد ليجنبها على بصيرة لا جهل. فمدت الى داري فقلت لسائس كان معي: ويلك اطلب لي رباباً فطلبه وجاء به جره بين يدي فرأيت أنه وكان كما قاله أبو عمر صحيحاً.

قال: واجتاز أبو عمر بطريق قد كسر فيه دن خمر ومعه بعض الشهود فقال الشاهد: شه أفيه أفيه. فأمسك عنه فلما جاء في المجلس ليقم شهادة لزمته توقف عن استماعها فقامت قيامة الشاهد وطرح عليه من يسأله فقال: هذا كذاب أو جاهل لا يسعني قبوله وذكر حديث الخمر. وقال: ليس تحريمها يقلب رأتحتها في الطيب الى النتن حتى يقول هذا ما قاله وما قاله الا وهو يعلم أن رأتحتها طيبة فمنس وكذب أو هو جاهل بهذا القدر ولا أقبله.

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال: حدثني بعض الكتاب قال: سافرت وجماعة من أصدقائي نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق كان معنادة بغال عليها ثقل وغلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق

مفردة والدراريع الديباج مفردة وكذلك القمص والسراويلات والجباب والطيلالس والعمائم . قال : وكان له بنو عم ورثوه وأم ولد قد تزوجها فلما مات أخرجت جميع آلاته وقماشه وثيابه الا اليسير من الدار نخبته وذهب عليها صناديق السراويلات فلم تخرجها فجاء بنو العم فختموا على الخزان فلما انقضت المصيبة فتحوها فوجدوها « أخلى من فؤاد أم موسى » فخاصموها الى قاضى البلد فلم تنقطع الخصومة فدخلوا الحضرة فظلموا فأشخصت وحملت الى القاضى أبى جعفر بن البهلول ووقع اليه بالنظر فيما بينهم على طريق المظالم فحضر واغنده وأخذ يسائلهم عن دعواهم وهى منكرة جميعها فقالوا له : أيها القاضى فلان أنت أعرف الناس بمروءته وثيابه وما كنت تشاهده له وكاه كان فى يدها له وساعة مات ختمنا خزائنه وهى كانت فى الدار ولما فتحناها لم نجد له فيها الا عدة صناديق فيها سراويلات وقطعا يسيرة من ثيابه فأين مضى هذا ومن أخذه وما السبب فى عظم السراويلات وقلة الثياب ؟ قال : فأقبلت الجارية محتدة كأنها قد أعدت الجواب فقالت : أعز الله القاضى أما سمعت ما حكاه الجاحظ من أن رجلاً يعشق الهواوين فجمع منها مائتى هاون ؟ هذا كان يعشق السراويلات . قال : فضحك القاضى أبو جعفر وانفض المجلس من غير شئ فما استنصفوا منها بعد ذلك .

تقدم إلى رجلان بالأهواز فادعى أحدهما على الآخر حقاً فأنكره فسأله فقلت : أتخلف ؟ فقال : ليس له عليّ شئ فكيف أحلف ؟ لو كان عليّ شئ حلفت له وأكرمته .

رأسها الرصاص حتى خفي أمرها والتزقت وجعلت فيها حلقة وسيرا
وكنت أمشي وأتوكأ عليها فخرج علينا اللصوص والأكراد في عدة
مواضع وأخذوا كلما كان في القافلة ولم يعرض لي أحد إلى أن خرج
علينا آخر دفعة اللصوص رجالة فشلحونا فرأى أحدهم عكازي فاستلمها
فأخذها فلحقني من الجزع عليها بسبب الدنانير أمر عظيم فأخذ أهل
القافلة يتلهون بي ويقولون : معنا من قد ذهب منه الأموال والامتعة
ما قلق قلقك على خشبة . وأنا ممسك لا أصرح بما كان فيها . قال :
وتمادى السفر بنا إلى أن وصلت إلى مقصدي فبقيت منقطعاً بي واحتجت
إلى أن تصرفت يدي في بعض المهن نحو سنة فلما كان بعد سنة اجتزت
برهداري على الطريق وإذا بين يديه قناة تشبه قناتي وتأملتها فإذا هي ورطلتها
فإذا ثقلها بحاله فقويت نفسي وقلت للرجل تبيعني إياها ؟ فقال : نعم . فقلت
بكم فقال : بدرهمين . ولم أكن أملك غيرها فقلت أعطيه إياها على الله
تعالى فإن كان مالي فيها فقد فزت والا ابلى عذرا بيني وبين نفسي فأعطيته
الدراهمين وأخذت العكاز وصعدت إلى مسجد وطلبت أشفي من بعض
الأساكفة وأصعدت به معي إلى المسجد وشققت العصا فإذا بدنانيري
قد خرجت عليّ بعينها فأخذتها ورميت بالقناة وحمدت الله تعالى على
حفظ ذلك عليّ وانصرفت فتجهزت وخرجت إلى بلدي بتجارة وخير .
حدثني أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب قال : مات عندنا
بالأنبار فلان وأسماء وكان عظيم النعمة وافر المروءة كثير الثياب وكان
لكثرتها يحصل كل فن منها في عادة صناديق وكانت دراريعه الدبقية

طويلة ومراوضات بخمسين ألف درهم وقبضت الثمن ثم شك فيهما فأحضرنى وطالبنى بالمال . فقلت : إن كنت تريد أخذ المال باليد والقدرة فأنت السلطان مالى بك قوة وإن كنت تريد أخذه بحجة فيبنى وبينك أهل الصنعة . فقال : ليس بعمان من أثق بعلمه . فقلت له : فسر نديب قرية منك وهى المعدن فأنفذهما إلى هناك فإن قيل إنهما ليسا ياقوت رددت المال . ووضعت فى نفسى أن أتجر فى المال إلى أن ينكشف الأمر فأربح فيه مالا ثم أرد عليه أصل ماله . قال : فضمننى المال على الشرط والمقام وأنفذ الفصين فلما كان بعد سنة أو قريب منها أحضرنى وأخرج كتباً إليه من هناك يذكر فيها أنه جمع أهل الصنعة بسر نديب كلهم وعرض عليهم الفصين فقالوا : هما ياقوت أحمر إلا أن فيه رخاوة ولو كان أصلب من هذا ما له قيمة وإن هذا ياقوت ليس من هذا المعدن . فقرأت الكتب فقال : رد المال . فقلت ما يلزمى ما بعثك على أنهما من معدن سر نديب أو غيره من المعادن ولا على أنهما صلبان أو رخوان وقد شهد أهل المعدن أنهما ياقوت وقد نعتوهما بالرخاوة وقالوا : إنه لولا هذا العيب ما كان لهما قيمة ولولا هذا العيب ما بعثك بخمسين ألف دينار وأنا تاجر قد قصدت بلدك ولا تظلمنى . فقال لمن بحضرته : ما تقولون ؟ فقالوا : نحن معه فافرج عني

وحدثنى أيضا الحارثى عن حدثه : قال سافرت فى بعض الجبال وكان معى دنانير خفت عليها فأخذت قناة مجوفة وجعلت فى انبوبة منها الدنانير حتى امتلأت بها فلم تجلجل ولا جاء لها صوت ثم صببت فى

أعرفك أنك أنت الأحمق لا أنا . قال كيف ؟ قلت : قم معي حتى أعرفك ذلك . فأقته ومضينا حتى اجتزت بكسار بيدع التمر في قصعة والذباب يحيط بها فنحيت الرجل بعيدا من القصعة وجعلت الحجر عليها فحين استقر عليها طار جميع الذباب وتركته ساعة وهي خالية من ذبابة واحدة فما فوقها ثم أخذت الحجر فرجع الذباب ثم رددته فطار الذباب ففعلت ذلك ثلاث مرات ثم خبأت الحجر وقلت : يا أحمق هذا حجر الذباب وأنا قدمت في طلبه من خراسان يجعله الملوك عندنا على موائدهم فلا يقربها الذباب ولا يحتاجون إلى مذبة ولا إلى مروحة والله لو لم تبغى إياه إلا بخمسمائة دينار لا شترته منك . قال : فشيق شهقة قدرت أنه تلف ثم أفاق منها بعد ساعة وافترقنا وخرجت بعد أيام إلى خراسان والحجر معي فبعته على نصر بن أحمد أميرها بعشرة آلاف درهم .

حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد العسكري قال : كان عندنا بعسكر مكرم شيخ أصفهاني مشهور يعرف بالكافوري يتجر في الجوهر وكان حسن البصيرة بها فأخبرني أنه اشترى فصين وباعهما مالكهما على أنهما بجاذيين ^(١) ولم يعرفهما . قال فعرفتهما أنا وعلمت أنهما بلخش وهو جنس يشبه الياقوت الأحمر فاشتريتهما منه بثلاثمائة درهم وجلوتهما بالبصيرة فخرج لهما من الماء أمر عظيم واتفق أن خرجت إلى عمان وهما معي فعرضتهما على يوسف بن وجيه الأمير وادعيت أنهما ياقوت أحمر فوصفهما لكل جوهرى وكانوا يصدقونني فابتاعهما مني بعد خطوب

مضى انهزم بجكم فما كان بأسرع من أن جاءنا منهزمًا فطار الناس على وجوههم . وقال أبو العباس حرمة : اخرجوا . فتباطؤ السبب حليهن فلما زاد عليه الامر دخل فقال : ما اكنم إن كنتم قد صادقم صديقًا فأقيموا وعرفوني لأهرب وحدي وإن كنتم اتخذتم جنة فاحملوها معنا وإلا فالسيف قد لحق بنا فما هذا التباطؤ عن الهرب لنذكر ؟ خذوه بحديث الحلى ورهنه فكتب إليّ :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلبت الجوارى حليهن فلم تدع سوارًا ولا طوقًا على النحر مذهبا فاستحييت منه وبعثت بالحلى فأخذه ورحل بجواريه ورحلنا ودخل الديلم البلد .

حدثني أبو محمد عبد الله بن عمر الحارثي قال : حدثني رجل خراساني من بعض أصحاب الصنعة ممن كان يعرف الأحجار الخواصية قال : اجتزت برهداري بمصر فرأيت عنده حجرا أعرفه يكون وزنه خمسة دراهم مليح المنظر وقد جعله بين يديه في قماشه وكنت أعرف أن خاصيته في طرد الذباب وكنت في طلبه منذ سنين كثيرة فحين رأيته ساومته فيه فاستام عليّ به خمسة دراهم فلم أملكه ودفعته إليّ صاحبا فلما حصلت في يده وحصل الحجر في يدي أقبل يطنزني ويسخر مني ويقول : نخون هؤلاء الحمير لا يدرون أيش يعطون ولا أيش يأخذون والله إن هذه الحصادة رأيته منذ أيام مع صبي فوهبت له دائق فضة وأخذتها وقد اشتراها هذا الاحمق مني بخمسة دراهم . فرجعت إليّ وقلت له : يجب أن

فقلت لها أى شئ دهاك فردت بقول كئيب حزين
دهانى ان لست فى قالبى واخشى من الناس ان يبصرونى
وان يعبتوا بمزاح معى وإن فعلوا ذاك بى قطعونى
فقلت لها مرض تعرفين من المنكرين لهذى الشؤون
ومن كان يشقى إما رآك ويخرج من جوفه كالرنين
ومن كان يصفع فى الله لا يمل ويشد فى غير لين
ويسلح ملاك كيلى التمام إما على صحة أو جنون
فقارقه ذلك الاتزعاج وعادت إلى حالها فى السكون
أنشدنى أبو رياش أحمد بن أبى هاشم القيسى (ومحله من علم اللغة
والشعر المحل المعروف) لنفسه فى أبى محمد الملهبى وكان امتدحه فتأخرت
عنه صلته وطال إليه ترده على ما أخبرنى به أبو رياش قال فقلت :

وقائلة قد مدحت الوزير وهو المؤمل والمستاح
فماذا أفادك ذاك المديح وهذا الغدو معا والرواح
فقلت لها ليس يدرى امرؤ بأى الامور يكون الصلاح
على القلب والاضطراب جهدى وليس على النجاح
سمعت أبا يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الرامهرمزي يحدث أبى
قال : كان أبو العباس عبيد الله بن دينار صديقى وكان مقىا عندنا برامهرمز
فلحقته اضاقة فضيق على عياله فأتقذوا إلى أساورة ودمالج وخالخل
ذهب واقترضوا عليها ثلثمائة دينار فأقرضتهم ومضت شهور وجاء الديلم
يريدون البلد وخرج بحكم إليهم فتهارب الناس منهم وعملنا على الحرب

الرجل فرفع رأسه بعد ساعة وقال ردوا الرجل فردوه فاعتذر إليه وأمر له بصلة وقال : تأخذها إلى أن أقفلك ما يصلح لك فأنى أرى فيك مصطنعا فلما كان بعد أيام قلده عملا جليلا وصلحت حال الرجل .

حدثني أبو القاسم قال : كانت في أبي الحسين بن أبي البغل منافرة ومناكرة فورد عليه يوما كتاب من عامل له من بلد بينه وبينه فراسخ كثيرة وقد سحاه بسحاة غليظة واجتهد أبو الحسين في قطع السحاة بيده وجهد جهدا شديدا فما كان له إلى ذلك طريق فترك الكتاب ووقع بأشخاص العامل ومضى اليوم فلما كان بعد أيام قدم العامل فلما جلس بين يديه قال لصاحب الدواة : أين ذلك الكتاب الذى ورد منه بالأسحاة الغليظة ؟ فأحضره فقال له : اقطع هذه الأسحاة فرامها العامل ولم يكن فيها حيلة فأخذ سكيننا من دواة بعض الكتاب بحضرته فقطعها . فقال له : أرجع الآن إلى عملك فأنا دعوتك لتقطع هذه الأسحاة وأعلمك أنك أى وقت سحيت كتابا لك بمثلها أنى أستحضرك لتقطعه فرده في الحال إلى عمله وما تركه يقيم ساعة ولا سألته عن شيء في أمره .

وكان قد ولى القضاء بالبصرة في سنة ست وخمسين وثلاثمائة رجل لم يكن عندهم بمنزلة من صرف به لانه ولى صارفا لأبى الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى فقال فيه أبو القاسم بن بشر الآمدى كاتب القاضيين أبى القاسم جعفر وأبى الحسن محمد بن عبد الواحد :

رأيت قلنسية تستغيث من فوق رأس تنادى خذونى
وقد قلقت فهي طوراً تيمى ل من عن يسار ومن عن يمين

جميعها فقال له الرجل : إن رأيت أن تقرأها وتقف على جميعها فصخب وتغيظ وقال أليس كلها في معنى واحد قد والله بلينا بكم يا ظالمين كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفا لو كانت خزان الأرض اليّ لكانت قد نفذت . ثم قال للرجل : يا هذا مالك عندي تصرف ولا إليّ عمل ساعة أردته إليك ولا فضل من مالي ما أبرك منه بحسب هذا . قال : والرجل ساكت جالس إلى أن أمسك ابن أبي البغل فلما سكنت ومضت على ذلك ساعة قام الرجل قائما وقال أحسن الله جزاءك وتولى مكافأتك عني بالحسنى وفعل بك وصنع . قال : وأسرف الرجل في شكره والدعاء له والثناء عليه بأحسن لفظ وأجود كلام وولى منصرفا . فقال ابن أبي البغل : ردوا من خرج وقال له : تسخر مني على أيّ تشكرني على إياي لك من التصرف أو على قطع رجائك من الصلة أو على قبيح ردّي لك عن الأمرين أو تريد خداعي بهذا الفعل ؟ قال : لا ما أردت خداعك وما كان منك من قبيح الرد غير منكر فأنتك سلطان ولحقك ضجر ولعل الأمر على ما ذكرته من كثرة الواردين عليك وقد بعثت بمن حضر ونحوسي أن صار هذا الرد القبيح والإيأس الفظيع في بابي ولم أشكرك إلا في موضع الشكر لأنك صدقتني عما لي عندك في أول مجلس فعتقت عنق من ذل الطمع وأرحتني من التعب بالغدوة والرواح إليك وخدمة من استشفع بهم عليك وكشفت لي ما أدبر به أمرى وبقية نفقتي معي وأجلها تجملّي الذي أتجمل به في بلد آخر فأنا شكرتك على هذا وعذرتك فيما عاملتني به لما ذكرته أولا . قال : فأطرق ابن أبي البغل خجلا ومضى

ظلمك إياه . فقال : السمع والطاعة لأمر الوزير . فقال لى على بن عيسى :
انكب على رأس أبيك ويده فقبلهما . قال : ففعلت ذلك وجذب على بن
عيسى دواته ودرجا فأعطاهما أبا الهيثماء وقال : اكتب له بالضيعة إلى أن
تشهد . فكتب أبى بالضيعة لى وقال الوزير : خذ خذ فاذا عاد إلى البيت
فاكتب عليه العهد وأشهد عليه جماعة من العدول فان امتنع عرفنى حتى
أطالبه لك بذلك . قال : وخرجنا ونحن مصطلحون فلما صرنا فى الدهليز
قال أبى : يا حسن أنا علمتك على نفسى بالوصية التى وصيتك بها كاني بك
وقد جئت لتشكوني فلما صرت فى الدهليز ذكرت وصيتى لك فقلت :
لأن استعملها مع أبى أولى فلما صرت فى مجلس الوزير قلت له ما قلت ولم
تشكنى إليه . قلت : والله يا سيدى كان . فقال : إذا كان فيك من الفضل
ما قد حفظت معه وصيتى فى مثل هذه الحال فما ترى بعدها منى ما تكرهه .
فقبلت يده وعدت معه إلى دارنا فسلم إلى الضيعة وأشهد بها لى وصلحت
نيته بعد ذلك واستقامت الحال بيننا وكان قبول الوصية أبرك شئ عيى .
حدثنى أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصفهاني كاتب الأمير أبى
حرب سند الدولة الحبشى ابن معز الدولة ومحلّه من النبل والجلالة والثقة
والأدب والعلم مشهور قال : كان أبو الحسين بن أبى البغل يتقلد بلدنا
فأخبرني من حضر مجلسه وقد دخل إليه شيخ قدم من بغداد بكتب من
وزير الوقت ومن جماعة من رؤساء الحضرة وإخوان أبى الحسين بها
يخاطبونه بمضرته ونفعه فسلم وجلس وأوصل الكتب وصادف ضجراً
وضيق صدر وكانت أضبارة عظيمة فاستكثرها ابن أبى البغل ولم يقرأها

فقال : من تعنى ؟ فقال : الحسن هذا القائم فعل الله به وصنع . فقال له الوزير : يا هذا قد وسوست أى شئ كان أول هذا ؟ والله ما نطق هذا النقي فى أمرك بحرف ولا سمعته قط ذكرك بما يوجب عتبا عليه وكيف على فى تمكينى منه ؟ ولو فعل ذلك لفض به عندى من نفسه . فاستحي أبى وعلم أنى لم أخطب الوزير بشئ وأمسك . فقال له الوزير : لا بد من أن تحدثنى بما بينكما فإنك ما حملت نفسك على الرجوع إلا لأمر عظيم وهو ذا أرى الحسن أيضاً به أثر قبيح وقد سأنته فقال ان كرة أفلتت من يد غلمان ضرب معهم بالصولجان فأصابت وجهه فوقع الى أنه صادق فلما جئت الآن وقدرت أنه قد شكاك وقع لى أن هذا شئ من فعلك ولا بد أن تصدقنى . قال : فقص عليه أبو الهيجاء القصة كما جرت فأقبل عليه على بن عيسى فقال : ما تستحي يا أبا الهيجاء أن يكون هذا قدر حملك عن ابنك وأكبر ولدك فإذا كنت بهذا الطيش معه فكيف تكون مع الغريب وأى شئ كان فى مسألتك لك أن تهب له ضيعة لو فعلت ذلك ما كان ذلك بدعا من أمر الآباء بأولادهم ولما لم تسمح له بذلك قد كان يجب أن ترده ردّا جميلاً أو قبيحاً إذا اغتظت وأما أن تبلغ به ضرب السياط آه . قال : وزاد عليه فى العتب والتوبيخ وهو مطرق مستحي حتى قال له : وليس العجب من هذا حتى رجعت من عملك غيظاً عليه وقدرت أنه قد شكاك الى وأناى أطلق له بنقصك جئت عاتباً على لوهم توهمته فيه . قال : فأخذ أبى يعتذر اليه من ذلك فقال : والله ما أقبل عذرك ولا تنفعل عن نفسى هذه الآثار إلا بأن تشهد لحسن بالضيعة وتهبها له جزاء عن

بغداد وأنا وقيد من الألم والغیظ حتى وردت بغداد وكان الوزير إذ ذاك على بن عيسى وهو في غاية العناية بأبي وهو قلده العمل وكان يحبني ويكرمني ويختصني ففكرت أن أدخل إليه أشكو أبي وأريه الأثر الذي بي فقصدت دارنا فأدخلت البنلين والقماش الى الدار ولم أنزل وتوجهت الى دار الوزير فحين نزلت عن دابتي وصرت الى الصحن ذكرت وصية أبي لي في أمر الأهل وندمت على دخول دار الوزير وقلت : لأن أقبل الوصية في أبي أولى من قبولها في الأهل . فعملت على أن أغالط الوزير ولا أعرفه وجئت وسلمت على الوزير ووقفت بين يديه ولم تكن عادتي تجرى في جلوسى بحضرته فحين رأي أعظم الأثر الذى بوجهي وقال : ما لحقك ؟ وأنكره لأنه كان قبيحاً جداً . فقلت : لعبت بالصولجان والكرة فأفلتت فضربت وجهي . فقال : أليس كان قد خرجت مع أهلك فلم رجعت ؟ فقلت : خرجت مشيعاً فلما بعد عدت لألزم خدمة الوزير . قال : فأخذ يسأني عن مسير أبي فإذا بأبي قد دخل وإذا هو لما رجعت من الطريق وبلغه خبر رجوعي قد اغتاض فرجع إما يريدني أو ليقبض عليّ وجاء الى داره فعرف أنني لم أنزل وأني توجهت الى دار الوزير فلم يشك في أنني قد مضيت أشكوه فناء فوجدني أخاطبه فتحقق ذلك عنده فجلس فقال له الوزير : ما ردك يا أبا الهيثم ؟ فقال : أيها الوزير ما هذا حق خدمتي لك ومناصحتي إياك وانقطاعي إليك وأخذ يعتب على الوزير أعظم عتب وأنا قائم ساكت أسمع . فقال له الوزير : فما هذا العتب على أى شئ عملت ؟ فقال : تمكن هذا الكلب من ذكرى بحضرتك والتبسط في ؟

أهلك ويراك الناس عنده وجهياً فيكرمونك فان كان له منزلة من السلطان
جاز أن تصل اليها باستخلافه إياك عليها أو انتقاله الى ما هو أكبر منها
وكذلك ان كانت منزلة من غير سلطان . ولا تقل أنا أقعد منه في النسب
وإني خير قرابته وهذا أمس كان وضعياً وكان دوننا فان الناس بأوقاتهم .
فقلت : نعم يا سيدي . قال : ثم أقبل عليّ وونسني ^(١) وولد لي في نفسه
القيام على تلك الدواب منزلة فقال : اخرج معي الى العمل . وخرج فخرجت
معه وكنت أسايره الى جسر النهر وان أحادثه فولد ذلك الانبساط في
نفسى طمعاً فيه أن أسأله شيئاً فذكرت بجسر النهر وان أن له ضيعة جليلة
عظيمة بنواحي الموصل يقال لها النهر وان كنت اشتيتها فقلت له : يا سيدي
قد كثرت مؤنتي وتضاعفت نفقتي فلو وهبت لي النهر وان ضيعتك
لأستعين بغلتها على خدمتك ما كان ذلك منكراً . قال : حين سمع هذا
تغيظ غيظاً شديداً واندفع يشتمني بأقبح شتيمة وقال : يا كلب سمت بك
نفسك الى أن تملك النهر وان ؟ وقنعني بالسوط الذي كان في يده وهو
مفتول كالمقرعة فوقع السوط على وجهي فشجّه من أوله الى آخره وأحسست
بالنار في وجهي وورد ذلك على غفلة فتدأخلى ألم عظيم وغيظ مما عاملني به
أشد من الألم . وقلت في نفسى : ما كان هذا جوابي وقد كان يقنعه أن
يردني ولكن نيته فاسدة لي بعد وقصرت عن مسابرتي ولحقني غلmani
فوقفوا معي ساعة حتى صلحت قليلاً وسار هو فعننت رأس دابتي وأنفذت
من رد بغلين كانا لي في السواد عليهما قماشى وثيابي وغلmani ورجعت أريد

رددت أمرها إليك لأجربك بها في الأمور الكبار فان قت بها حتى
تصح وتبرأ وتضمن وكان فيك فضل لذلك قلت انك تصلح لما فوقه
وان لم تصلح على يدك فهو أول عمل رددته إليك من أمري وآخره .
فمعبت من أول عمل أهلني له أن أكون سائس دواب ولم أجد بداً من
الصبر فقلت : السمع والطاعة . وأخذت الدواب وأفردت لها اصطبلًا
وجعلت لنفسى فيه دكة واستأجرت لها سواسا وأدرت أرزاقهم وطالبتهم
بأشد الخدمة وكنت أحضر أمر الدواب دفعات في اليوم حتى توقع
وتعالج وتضمن وأفردت بياطرة فرها لذلك فما مضى عليها الا شهر وأيام
حتى صحت وسمنت وصارت على غاية الحسن . وأزف خروجه فقال لى :
يا حسن ما فعلت بتلك الدواب ؟ فقلت : قم الى الاصطبل حتى تراها .
فقام فرآها في غاية الحسن فسر بذلك وأعجبه وأثنى عليّ وقال لى : يا حسن
هو ذا أعلمك بدل قيامك بهذا الأمر شيئاً تنفع به وفيه قضاء حقل بقدر
ما أتعبتك فيه . فقلت : يا سيدى قل . قال : اذا رأيت السلطان قد رفع
من أهلك رجلاً أو الزمان قد نوه به ورأيتك فإياك أن تحسده وتشغل نفسك
بعداوته فانك تتعب ولا تصل الى فائدة وتسقط أنت ولا تضره هو
وتغتم أنت ولا يتأذى هو وتعرض من نفسك بغضك من رجل صار
كبيراً من أهلك فانه ما ارتفع الا بآلة فيه يرفعك بها أو اقبال يدفعك
عنه واجهد أن تخدمه وتصافيه الود ليكون ذلك الفضل الذى فيه فضلاً
لك وذلك الفخر راجعاً إليك وتجل بثنائه عليك واطرائه لك وتصير
أحد أعوانه فانه أحسن بك من أن تكون من أعوان غيره ممن ليس من

ثم بدأت بعمل مقصورتى التى أولها :

لولا التناهى لم أطع نهى النهى أى مَدَى يطلب من حاز المَدَى
حدثنى أبو عبد الله بن هرون التستري القريء وكان أقام بمسجدنا
بالبصرة قال : أقت أحفظ القرآن سنين كثيرة فلما بلغت الى موضع أنسيت
الذى قبله حتى كأنى ما سمعته قط فشق ذلك على خبيجت وتعلقت بأستار
الكعبة ودعوت الله تعالى وسأله أن يعيننى على حفظه ورجعت الى
البصرة فلزمت التلقين حفظت القرآن فى ستة أشهر على حرف أبى عمرو
ثم تعاطيت السبعة فما حال الحول على الا وقد حكمت أكثرها .

بلغنى عن بعض الصوفية أنه قال : الاستغفار صابون المعاصى والشكر
لله عز وجل سفتجة الرزق والصلاة جوارشن المعدة والصوم روباى البدن
واليقين الرأس الأكبر .

وعن بعضهم من أهل زماننا المعرفة بالله دليل لا ضيعة معه والعمل
الصالح زاد لا يخاف معه طول السفر .

حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد قال : حدثنى أبو اسحق محمد بن أحمد
القراريطي قال : حدثنى ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان
قال : كان أبى أبو الهيجاء شديد الانحراف عنى أول نشوءى لما يراه من
الفضل فى وخوفه منى على أعماله فكان يغض منى ويتجافانى ويمسك يده
عنى فأتحمل ذلك وأصبر عليه فولى طريق خراسان فجلس يعرض دوابه
فبقى منها خمسين دابة ما بين زمن وأعجف الى غير ذلك ثم قال : يا حسن
أريد أن أخرج بعد شهرين الى العمل وهذه الدواب مسالة اليك وقد

على الكمية مناقبه بنزار أولها :

أفئق من ملامك يا ظعينا كفاني اللوم مر الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيت فاشتيت حفظها لما فيها من مفاخر اليمن وأهلى فقلت : يا سيدي تخرجها إلىّ حتى أحفظها . فدافعني فألحيت عليه فقال : كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت ثم ترمي بالكتاب وتحلقه علىّ . فقلت : ادفعها إلىّ فأخرجها وسلمها إلىّ وقد كان كلامه أثر فيّ فدخلت حجرة كانت برسمي من داره فخلوت فيها ولم أتشغل يومى وليلتى بشئ غير حفظها فلما كان في السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها فخرجت إليه غدوة على رسمي جلست بين يديه فقال : هي كم حفظت من القصيدة ؟ فقلت : قد حفظتها بأسرها . فغضب وقدر أنى قد كذبت له وقال لى : هاتها فأخرجت الدفتر من كمى فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد الى أن مضيت فى أكثر من مائة بيت فصنح منها عدة أوراق وقال : أنشد من هاهنا فأنشدت مقدار مائة بيت الى آخرها فباله ما رآه من حسن حفظي فضمنى اليه وقبل رأسى وعينى وقال : بالله يا بنى لا تخبر بها أحداً فانى أخاف عليك من العين .

حدثنى أبى قال : حفظنى أبى وحفظت بعده من شعر أبى تمام والبحترى سوى ما كنت أحفظه لغيرهما من المحدثين والشعراء^(١) مائتى قصيدة قال : وكان أبى وشيوخنا بالشام يقولون : من حفظ للطائيين أربعين قصيدة ولم يقل الشعر فهو حمار فى مسلاخ انسان . فقلت الشعر وسنى دون العشرين

انقذني صاحبي لا تق في رجال لأبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء فأنقذت
فيهم واستفضلت أنا وكاتب أبي محمد والجهيد والنقيب نحو عشرة آلاف
درهم فقالوا : ندخل في موضع ونحاسب ونقسم . فدخلنا مسجدا حيا
دار أبي محمد ولم نر فيه إلا رجلاً عليلاً نائماً كأنه سائل خقرناه وأخذنا
نحاسب ونقول وصل إلينا من رزق فلان الساقط كذا وفلان البديل
كذا ومن الصرف كذا ومن فضل الوزن كذا ومن كذا كذا إلى أن
حصلنا مبلغ الفضل وما يخص كل واحد منا فأقبلنا نزن . فشال العليل
رأسه وقال : يا أصحابنا أخرجوا إلى قسطا . فقلنا : ومن أنت ؟ قال : أنا
رجل من المساكين قد سمعت ما كنتم فيه . فقلنا : هو ضعيف أعطوه
خمسة دراهم . فقال : لا أريد إلا قسطا صحيحا بالسوية مثل ما يأخذه
أحدكم . فاستخفناه فقال : لا عليكم إما أعطيتموني ما التمت والا جلست
الساعة في سميرية ومضيت إلى أبي بكر الصيرفي وقلت : انكم أخذتم
باسم فلان البديل كذا وكذا (قال فأعاد جميع ما قلنا وتحاسبنا عليه حتى ما
أخل بحرف واحد منه) فأقل ما يعمل بكم إذا لم يصرفكم ويؤذكم أن
يرجع منكم ما سرقتم . فنظرنا إلى ما قاله فوجدناه صحيحا فرمنا منه أن
يقتصر على بعض ما طلبه . فقال : لا والله إلا بقسط كما يأخذ أحدكم .
فلما نجد من دفع ذلك إليه بدءاً فدفعنا إليه قسطاً مثل ما أخذه واحد منا
فأخذه وافترقنا .

حدثني أبي قال : سمعت أبي ينشد يوماً وسنى إذ ذاك خمس عشرة
سنة بعض قصيدة دعبل الطويلة التي يفتخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم ويرد

كنا فيه فقال : يا شيخ لا تستحي تمدحنا بقصيدة ليست لك تدعيها ؟
قال : ولم أكن أعرف خبره في سرعة الحفظ فقلت : أعيدك بالله يا سيدي
والله ما قالها غيري . فقال : سبحان الله هذه علمنيها المعلم في المكتب
من كذا وكذا سنة . وابتدأ ينشدها حتى مضى في جميعها ما أخل بيت
واحد وكانت فوق الخمسين بيتا فأسقط في يدي فحجبت واندفعت أحلف
بالطلاق والعناق أمها لي وأنا لا أدري من أين أتيت . فلما رحمني القاسم
قال : يا هذا لا تقلق فأني أعلم أنك صادق ولكن أبا عبد الله لا يسمع
شيئا ينشد طويلا ولا غيره إلا حفظه في دفعة واحدة يسمعه وإنه حفظها
لما انشدتنا إياها وأجازني وانصرفت .

حدثني أبي أن جماعة كان عملها جعفر بن القاسم تحتوى على ارتفاع
فارس أو ناحية من فارس (الشك مني) ومشايخ الناحية ومعاملاتها
وخارجها وما أدى وما بقي ودخل ذلك وخرجه وكان يرفع حسابها إلى
الوزير وطلبت الجماعة فتقدت فقال أبو عبد الله ^(١) : لا عليكم وأملاها
من حفظه في الحال بحضرة الوزير ودفع ^(٢) الحساب عليها ثم وجدت
الجماعة التي كانت ضاعت فقبول بها التي أملاها من حفظه فوجدت
موافقة لها حرفاً بحرف إلا في باب واحد فانه جاء به مقدماً
ومؤخراً .

حدثني أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عنيويه الكاتب قال :
حدثني الكرماني كاتب كان لأبي بكر ابن الصيرفي صاحب الجيش قال :

(١) بالاصل : أبو جعفر (٢) لعله ورفع

بلغ أبي أن الشمع اذا عتق عشرات سنين ثم استعمل كان ما يحترق منه هذا القدر ونحوه . فعتق شمعاً كثيراً ونسيه ومات وتشاغت بعده عن استعماله فلما احتفلت هذه الدعوة الآن ذكرت الشمع العتيق الذي في خزانتنا فأخرجت هاتين منه وكان أمرهما ما رأيت وصحت التجربة لنا فيها .

أخبرنا أبو الفرج الأصفهاني قال : أخبرنا أبو بكر يموت بن المزرع قال : سمعت أبا عثمان الجاحظ يحدث أنه رأى حجاً بالكووفة يحجم بنسيئة الى الرجعة لشدة إيمانه بها . أخبرني به أبو الفرج الأصفهاني قال : سمعت رجلاً من القطيعة يؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن علياً ولي الله محمد وعلى خير البشر . فمن أبي فقد كفر . ومن رضى فقد شكر . ضرطت هند على ابن عمر . حى على الصلاة حى على الفلاح حى على خير العمل الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وهذا عظيم مفروط ونستغفر الله منه ونستعيذه من الجهل . أخبرني جماعة من البغداديين أن الحنابلة بنوا مسجداً ضراراً وجعلوه سبباً للفتن والبلاء فتظلم منه الى علي بن عيسى فوقع على ظهر القصة أحق بناء بهدم وتعفية لرسم بناء أسس على غير تقوى من الله فليالحق بتواعده ان شاء الله تعالى .

حدثني أبي قال : حدثني أبو عبد الله المنجبع قال : أنشدت أبا محمد القاسم ابن محمد الكرخي قصيدة طويلة مدحته بها فلما استتمتها خرج ابنه أبو عبد الله جعفر بن القاسم من خيش كان فى صدر المجلس الذى

أبا محمد المهابي قال: اجتزت ببغداد في بعض طرقها فرأيت الناس مجتمعين على رجل طريح فقلت : ما هذا ؟ فقالوا الشبلى جاز الساعة على هذا الهراس ومناديه يقول الى كم تغلط ؟ فتواجد وصاح حتى أغشى عليه . قال فضيت وعجبت من جهله فرأيت بعض الصوفية فأخبرته الخبر وقلت له : ويحك أيش في هذا حتى يصيح الشبلى منه ويتواجد ؟ فقال : يعتقد أن الله تعالى يكلمه على لسان المنادى . فقلت : هذا أظرف لو كان بجذاء المنادى مناد الهراس آخر يصيح مثل صياحه الى كم تغلط ؟ أيهما كان كلام الله ؟ فقال : الجواب عليه في هذا .

ومن الأخبار المفردات أيضاً ما أخبرني أبو الحسين بن عياش قال : دعا أبو الطيب بن أبي جعفر الطائي مع أبي القاسم سليمان بن الحسن وابنه أبي محمد دعوة أنفق فيها مائتي دينار وأظهر من الآلات والنعم والاروة كل شيء حسن ظريف غريب فاخر وكان أحسن ما شاهدنا له شمعتين موكيتين فيهما ثلاثون أو أربعون مناً في تورين كبيرين نصبهما في وسط المجلس وفرق الشموع الصغار حواليهما وكان القراشون اذا أرادوا قط الشمعتين تناولوا شديدا حتى يقطوها وكان لون الشمعتين غير مليمح يضرب الى البياض مما قد عشب عليهما التراب وجلسنا الى قريب من الغداة وهما يتقدان في ليلة شتوية ونمنا واتبيننا وهما يتقدان فاذا الذي اتقد من كل واحدة منهما أصابع يسيرة وهما بحالهما . قال : فماتما سكنا أن سألته فيما بيني وبينه عن سبب ذلك . فقال : هما عندي وعند أبي منذ خمسين سنة ما استعملناهما وعندنا شمع كثير هذا سبيله فعمدنا تعتيقه لأنه

ثم تقدم إلى الزيت فاعترف بكفه منه فغسل به صدره وذراعيه وهو يصيح صياحا شديدا يوم به من حضره أنه يريد الدعاء وكان عندي أنه تألم وتوجع وتأوه ثم نزل فأقبل يدعو ويقول للعامة : أنا أرجو أن أجيشكم بعد أيام بسباع الأجمة أقودها بآذانها . فحملناه معنا إلى منزلنا وتغسل بماء حار وتذلك ونجربناه وأقام عندنا يومه فسألناه عن سبب ذلك فقال : من أطاع الله أطاعه كل شيء . فأمسكنا عنه فلما كان بعد أيام جاء جماعة من الأنبار فقالوا : نحن نغلي الزيت ونعمل كما عمل ونغلي القار ونأخذ من القدر بإيدينا حارا . قال : فجمعناهم بحضرته فعملوا ذلك فأبلس وقال : هذا إنما حلقتم بركتي . وهرب من البلد من غد . فسألنا الذين عملوا ذلك فقالوا : جربنا على أنفسنا وتصبرنا كما يصبر الواحد منا على الماء الحار الشديد الحرارة في الحمام ولا يصبر عليه آخرون .

ويشبه هذا ما أخبرني به أبو احمد بن أبي سلمة العسكري أحد الشهود بها أنه شاهد رجلا يدخل يده في قدر السكر الحار ويخرج منه ما يطرحه في الظروف .

وأخبرني أبو الطيب أنه رأى الشبلي الصوفي يدخل يده في طنجير حار فيه فالودج حار مغلي فيأخذ من اللحم فيأكلها . قال : وهذا أشد ما شاهدته وفعل ذلك مرارا فقال له في بعضها صوفي كان حاضرا : ويحك اعمل أن يدك كسنتيان^(١) حلقك مصبرج ؟ قال : وكان الشبلي ينتف شعر رأسه وكانت لهذا الشبلي عجائب وحكايات : منها ما سمعت الوزير

فوقعت بخط يدك قطعها الله يا عاجز ألا سادته ثم حملته يا عاض كذا وكذا أردت أن ينطبق لفظك بانطباق ناظرى يا غلام اصنع فصنع وأخذ خطه بالمال .

ومن الأخبار المفردات ما أخبرنى به أبو الحسن أحمد بن يوسف ابن الأزرق قال : قدم علينا بالأنبار رجل من أهل القصر يقال له عمر يعظ العامة ويرى نسكا ويقول : من أطاع الله أطاعه كل شئ وإنه يغمس يده فى الزيت الحار المغلى الشديد الحرارة فلا يضره . فافتتن أهل البلد به واجتمعوا إلى الجامع ليشاهدوا ذلك وسألونى بالحضور فحضرت وإخوتى وسلطان البلد وقد نصب ديكدان فى صحن الجامع على دكة ووضع فوقه طنجير والرجل قائم يصلى فلما جئنا طلبوا زيتا فأقذت على يد غلامى جفاؤوا بخماسة فصب فى الطنجير وأوقد عليها وقود جيد شديد فلما أغلى الزيت وشق^(١) أقبل على أخى وقال يا أبا أحمد الله الا يكون ما أحضرته غير الزيت فأهلك . فحين قال هذا انكشف لى انها حيلة فقلت له : ما هو إلا الزيت . فنزع ثيابه وعمل على بقية كانت فى الخماسية من الزيت مقدارها نصف رطل فصبها فى الطنجير ودعا شاربا فغسل يده غسلا شديدا وذراعيه وصدره ثم أخذ كفا من الماء البارد فرشه على الزيت فزاد نشيشه ثم صعد على الدكة وفى يده صنجات فرمى بها فى الطنجير ثم أدخل يده بسرعة شديدة وصاح بأعلى صوته لا إله إلا الله وغرف بكفه الصنجات فأخرجها ورمى بها بحدة وهو يصيح يا الله يا الله بأعلى صوته

غريب من الخلال في كل بلدة اذا عظم المطلوب قلّ المساعد
حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش قال : لما ولي أبو القاسم
سليمان بن الحسن بن محمد الوزارة صار فألاً بي على بن مقلّة وتضمنه هو
وأبو العباس الخصبي بالمال الذي ضمناه به وتسلماه وكنت أختلف إلى
أبي القاسم على رسمي في الملازمة فأرى أبا العباس بحضرته يخاطبه في معنى
أبي على والنشديد في مطالبته وربما أحضره ليوقعا به فأقوم لثلاث إراني
فيطالب فيضرب فإذا أوجعه المكروه قال : لي في موضع كذا وكذا كذا
فيرفع المكروه عنه ويمضون إلى الموضع ولا يجدون لما ذكره حقيقة .
فإذا قال : مالي حال ولا مال وإنما بردت عن نفسي في الحال ودفعت
الموت فلا يتمكن أبو القاسم سليمان من رد المكروه عليه أياما فطالت
قصته ولم يستخرج منه شيء فخرت بينه وبين أبي العباس مخاصمة بهذا
السبب قال : لا بد من بسط العذاب عليه حتى يروج منه المال من جهته
وكان سليمان يستحي فتقرر الرأي على أن نقل إلى دار أبي الحرث وكان
الخصبي يحجى إليها فيعاقبه ويستخرج المال منه . قال : فاتفق أني دخلت
يوماً مسلماً على أبي الحرث وعزمتنا على الجلوس للأنس فدخل الخصبي
فدخلت بيتاً من الدار لثلاث إراني وخلياً وأخرجنا ابن مقلّة فأخذ الخصبي
يؤنّجه ويستخف به على ما ارتكبه منه ومن سليمان ويشتق منه بالخطاب
بكل لون قبيح وقد أقامه بين غلامين وأقام خلفه آخر إلى أن قال له في
جملة كلامه : أقرأني يعقوب البريدي جوابك إليه لما عدت من البحر
في ظهر كتابي إليك تقول إنه قد امثل أمرك في نفي وحمل إلى اليمن

حاصل منذ أيام عندي فما الذي يأمر الوزير فيه ؟ فقال : يا سبحان الله كأنك قدرت اني استثنيت به لنفسى لقد قبحت في الظن وانما أردت بذلك الاصلاح لحالك وأن أعتقد لك نعمة يبين بها أثر صحبتي عليك فأصلح به أمرك . قال : فقبلت يده وشكرته وعدت الى منزلى وما أتمالك فرحاً حين علمت حصول المال لى حدثتني نفسى بالوزارة ودعتني نفسى الى تأهيل نفسى لها والسعى فى طلبها فما زلت من ذلك الوقت أشرع فيها حتى تمت لى .

حدثني أبو الحسين بن عياش قال : كنت بحضرة أبي على بن مقلة وقد أرجف له بالوزارة الأولى فدخل عليه شيخ من الدينارين كان يكرمه أبو على فأعظمه وجلسا يتشاوران طويلاً ثم زاد الكلام حتى سمعت كلام الشيخ وهو يعاتبه على طلب الوزارة ويثنيه عنها ويشير عليه أن لا يدخل فيها وأبو على ساكت فلما انقضى كلامه قال له أبو على : بلغنى عن معاوية وهو ممن لا يدفع عن علم بالدنيا أنه من طلب عظيمًا خاطر بعظيمة . قال : فقال له الشيخ : أستودع الله الوزير . وقام فما كان الا بعد أسبوع أو أقل حتى خلع على أبي على وقلد الوزارة .

حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله قال : كنت بسيراف وقت اجتاز بها أبو عبد الله البريدى يقصد على بن بويه فأعظمه الليث وحمله ولقيه وجوه سيراف فى الجيش والناس كلهم وكنت فيهم فسمعتهم وهو على دابته وهو يقول من طلب عظيمًا خاطر بعظيم . وما أحسن ما أنشدنا المتنبي لنفسه من قصيدة مشهورة :

وخطبنا في النفوذ الى المعتمد لشهد عليه بذلك . فقالت الجماعة : السمع والطاعة ونهضت غيرى فاني سكت وجلست . فقال الموفق : شئ تقول ؟ فقلت : ان أذن الأمير الناصر أعزه الله قلت . قال : قل . قلت : أيها الأمير تنفذني الى إمام ولسنا نأمن أن يشهدنا على غير ما نريد أن يشهدنا عليه واذا وقفنا بحضرته فأشهدنا لم يجوز أن نشهد على غير ما يشهدنا عليه فما تأمر ؟ قال : فكأنني أيقظته من رقدة وأعلمته أنه ان أشهدنا على تثبيت أمر المنفوس وخلعه هو وتفسيقه وقع الأمر موقعه . فقال : أحسن الله جزاءك وأضرب عن انفاذنا . قال : ثم كان يختصني بعد ذلك ويستدعيني في أوقات وكان ذلك أول ما بان من محلي عند أهل بلدي وتقدمت عليهم . حدثني أبو الحسن بن الأزرق التتوخي قال : حدثني بعض أصحابنا قال : حدثني أبو علي بن مقلة قال : كنت خصيصاً بأبي الحسن ابن الفرات قبل وزارته الأولى وكاتباً له فلما تقلد الوزارة استدعاني بعد جلوسه وقال : أحضر ابن الأخموش التاجر وجماعة من التجار وغيرهم وبايعهم ثلاثين ألف كرم من غلات السواد واستنقص السعر معهم واستثنى في كل كرم دينارين وطالبهم بحصول الاستثناء اليوم وحصله وعرفني . قال : فأحضرتهم وقررت السعر معهم وطالبتهم بالاستثناء عاجلاً فقالوا : تصححه في مدة ثلاثة أيام . فعرفته فأجاب فقال : اذا حصل الاستثناء فاكتب لهم الى العامل بتسليم الغلات وقبض الأثمان . فلما كان في اليوم الثالث حملوا مال الاستثناء وكتبت لهم بالتسليم وقطعني شغل عرض عن مطالعة الوزير بذلك فلما كان بعد يومين قلت له : ذلك المال الذي استثنى به من غلات السواد

البطيخ فأنجب فلما طالبتة بالأجرة احتسب على بالاربعين ديناراً التي بر بها
 الثغرى بشفاعتي . وكان سبب سقوط محله على ما أخبرني به أبو الحسين
 ابن عياش القاضي قصة ابنته فانه ذكر أن الخبر استفاض ببغداد أنه دخل
 داره فوجد مع ابنته رجلاً ليس لها بمحرم فقبض عليه وعمل على ضربه
 بالسياط فأشير عليه أن لا تفعل وقيل له : ان في ذلك هتكاً لابنتك ولك
 فأطلق الرجل وقيد المرأة واحفظها . فلم يقبل واستدعى صاحب الشرطة
 فضرب الرجل بالسياط على باب داره وكان الرجل ظريفاً فأنشأ يقول
 متمثلاً وهو يضرب

لها مثل ذنبي اليوم ان كنت مذنباً ولا ذنب لي ان كان ليس لها ذنب
 يا قوم أيحد أحد الزانيين دون الآخر اخرجوا صاحبتى والا فافرجوا
 عني . قال : فافتضح بذلك واهتك وتناوله الشعراء والخطباء والناس حتى
 سقط محله وكان من ذلك ما قاله ابن بسام في قصيدة أولها
 يا قومنا ان القيامة دايه زان يحد ولا تحد الزانية

وعمل البيت الأول بيت تمام له وهو
 فيا بعل ايلى ليس يجمع سلمها وحربى وفيما بيننا سبب الحرب
 حدثني أبو أحمد عبد الله بن عمر السراج الواسطي المعروف بالحارثي
 قال : حدثنا أبو بكر قال : حدثني يوسف بن يعقوب المقرئ الواسطي
 قال : لما دخل الناصر لدين الله الموفق مدينة واسط بعد صاحب الزنج
 وأقام بها والمعتمد بنم الصلح ووقعت المراسلة بينهما في خلع المنقوض وتقليد
 العهد من يختاره الموفق استدعاني الموفق وجماعة من شهود واسط

ابو عبد الله بن ابي عوف وأمر بإبعاد دابته لتقدم دابة الوزير وحلف الوزير انه لا يركب ولا يقدم دابته حتى يركب ابن ابي عوف . قال فرأيتاه قائماً والناس قيام بقيامه حتى قدمت دابة ابن ابي عوف فركبها ثم قدمت دابة الوزير فركبها وسارا جميعا .

وحدثني ابو الحسن قال : حدثني ابي قال : لما خرج عبيد الله الى الجبل واستخلف القاسم لم يكن يعامل ابن ابي عوف مثلاً كان ابوه يعامله فشق ذلك عليه وخاف ان ينفذ كتبه بشكاية الى أبيه فتقع في يد القاسم فجاءني دفعات يسلم عليّ ولا يسألني حاجة حتى جعلني صديقاً ثم سألني أن اجعل كتبه الى الوزير في طي كتب حرم صاحبي اليه وكان في جملة القواد المتجردين مع عبيد الله فكنت أفعل ذلك دائماً فيوصل صاحبي الكتب الى الوزير سرّاً وينفذ الأجوبة فتد كتب عبيد الله على القاسم في الخاص بالصواعق في أمر ابن أبي عوف ويوكل القاسم بالطرق ويؤخذ له كتب أكثر الناس فيقف عليها ولا يجد لابن أبي عوف كتاباً فيتميز غيظاً ولا يدرى من اين يؤتى الى ان قدم عبيد الله . قال : وسألني في تلك الأيام رجل من اهل الثغر أن اشفع له الى ابن ابي عوف في معاونته على أسرى له في بلاد الروم فامتعت من ذلك لعلمي انه تاجر على كل حال فألح عليّ فكتبت له رقعة اليه فجاءني الرجل فشكرني وذكر أنه اعطاه أربعين ديناراً ومضت السنون فسألني ابن ابي عوف ان أوجره رقعة من ضياعي بالانبار يعمل فيها البطيخ الذي نسب فيما بعد الى العبد لأبي وانما هو مضاف الى عبد الله بن ابي عوف فأجرته اياها بمال جليل وعمل

دخل دارى فأكلنا ما كان أصلح لى فى يوم الجمعة كما يفعل التجار ونام
 فلما انتبه احضرته كيسا وقلت : لعلك على إضاعة فأسألك بالله إلا أخذت
 ما شئت منه . قال : فأخذ منه دنانير وقام نخرج فأقبلت امرأتى تلومنى
 وتوبخنى وقالت : ضمنت عنه ما لا يفى به حالك ولم تقنع إلا بأن أعطيته
 شيئا آخر . فقلت جميلا أسديته وهو رجل حر كريم جليل من بيت
 وأصل فإن نفعنى الله به فذاك وإن تكن الاخرى فلن يضع عند الله .
 ودفعت الرجل بوعد وعده إلى أيام . فلما كان بعد يومين من هذا
 الحديث جاءتني رقعة عبيد الله يستدعيني فجئت فقال : قد وردت عليّ
 غُليمة من ضيعة لى اقبلت من البيع فى النكبة ومقدار ثمنها ما ضمنت
 عنى فتأخذها وتبيعها وتصحح ذلك للغريم . فقلت : أفعل ذلك خُمل
 الغلة إليّ فبيعها وحملت الثمن بأسره إليه وقلت له : أنت مضيق وأنا
 أدفع الغريم وأعطيه البعض من عندى فأتسع أنت بهذه . فبعد أن أخذ
 منه شيئا خلفت أن لا أفعل وقررت الثمن عليه وجاء الغريم فألح عليّ
 فأعطيته من عندى البعض ودفعت به مديدة فلم يمض على ذلك إلا شيء
 يسير حتى ولى عبيد الله الوزارة فأحضرني من يومه وجعلني فى السماء
 وقام لى فى مجلسه وكسبت به الأموال وقدر هذه النعمة التى أنا فيها .

حدثني ابو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول قال :
 حدثني أبى قال : خرجت من حضرة عبيد الله بن سليمان فى وزارته أريد
 الدهليز نخرج ابن ابى عوف فصاح البوابون والحجاب واخلى هاتم دابة
 أبى عبد الله حين قدمت دابته ليركب خرج الوزير ليركب فراه ففتحى

حدثني أبو العباس نصر بن محمد الشاهد خليفة أبي رحمه الله على فرض الأهواز قال : كان الكوكبي محتسبا عندنا قبل أخى أم موسى القهرمانة وكان خشنا منبسط اليد جلدا فوقعت بينه وبين أبي الحسن بن على السراج نفرة فأمسك عنه أياما ثم صار إلى بابه على غفلة وقد كان أخذ بالجلوس في الجامع مجلسين فوقف في رجالته على الباب وقال : قولوا للقاضي : ليس لك أن تواصل الجلوس في منزلك ابرز إلى الجامع ينالك القوى والضعيف كما أمرت في عهدك . فدخل إليه الغلمان فأخبروه فقامت قيامته فأخرج من محضرته من الشهود يداورونه فقال : لا أدخل ولا انصرف أو تركب إلى الجامع فما زال بهما حتى أصلح بينهما

حدثني القاضي أبو عمر عبيد الله بن الحسين المعروف بابن السمسار قال : حدثني أبو على بن إدريس الجمال الشاهد : حدثني أبو عبد الله بن أبي عوف قال : كان سبب اختصاصي بعبيد الله بن سليمان أني جزت يوما في الجامع بالمدينة فوجدته وهو ملازم في يد غريم له في عقب النكبة بثلمائة دينار وكنت أعرف محله من غير مودة بيننا فقلت له : لاى شئ أنت ها هنا أعزك الله جالس وما مضيت إلى الصلاة ؟ فقال : ملازم في يد هذا بثلمائة دينار عليّ . فسألت الغريم إنظاره فقال : لا أفعل . قلت : فالمال لك عليّ تصبر إلى ما بعد أسبوع حتى أعطيك أياه . فقال : تعطيني خطك كذلك . فاستدعيت دواة ورقعة وكتبت له ضمانا بذلك إلى شهر فرضي وانصرف . وقام عبيد الله فأخذ يشكرني فقلت : تتم أيدك الله سرورى بأن تصير معي إلى منزلى فحملتته وأركبته حمارى ومشيت خلفه إلى أن

الى مجلس الوزير وتركته فى خفى وأجريت الحديث مع وكيع الى أن
شاغبته بالكلام وقلت لا تسكت يا ابن الصناديق الجاهل فامتص
وأخرجت المحضر وعرضته على الوزير وسأله أن ينفذ ويستدعى أباه
ويشاهده فضحك الوزير وسقط وكيع من عينه فقامت قيامته من يدى .
وولى ابو القسم الجهنى عندنا بالبصرة الحسبة من قبل ابى جعفر الصيمرى .
فسمعت اذ ذاك شيوخنا يقولون أنهم ما شاهدوا ولا سمعوا من بلغ
مبلغه فى ضبط العامة ورفع الغشوش ومن عرف من اسرار البضائع
والامتنعة ما عرفه حتى كانه لم يحسن مثله وطالب الناس بمطالبات صعبة
فاتشر له حديث عظيم جميل فى البلد لذلك وهيبة فى نفوس الاكابر
فضلا عن الأصاغر . فاجتاز يوماً وبين يديه رجال بمؤذن يؤذن لبعض
الصلوات فقالوا الجهنى فتطلع المؤذن فرآه فقال : الحمد لله الذى لم يجعل
لك عليّ طريقاً . فقال للرجالة خذوه الى الدار . فضج من ذلك وقام معه
الجيران . وجاءوا ونزل الجهنى فى داره فادخلهم فقالوا له : أمرت باحضار
هذا الرجل المؤذن فأى طريق لك عليه ؟ فقال : تحتاج أن تحلف لى أن
لا تدخل المسجد بالنعل الذى تدخل به الكنيف فان هذا يفسد صلاة
الناس ولا يحل ولا تؤذن وانت جنب . فسألوه ان يعفيه . وقال : اما
أن تحلف أو لا تدخل المسجد . فما زال به حتى أحلفه على ذلك فلما أراد
الانصراف قال له : يا شيخ الآن علمت أن لى عليك طريقاً وأن بيننا
معاملة أم لا ؟ فقال : أيدك الله أخطأت ولا أعلم . فقال : لا تعاود
الكلام فيما لا تحتاج اليه فان الفضول ضارّ .

مسجد هنالك كبير فحضر خلق كثير وركبت فحين حصلت هناك قلت
على بخلف الصناديق خفاءوا بالشيخ كما أقيم من العمل وآلته معه ويده
ملوثة كما كنت وصيتهم. قلت لهم : أعزكم الله انى كنت سألتكم الحضور
لأخاطب هذا الشيخ بحضر تكم بشئ أخذ خطوطكم به فاحفظوا ما جرى.
ثم قلت : يا شيخ من أنت ؟ قال : أنا خلف ابن فلان . قلت : وكيع القاضي
من هو منك ؟ قال : ابني . فقلت لمن حضر من شيوخ الحلة : هو كما قال ؟
فقالوا : نعم . قلت : أنت بهذه الصورة مع اتساع حال ابنك ؟ قال : لانه
عاق بي ففعل الله به وصنع فدعا عليه . فقلت له : يا شيخ تحفظ القرآن ؟
قال : أحفظ منه ما أصلى به . فقلت : تحسن شيئاً من القراءات ؟ قال :
لا . قلت : كتبت الحديث قط ؟ قال : لا . قلت : رويت من الأخبار
والآثار والآداب والاشعار شيئاً ؟ قال : لا . فلم أزل أعدد عليه العلوم
وأصنافها وهو يقول : لا لا . قلت : فتحسن شيئاً من النحو والعروض
والمنطق ؟ قال : لا . فقلت : أعزكم الله أن وكيعاً رجل كذاب متعاط للعلم
والادب ولم آمنه في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والكذب
في العلوم وأن يجعل ذلك طريقاً متى مات هذا الشيخ فيقول حدثني أبي
وأخبرني أبي ويصنع على لسانه كل كذب فأردت أن تحفظوا على هذا
الشيخ ما ذكره من أنه ليس من هذا ولا اليه حتى لا يمكنه ادعاء ذلك
عليه بعد موته وأن تعرفوا أيضاً فسقه بعقوبته والده وسقوط مروءته
بتركه أباه على هذه الحال . قال : فما فارقهم حتى أخذت خطوطهم
بما جرى على أشنع شرح قدرت عليه وأجابوا هم اليه وصرت بالمحضر معي

من كان في الاكرام مفسدة له فهو انه أولى من الاكرام
هذان البيتان من الأمثال الجياد التي يجب أن تسير وفي هذه
القصيدة أشياء حسان منها قوله :

فتركهم صرعى كأنك بالظبي عاطيتهم في الروع كأس مدام
متهاجرين على الدنو كأنما أنفت رؤوسهم عن الأجسام
سمعت ابراهيم بن الحسن البزاز يقول : كان حريق بالكرخ في سنة
نيف وأربعين وثلاثمائة فتلّف لى متاع في دكاني ودارى بمائتي ألف درهم
سوى أتمان العقار . فقلت : كم كانت أتمان العقار ؟ فقال أكثر من هذا .
قال : فنى الله عزوجل ما بقى وأعدت منه عقارى ورأس مالى في دكاني
فما أفرق اليوم بين أمرى وبين ما كان قبل الحريق . قلت له : ففي دكانك
اليوم متاع بمائتي ألف درهم ؟ فضحك فقال : هذا لا يسأل عنه التجار ولا
يصدقون أيضاً اذا سئلوا ولكن ما أفرق بين حالى الساعة وذلك الوقت
وأنا من الله عزوجل في خير . فقال بعض أصدقائه ممن يعرف أمره : في
دكانه متاع بأكثر من هذا .

حدثني أبو القاسم الجهنى قال : جرى بينى وبين محمد بن خلف القاضي
وكيع ملاحاة في شئ بحضرة أبي الحسن بن الفرات فولدت بيننا عداوة
فبحشت عن عيوبه فبلغنى أن له أباً ساقطاً في أصحاب الصناديق باب الطاق
فركبت حتى جئت اليه فرأيتّه يعمل الصناديق بيده وفالتشته فاذا هو أسقط
رجل وأجهله وانصرفت فكأبت جماعة من وجوه الشهود بالجانبين
وأشرافهم من البطينين وأكابر التجار والكتاب والتناء وواعدتهم بحضور

هو يا غلام؟ فقلت: نعم. فأمر به فضرب بالمقارع وهو واقف وأنا على حمارى والعسكر واقف وجعل يقول وهو يضرب: يا كلب يا كذا يا كذا ما كان معك ثمن هذا البطيخ ما كان فى حالك فضل لشرائه ما قدرت تمنع نفسك منه هو مالك مال أهلك أليس هو الرجل الذى قد تعب بنفسه فى زرعه وسقيه وماله وأداء خراجة أليس كذا أليس كذا يعدد عليه أشياء من هذا الجنس والمقارع تأخذه الى أن ضربه مائة مفرقة ثم أمر برفعه ورفع وسار وسار الناس فأخذ الجيش يشتمونى ويقولون يضرب فلان بسبب هذا الأكار الحوزى لعنه الله مائة مفرقة فسألت بعضهم عن الخبر: فقال هذا الأمير أبو العباس.

حدثنى أبو الحسين ابن عياش القاضى قال: حدثنى أبو عبد الله الموسوى العلوى البغدادى انه باع فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عند اشتداد الغلاء على معز الدولة وهو محاصر مقيم بظاهر بغداد من الجانب الغربى كرام معدلا حنطة بعشرين ألف درهم. قال: ولم أخرج الغلة حتى تسلمت المال وحصل فى دارى ثم أخرجت الغلة فآكلوها وأخذوها فنعوذ بالله من مثل هذه الأحوال.

أنشدنى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المعروف بالبيغاء لنفسه قصيدة الى سيف الدولة يذكر وقعة كانت له مع بعض العرب وهى:

عدل الصوارم أعدل الأحكام	وشبا الأسنة أكتب الأقلام
أخلق بمن كفر الغنى أن يغتدى	كفرانه سببا الى الاعدام

يولد ذلك لهم امتعاضاً عند أنفسهم للسياسة والدين فتثور القتل على السلاطين وليس شئ أبلغ في حسم ذلك من قطع مادته من الاصل في أوله فان هذا مما جرى عليه قد طارت روحه فهو يخرج ويحدث بأضعاف ما لحقه من الإنكار وأكثر مما شاهدته من الهيبة والفخامة وفوق ما سمعه من المطالبة بموجبات السياسة ومر الحقيقة فينتشر عند العوام ما نحن عليه من التيقظ وان كلمة تكلم بها الرجل منهم لم تخف على ولا غفلت عن مناظرة صاحبها وعقابه فيصرفني ذلك عن أفعال كثيرة ويحذر جميعهم ويضبط نفسه وتنجسم مادة شر لو جرى لاحتيج الى ضروب من الكلف غليظة في صلاحه قد انحسرت يسير من القول والفعل فأقبلنا ندعوه له ونظريه .

حدثني وكيل كان لأبي القاسم ابن أبي علان سلمه الى بتوكيل في ضيعتي بالأهواز وكان ابن أبي علان يقول انه أسن منه وكان ثقة ما علمت يقال له ذو النون بن موسى . قال : كنت غلاماً والمعتضد إذ ذاك بكور الأهواز فخرجت يوماً من قرية بمنادر يقال لها شانظف أريد عسكر مكرم ومعى حمار أنا راكبه وهو موقر بطيخاً قد حملته من القرية لأبيعه في البلد يعني العسكر فلقيني جيش عظيم لم أعلم ما هو وتسرع إلى منهم جماعة وأخذ واحد منهم ثلاث بطيخات أو أربعة وحرك نخفت أن ينقص عدده فأتهم به فبكت وصحت والحمار يصيح بي على المحجة والعسكر يجتاز عليها فاذا بكوكبة عظيمة يقدمها رجل مفرد فوقف وقال مالك يا غلام تبكي وتصيح ؟ ففرفته حالي فوقف بي ثم التفت الى القوم فقال : هي على بالرجل الساعة . قال : فكأنه كان وراءه حتى رد في سرعة الطرف فقال : هذا

فزعنا نحن منه مع أنسنا منه^(١) وأدخل اليه شيخ ضعيف فقال له بصياح شديد : أنت القطان الذى قلت أمس ما قلت ؟ فغشى على القطان فأمر به فعزل ناحية فلما سكن جاؤوا به فقال : ويلك مثلك يقول : « ليس للمسلمين ناظر فى أمورهم » فأين أنا وأى شغل شغلى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنا رجل سوقى لا أعرف غير النزول والقطن ومخاطبة النساء والعامه وانما اجتاز بنا رجل بايعناه شيئاً كان معه فوجدنا ميزانه ناقصاً فقلت هذا الكلام وعنيت به المحتسب لا غيره . فقال : والله ما عنيت غيره وأنا تأب أن أتكلم بما يشبه هذا . فقال : يحضر المحتسب ويبالغ فى الانكار عليه لم غفل عن انكار مثل هذا ويؤمر بتغييره وتتبع الطوافين وأهل الاسواق والتغيير عليهم . وقال للشيخ : انصرف لا بأس عليك . ودخل فضحك وانبسط وعاد يشرب فلما حمل على النبيذ قلت له : يا مولاي تعرف فضولى فتأذن لى فى أن أقول ؟ فقال : قل . قلت : كان مولانا فى أطيب شرب وأتم سرور فتركه وتشاغل عنه بخطاب كلب من السوقه كان يكفيه أن يصيح عليه راجل من رجالة صاحب الربع صيحة ولم يقنع مولانا فى أمره بالوصول الى حضرته حتى غير له لبسته وشهر سلاحه واستقصى خطابه بنفسه لأجل كلمة تقول العامة مثلها دائماً ولا يميزون معناها ! فقال : يا حسن أنت لا تعلم ما يجر هذا الكلام ان مثل هذا اذا انتشر على السنة العوام تلقفه بعضهم على بعض وتجروا عليه وتربوا على قوله حتى يصير منهم كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يبعد أن

الاهواز فتملكها وكان الامير عماد الدولة على بن بويه يخلفه على الكرج حينئذ فاستغوى من معه وسار بهم الى أرجان لنفسه وهدده مرداويج بالمسير اليه فداراه ووعدته أن يكون من قبله وأنفذ الأمير ركن الدولة أخاه رهينة اليه وسار فأوقع ياقوت وهو في سبعائة نفر من الديلم وياقوت في الطم والرم وملك فارس وظفر بأموالها وكنوزها فقوى وعمل مرداويج على انفاذ عسكر اليه ليأخذه ثم يسير الى بغداد فوثب غلمانه الاتراك به فمقتلوه وجاء رجاله الى الامير عماد الدولة وكان ملك فارس وطرده ياقوت عنها فقوى أمره وعظم شأنه ومرت على ذلك سنين فأنفذ أخاه الامير معز الدولة الى الاهواز ولم يزل أمره يقوى حتى ملك بغداد وحصل الامر على ما قاله المعتضد وابن أبي الساج وصاروا ملوك الارض وحصلت للديلم ممالك غير ممالك الامراء من بني بويه كثيرة بعد ان كان الناس يتثلون اذا ظلموا فيقولون أى شئ خبرنا في يد الديلم نحن أم في يد الاتراك ؟ فصاروا في ممالكهم وأيديهم ونسأل الله السلامة .

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال : حدثني أبو علي الحسن بن اسمعيل بن اسحق القاضي وكان ينادم المعتضد ويتجاسر عليه قال : كنا نشرب يوما مع المعتضد حتى دخل عليه بدر فقال : يا مولاي قد أحضر القطان الذي من بركة زلزل . قال : فترك مجلس النبيذ وقام الى مجلس في آخر ذلك المجلس دونه ونحن نراه ونسمع كلامه ومدت بيننا وبينه ستارة ولبس قباء وأخذ بيده حربة وجلس كالغضب المهول حتى

حدثني ابو الحسن احمد بن يوسف الأزرق قال : كنت حدثاً في الديوان في سنة سبع عشرة وثلثمائة والوزير اذ ذاك احمد بن عبيد الله الخصبي فأنشأنا من الديوان كتباً الى ابن ابي الساج عن السلطان يأمره فيها بالمسير الى الحضرة لقتال القرمطي فوردت الأجوبة للخليفة لا الديوان فسمعت مشايخ الكتاب يتحدثون فيه انه كتب يقول انا في ثغر اعظم من ثغور الروم وبازاء سد احصن من سد يأجوج ومأجوج وان اخلت به انفتح منه اعظم من امر القرمطي ولم يؤمن ان يكون سبباً لزال المملكة في سائر النواحي . قال : فأخذ الكتاب يتطأزون بذلك وقالوا : في اي ثغر هو ومن بازائه الا اديلم وانما هم أكررة ولكنه يريد ترفيه نفسه والخلاف على السلطان . قال : وانشئت كتب أخرى مر فيها بترك ما هو بسبيله والقدم فقدم وخرج الى القرمطي فقتله القرمطي فما مضت الا مديدة يسيّرة على قتله حتى سار القاسم بن الحسن الداعي العلوي وما كان الديلمي صاحب جيشه من طبرستان الى الري فأخذها من يد اصحاب السلطان وخرج أسفار بن شيرويه الديلمي فسار الى طبرستان فأخذها منهما فرجع الداعي اليه فقاتله فقتله أسفار وتوطأ له الأمر وسار الى الري فقاتله ما كان وثار مرداويج الجيلي وكان احد اصحاب أسفار به فقتله واحتوى على عسكره وتملك اعماله واخذ الري والجليل والاعمال وتفرقت اعمال ابن ابي الساج على جماعة اهلوا سياستها واستفحل امر الديلم وتزايد على الاوقات وضعف السلطان وانفتحت الفتوق عليه وكثرت الفتن وقتل المقتدر وجاء مرداويج الى اصفهان يسير الى بغداد وقدم شيرج بن ليلي الى

اليهم وأفرط في التأكيد . فقال عبيد الله : السمع والطاعة أمضى الى دارى
وأكتب . فقال : لا أجلس بمكانك وأكتب بخطك وأعرض على . قال :
فأجلسه وعقله ذاهل فكتب ذلك وعرض عليه فلما ارتضاه دعا بخريطة الى
حضرتة فجعلت أكتب فيها وأنفذها . وقال لعبيد الله : أنفذ معها من
يأتيك بخبر وصولها النهران وسيرها عنه وانصرف . فنهض عبيد الله
وعاد المعتضد الى مجلس شربه وكأنه قد لحقه تعب عظيم فاستلقى ساعة ثم
عاد يشرب . فقلت له : يا أمير المؤمنين تأذن فى الكلام ؟ فقال : نعم .
فقلت : كنت على سرور طيب فورد خبر قد كان يجوز أن تأمر فيه غدا
بما أمرت به الساعة فضيقت صدرك وقطعت شربك ونعصت على نفسك
وروعت وزيرك وأطرت عقول عياله وأصحابه باستدعائه فى هذا الوقت
المنكر حتى أمرته بهذا الذى لو أخرته الى غدا كان جائزاً . فقال : يابن
حمدون ليست من مسائلك ولـكننا أذنالك فى الكلام ان الديلم شر أمة
فى الدنيا وأثمهم مكرراً وأشدهم بأساً وأقواهم قلوباً ووالله لقد طار عقلى فزعا
على الدولة من ان يتطرق اليهم دخول قزوين سرّاً فيجتمع فيها منهم عدة
يوقعون بمن فيها ويمسكونها وهى الثغر بيننا وبينهم فيطول ارتجاعها منهم
ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك امر عظيم يكون سبباً لبطلان
الدولة وتحملت انى ان امسكت عن التدبير ساعة ان يفوت وانهم يحيثون
على قزوين ووالله لو ملكوها لنبغوا على من تحت سريرى هذا واحتواوا
على دار المملكة فما هنأتى الشرب ولا طابت نفسى بمضى ساعة من زمانى
فارغة من تدبير عليهم فعملت ما رأيت .

ومداق الجص وقيودا وغلاً . فأحضر ذلك فقيده وغله وأدخله الجوالق وأمر الفراشين فدقوه بمداق الجص وأنا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به فغرق في دجلة وتقدم الى بدر بجمل ما في داره . ثم قال لي : يا شيخ أى شئ رأيت من أجناس المنكر كبيراً كان أو صغيراً أو أى أمر صغيراً كان أو كبيراً فأمر به وأنكره ولو على هذا (وأوماً بيده الى بدر) فإن جرى عليك شئ أو لم تقبل فالعلامة بيننا أن تؤذن في مثل هذا الوقت فاني أسمع صوتك فأستدعيك وأفعل هذا بمن لا يقبل منك أو بمن يؤذيك . قال : فدعوت له وانصرفت وانتشر الخبر في الأولياء والعلماء فما سألت أحداً منهم بعدها إنصافاً لأحد أو كفاً عن قبيح إلا أطاعني كما رأيت خوفاً من المعتضد وما احتجت أن أوذن الى الآن .

حدثني أبي عن أبي محمد بن حمدون قال : كنت بحضرة المعتضد ليلة على شرب إذ جاءه كتاب فقرأه وقطع الشرب وتنغص به واستدعى عبيد الله بن سليمان فأحضر للوقت وقد كاد يتلف وظن أنه قد قبض عليه فرمى بالكتاب اليه فاذا هو كتاب صاحب خبر السر بقزوين اليه يقول ان رجلاً من الديلم وجد بقزوين وقد دخلها متكرراً . فقال لعبيد الله : اكتب الساعة الى صاحبي الحرب والخراج وأقم قيامتهما وتهدهما عني بالقتل لم تم هذا ؟ وتشدد في الانكار وطالبهما بتحصيل الرجل ولو من تخوم الديلم وعلمهما أن دمه مرتين به حتى يحضرانه وارسم لهما أن لا يدخل البلد مستأنفاً أحد ولا يخرج الا بجواز حتى لا تتم حيلة لأحد من الديلم في الدخول سراً وأن يزيدا في الحرس واليقظ ونفذنا الناس

فيخرجها فما مضت إلا ساعة والمرأة عنده فاذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجلاً ومشاعل وهم يقولون : من هذا الذي أذن الساعة أين هو ؟ ففرغت وسكت ثم قلت : أخطبهم لعلى أستعين بهم على إخراج المرأة . فصحت من المنارة أنا أذنت . فقالوا لى : انزل فأجب أمير المؤمنين . فقلت : دنا الفرج . ونزلت فمضيت معهم فاذا هم غلمان مع بدر فأدخلني على المعتضد فلما رأيته هبته وارتعدت فسكن منى وقال : ما حملك على أن تغر المساكين بأذنك في غير وقته فيخرج ذو الحاجة في غير حينها ويمسك المرید للصوم في وقت أبيح له فيه الافطار ؟ فقلت : يؤمنى أمير المؤمنين لا صدق . فقال : أنت آمن على نفسك . فقصصت عليه قصة التركي وأريته الآثار التي بي فقال : يا بدر على الغلام والمرأة الساعة . وعزلت في موضع فلما كان بعد ساعة قليلة أحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قلته . فقال لبدر : يا بدر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح له خبرها ويأمره عنى بالتمسك بها والاحسان إليها . ثم استدعاني فوقفت فجعل يخاطب الغلام وأنا قائم أسمع فقال له : يا فلان كم رزقك ؟ قال كذا وكذا . قال وكم عطاؤك ؟ قال كذا وكذا . قال وكم وظائفك ؟ قال كذا وكذا . قال : وجعل يعدد عليه ما يصل إليه والتركي يقر بشيء عظيم . قال : فقال له : كم لك جارية ؟ قال كذا وكذا . قال : فما كان فيهن وفي هذه النعمة العريضة كفاية عن ارتكاب معاصي الله وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته الى الوقوع بمن أمر عليك بالمعروف ؟ فسقط الغلام في يده ولم يجب جواباً . فقال : هاتم جوالق

منه . فألححت عليه فقال : أنا رجل أؤم وأقرئ في هذا المسجد منذ أربعين سنة ومعايشي من هذه الخياطة لا أعرف غير هذا وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتركي كان في هذه الدار فاذا قد اجتازت امرأة جميلة الوجه عليه فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره وهي ممتعة تستغيث وليس أحد يغيثها وتصيح ولا يمنع أحد منها وتقول في جملة كلامها : إن زوجي قد حلف بطلاقي أن لا أبيت عنه فإن يبتني هنا أخرب بيتي مع ما يرتكبه مني من الممصية ويلحقه بي من العار . قال : جئت إلى التركي ورفقت به وسألته تركها فضرب رأسي بدبوس كان في يده فشجنى وألكنى وأدخل المرأة داره فصرت إلى منزلي ففسلت الدم وشددت الشجة واسترحت وخرجت أصلى العشاء فلما فرغنا منها قلت لمن حضروا قوموا معي إلى عدو الله هذا التركي نسكر عليه ولا نبرح حتى نخرج المرأة فقاموا وجئنا فضججنا على بابه فخرج إلينا في عدة من غلماناه فأوقع بنا الضرب وقصدني من الجماعة فضربنى ضرباً عظيماً كدت أتلغ منه فشالني الجيران إلى منزلي كالتالف فعالجني أهلي ونمت نوما قليلا للوجع وأفقت نصف الليل فما حملني النوم فكرا في القصة فقلت : هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الأوقات فلو أذنت لوقع له أن الفجر قد طلع فأطلق المرأة فلحقت بيها قبل الفجر فتسلم من أحد المكروهين ولا يخرب بيتها مع ما قد جرى عليها . فخرجت إلى المسجد متحاملا وصعدت المنارة فأذنت وجلست أطلع منها إلى الطريق أترقب منها خروج المرأة فان خرجت وإلا أقمت الصلاة لئلا يشك في الصباح

وكانت داره قريبة من دار الخياط فقام معنا فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي : إنك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك وإياي إلى مكروه غليظ هذا إذا حصل على باب الرجل صفع وصنعنا معه فإنه لم يلتفت لشناعة فلان وفلان ولم يفكر في الوزير فكيف يفكر في هذا ؟ فضحك الرجل وقال : لا عليك امش واسكت . جئنا إلى باب القائد حين رأى غلمانه الخياط أعظموه وأهواوا ليقبلوا يده فمنعهم وقالوا : ما جاء بك يا شيخ ؟ فان صاحبنا راكب فان كان أمر نعمله نحن بادرنا إليه وإلا فادخل واجلس حتى نجى . فتقويت نفسى بذلك فدخلنا وجلسنا وجاء الرجل فلما رأى الخياط أعظمه إعظاما وقال : لست أنزع ثيابي أو تأمر بأمرك . فخاطبه في أمرى فقال : والله ما عندي الا خمسة آلاف درهم فسأله أن يأخذها ورهننا من مراكبي الفضة والذهب إلى شهر لأعطيه . فبادرت أنا الى الاجابة فأحضر الدراهم والمراكب بقيمة الباقي فقبضت ذلك وأشهدت الخياط وصديقي عليه بأن الرهن عندي إلى شهر على البقية فان جاز الأجل فاني وكيل في بيعه وأخذ مالي من ثمنه . فأشهدتهما على ذلك وخرجنا فلما بلغنا إلى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت : يا شيخ إن الله قد رد علي هذا بك فأحب أن تأخذ ربه أو ثلثه أو نصفه بطيب من قلبي . فقال : يا هذا ما أسرع ما كافأتني على فعل الجميل بالقبيح انصرف بمالك بارك الله لك فيه . فقلت : قد بقيت لى حاجة . فقال : قل . قلت : تخبرني عن سبب طاعة هذا لك مع تهاونه بأكابر أهل الدولة . فقال : يا هذا قد بلغت مرادك ولا تقطعني عن شغلي وما أعيش

لك منه . فلما تقوض الموكب خرج أبو أحمد فوجده جالسا في الدهليز فقال : ما هذا أيها الشيخ ؟ قال ترجع وتعرف مولانا أني لا أبرح والله إلا بالطنفسة وإنما قبلت رأيك فوقرتة وإلا كنت قد أخذتها كما أخذت الدست . فرجع أبو أحمد وأخبره الخبر على شرحه فأمر بحملها الى طياره فحملت معه ثم انصرف .

أخبرني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي بذلك وسمعت ابن دية الأنماطي وهو رئيس هذه الصناعة ببغداد ومن لم يشاهد أحد بها من المتاع ما شاهده يخبر في مجلس حافل انه شاهد لأبي مخلد فرشا أخرجه إليه ليقومه له قال : فقومته له فيما استرخصتها جدا فبلغت القيمة مائتي ألف دينار ولا أدري ذلك فرشه كاه أوله شيء آخر من الفرش سواه .

حدثني^(١) القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي القاضي أن شيخا من التجار كان له على بعض القواد مال جليل يماطله به قال : فعملت على الظلامة إلى المعتضد لأنني كنت إذا جئت إلى القائد حجبني واستخف بي غلماناه وكنت إذا تجملت إليه فاستشفعت لم ينجع وتظلمت إلى عبيد الله ابن سليمان منه فما نفعتي فقال لي بعض إخواني : علي أن آخذ المال ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الخليفة فقم معي الساعة . قال : فقمتم معه فجاء بي الى خياط في سوق الثلاثاء شيخ وهو جالس يخيط ويقرأ في المسجد فقص عليه قصتي وسأله أن يقصد القائد فيسأله إزاحة علق

للفناء وهو غير حاضر دفعات كثيرة فقال له المهلبى يوماً وقد جرى بحضرته ذكر الجماع فأخذ الشامى يخبر عن نفسه بالعجز لأنه كان قد نيف عن الثمانين فقال له المهلبى جاريك يا أبا العباس حبلى فمن أين هذا الحبل ؟ فقال ياسيدى إذا ولدت سميت ابنها العباس بن الحسن يعرض بأنه ابن وزير يصلح للوزارة وأنه ابنك فضحك والجماعة منه . أخبرنا أبو علي أحمد بن موسى حمولى صاحب معز الدولة قال : كنا يوماً بحضرة مولانا الأمير يعنى معز الدولة فدخل إليه أبو مخلد فرأى تحته دست ديباج جديد حسن جداً قد استعمله بتستر وقام عليه بألفى دينار فقال له : أيها الأمير تنح عن الدست فإن عليه شيئاً . فلم يفهم الأمير مراده وترحزح عن دسسته فجذبه وحمل منه على كتفه وقام فقال له الأمير : يا بنى (بكلام الديلم) إلى أين ؟ قال : إلى طيارى أثقل هذا الدست إليه أولاً أولاً كما ترى ومن يعارضنى أو يجسر على ذلك ؟ قال : فضحك الأمير وقال : ما يعارضك أحد . قال : فنقل يشهد الله الدست بآلته كاملاً على ظهره إلى طياره وأنا أراه حتى أخذ جميعه . وكانت لأبى مخلد مروءة عظيمة وشهوة للفرس خاصة فدخل يوماً إلى أمير المؤمنين المطيع لله فرأى فى المجلس طنفسة عظيمة خليفية من خز ورقم صفر فلما رآها تحير فقال لأبى أحمد الشيرازى كاتبه : أريد أن أعمل بهذه كما عملت بدست معز الدولة . وكان قد اشتهر خبره فى نقل الدست على ظهره . فقال له أبو أحمد : مثل هذا لا يجوز أن يفعل بحضرة الخليفة لأن الهزل لا يستعمل إلا مع هؤلاء خاصة وخاصة وهذا مجلس عام ولكن أنا أعرف استحسانك لها واستوهابها

مع الغلمان . وكان هذا الشامي أمة وحده في مذهبه فانه كان يصحب
أبا عبد الله البريدي على طريق التنخس ويشترى الجوارى السواذج
والمغنيات فيبيعهن عليه فرمما كره جارية فردها عليه وما دار بينهما ميزان
ثم اتسع ذا الباب لآبي العباس فصار يستعمله مع الكفاة ثم تجاوزه إلى بذل
قيان له وإخراجهن بحضرته وأن يمازجن ويلاعبن الرجال فلا ينكر ذلك
وربما تجاوزوا هذا إلى غيره ولا ينكر ويحتفل عليه فيما بلغنى من وجوه
كثيرة . وكان مع هذا صنفاناً طيباً فمن ذلك أنه دخل يوماً على أبي يوسف
البريدي فصنعه بمخدة ديباج حسنة مثمثة فأخذها الشامي وعدا ليسلمها
إلى غلامه فيحملها إلى بيته فقال له أبو يوسف : قد أخذتها ويحك . قال :
فأردها أطال الله بقاء سيدنا من حيث جاءت ولا آخذها ؟ فقال : لا
ياماص كذا خذها لا بورك لك فيها . فدفعها إلى غلامه .

ومنها أنه كان مشهوراً بالقيادة وكان يعادى بزازا بالبصرة يعرف
بالأدمى فبلغه أن القاضي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي عمل على قبوله وما
كان لذلك أصل وإنما كان إرجافاً جاء إليه وكان منبسطاً عليه بالمزاح بمعرفته
به . فقال له : أيها القاضي إن رأيت أن تقبل شهادتي . فقال له القاضي :
ما بلغ الأمر إلى قبول مثلك فأى شيء دعاك إلى هذا يا أبا العباس ؟
ومازحه . قال : بلغنى أنك تريد أن تقبل الأدمى وأنا وهو كنا نقود على
البريدي فأقبلني أنا أيضاً . فضحك وقال : لا لك أقبل ولا له . وجاء إلى
الأهواز بجارية له مغنية إلى أبي محمد المهلبى وكنت بالأهواز وحدثني
بهذا الخبر جماعة ممن شاهدوه من ندمائه فغنت له وكانت تجلس عنده

ليصبع لونه بما فيها من الصبغ . ففعل ذلك ووافق سكره مع نفاذ كل ما كان في الخزائن من هذه الثياب فحسب ما لزم على ذلك الزعفران والعصفرومن الثياب التي هلكت فكان خمسين ألف دينار .

ويشبه هذا ما أخبرنا به الجهم الغفير أن الحسن بن سهل لما زف ابنته بوران إلى المأمون بفهم الصلح انقطع بهم الخطب في المطبخ يوم العرس أحوج ما كانوا إليه فعرفوه ذلك فأمر بالخليش فصب عليها الزيت وغيره من الأدهان حتى تشربها وأمر بايقاده تحت القدور وبث الرسل في طلب الخطب فاستعمل من ذلك الخليش شيء كثير إلى أن حمل الخطب . وشاهدنا نحن أبا محمد المهلب في وزارته وقد اشترى في ثلاثة أيام متتابة وردا بألف دينار فطرحته في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة تعرف بدار البركة وشرب عليه ونهب وكان في البركة فوارة حسنة فطرح الورد فيها وفرشه في مجالسه وكان لذلك شرح طويل . وشرب أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدى بالبصرة على ورد بعشرين ألف درهم في يوم واحد على رخصه هناك واسترخا ص السلطان لما يشتهي وطرح فيه عشرين ألف درهم خفافا وزنها عشرة آلاف درهم وشيئا كثيرا من قطع النبد المماثل اللطاف وقطع الكافور اللطاف والتماثيل ولعب به شاذ كلّي وانتهب الفراشون الورد مع ما فيه من الدراهم والطيب وقيل إن ذلك المجلس قام عليه بثلاثة آلاف دينار مع جذور المغنيات وثمان الطيب وما أفتق على المائدة والشراب والثلج ذلك اليوم أخبر بهذا أبو العباس النخاس المعروف بالشامى في الوقت أبى وأنا أسمع وأرانا من الدراهم شيئا وذكر أنه انتهبها

الراضى بهذا الحديث فذكر مثله ولم يذكر تضاعف جائزة الصولى إلا أنه قال : كنت أنا وجماعة الندماء . وللراضى فضائل كثيرة وقد ختم الخلفاء فى أمور عدة منها أنه آخر خليفة له شعر وآخر خليفة انفراد بتدبير الجيوش والأموال وآخر خليفة خطب على منبر فى يوم جمعة وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء وآخر خليفة كانت نفقته وجوارزه وعطاياه وخدمته وجراياته وخزائنه ومطابخه وشرابه ومجالسه وخدمه وحجابه وأمواله جارية على ترتيب الخلافة الاولى وآخر خليفة سافر برى الخلفاء القدماء وقد سافر بعده المتقى وسافر المطيع غير سفره ولكن ليس كذلك .

حدثنى أبو القاسم الجهنى قال : حدثنى أبو محمد بن حمدون عن أبيه أن المتوكل انتهى أن يجعل كل ما يقع عليه عينه فى يوم من أيام شربه أصفر فنصبت له قبة صندل مذهبة مجللة بدياج أصفر مفروشة بدياج أصفر وجعل بين يديه الدستنبو والأترج الأصفر وشراب أصفر فى صوانى ذهب ولم يحضر من جواريه إلا الصفر عليهم ثياب قصب صفر وكانت القبة منصوبة على بركة مرصعة يجرى فيها الماء فأمر أن يجعل فى مجارى الماء إليها الزعفران على قدر ليصفر الماء ويجرى من البركة ففعل ذلك وطال شربه فنقد ما كان عندهم من الزعفران فاستعملوا المعصر ولم يقدروا أنه ينفد قبل سكره فيشتروا فنقد فلما لم يبق إلا قليل عرفوه وخافوا أن يغضب إن انقطع ولا يمكنهم قصر الوقت من شرى ذلك من السوق فلما أخبروه أنكروا لم يسمعوا أمراً عظيماً وقال : الآن إن انقطع هذا تنقص يومى نخذوا الثياب المعصرة بالقصب فانقعوها فى مجرى الماء

غير والون هذا الريحان بشيء من الكافور يسحق ويطحح فوقه فليس هو مبيع هكذا . قال : فأقبلوا يجيئون بصواني الذهب فيها الكافور الرباحي المسحوق أرتالا ويطحح فوق الريحان وهو يستزيدهم إلى أن صار الريحان كالغطى ببياض الكافور وكأنه ثوب أخضر قد ندف عليه قطن رقيق أو روضة سقط عليها ضرائب الثلج فقال حينئذ حسبكم . قال : فقدرت ما استعمل من الكافور كان أكثر من ألف مثقال بشيء كثير فشر بنا عليه فلما قام أمر بنهبه فأخذ غلمانى منه مثاقيل كثيرة لأنهم كانوا فى جملة الخدم والفراشين والغلمان الذين نهبوا ذلك .

سمعت أبا بكر محمد بن يحيى الصولى وأنا إذ ذاك فى حد الصبيان يحكى لأبى حكاية طويلة عن الراضى فيها شعر له وقصة لم تعلق بذهنى كلها فى الحال لصغرى عن ذلك فسأله أبى أن يملها فأملأها على صاحب لآبى جالسا بحضرته وكتبها على ظهر جزء كان قد قرأه لى عليه فيه أشعار وأخبار غير ذلك هو باق عندى وحصلت منها ما بقى فى حفظى أنه دخل إلى الراضى وهو يبنى شيئا أو يهدم شيئا أنا أشك فأنشده أبياتا وكان الراضى جالسا على آجرة حيال الصناع . قال : كنت أنا وجماعة من الندماء قياما فأمر بالجلوس بحضرته فأخذ كل واحد منا آجرة فجلس عليها واتفق أنى أخذت آجرتين ملتزقتين بشيء من اسنيداج فخلست عليهما فلما قنا أمر بأن توزن آجرة كل واحد ويدفع إليه بوزنها دراهم أو دنانير الشك منى . قال : فتضاعفت جائزتى على جوائز الحاضرين بتضاعف آجرتى على آجرتهم . حدثنى على بن الحسن الحاجى قال : حدثنا أبو الحسن العروضى معلم

وترمى فتأخذها الخزان أو غيرهم فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه .

أخبرني أبو القاسم الجهنى أن المقتدر أراد الشرب على نرجس في بستان لطيف في صحن دار من صفار صحونه فقال بعض من يلي أمر البستان : سبيل هذا النرجس أن يسمد قبل شرب الخليفة عليه بأيام فيحسن ويقوى . فقال هو : ويلك يستعمل الخراء في شئ بحضرتي وأريد أن أشمه . قال : بهذا جرت العادة في كل ما يراد تقويته من الزروع . فقال : وما العلة ؟ قال : لأن السماد يحميه فيعينه على النبات والخروج . قال : فيحسن نحمة بغير السماد وتقدم فسحق من المسك بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به وجلس يشرب عليه يومه وليلته واصطبج من غده عليه فلما قام أمر بنهيه فأنتهب البستانبانون والخدم ذلك المسك كله من أصول النرجس واقتلعوه مع طينه حتى خلصوا المسك فصار البستان قاعا صنفصفا وخرج من المال شئ عظيم كثير في ثمن ذلك المسك . حدثني أبو إسحق الطبرى غلام أبي عمر الزاهد غلام تغلب وكان منقطعا إلى بنى حمدون قال : حدثني أبو جعفر بن حمدون قال : كنا نشرب مع الراضى بالله يوما في مجلس معصى بالفاكية الحسنة الفاخرة فعرض بالجلوس فقال : افرشوا لنا المجلس الفلانى واطرحوا فيه ريحانا ويليوفر فقط طرحا فوق الحصر بلا أطباق ولا تعبئة في مشام كما تفعل العامة وعجلوا ذلك الساعة لننتقل إليه . قال : فلم تكن إلا لحظة حتى قالوا له : قد فرغنا من ذلك ، فقال لنا : قوموا . فقمنا معه فلما رأى المجلس قال للشراية :

فلم أوردته لهذا السبب أيضا .

حدثني أبو الحسن البرسي العامل بالبصرة أن بعض بني إسحق الشيرازي المعروف بالخرقي ممن كان يعامل أم المقتدر (أسماء هو وأنسيته أنا) حدثه أنها طلبت منه في يوم يقرب من نيروز المعتضد ألف شقة زهرية خفافا جدا . قال : فبعثت في جمعها والرسل تنكدي بالاستعجال والقهارة يستبطئوني حتى تكلمت وصرت إلى الدار فخرجت القهرمانه فقالت : اجلس في الحجرة التي رسمك واستدع الخياطين وتقدم أن يقطعوا ذلك إزارا على قدر حب القطن ويحشونها من الخرق ويخيطونها فيجعل بدل حب القطن ويشرب دهن البلسان وغيره من الأدهان الطيبة الفاخرة وتوقد في الحجامر البرام على رؤوس الحيطان ليلة النيروز بدلا من حب القطن ... والحجامر الطين ففعلت ذلك . وقال لي : كنت أشتري لها ثيابا بديقية يسمونها ثياب النعال وذلك أنها كانت صفاقا تقطع على مقدار النعال المخذوة وتطلى بالمسك والعنبر المذاب وتجمد ويجعل ذلك^(١) بين كل طبقتين من الثياب من ذلك الطيب ماله قوام ونحن نفعل بطاقات كثيرة كذا ونلف بعضها على بعض ثم نصنع حواليلها بشيء من العنبر ونلرز حتى تصير كأنها قطعة واحدة ونجعل الطبقة الاولى بيضاء مصقولة ونحز حواليلها بالأبريسم ونجعل لها شركا من إبريسم كلها كالشرك المصفورة من الجلود وتلبس . قال : وكانت نعال السيدة من هذا المتاع لا تلبس النعل إلا عشرة أيام أو حواليلها حتى تخلق وتفتت وتذهب جملة دنانير في ثمنها

مقدار ثلاثين مثقالا فاستعمل منه في الحال ما أَرادَه ودعا بعقيدة له فجعل الباقي فيها ليستعمله على الايام . وولى المقتدر الخلافة وجلس مع الجوارى يشرب يوما وكنت على رأسه فأراد أن يتطيب فاستدعى الخادم وسأله فأخبره بمثل ما أخبر به أباه وأخاه فقال : هات الغوالى كلها . فاحضرت الحباب كلها فجعل يخرج من كل حب مائة مثقال وخمسين وأقل وأكثر فيثبه ويفرقه على من بحضرته حتى انتهى إلى حب الواثق فاستطابه فقال : هاتم عقيدة . فجأؤوه بعقيدة وكانت عقيدة المسكتنى بعينها ورأى الحب ناقصا والعقيدة فيها قدح الغالية ما استعمل منه كثير شئ فقال : ما السبب في هذا ؟ فأخبرته بالخبر على شرحه فأخذ يعجب من بخل الرجلين ويضع منهما بذلك ثم قال : فرقوا الحب بأسره على الجوارى . فما زال يخرج منها أرتالا وأنا أتمزق غيظا وأذكر حديث الغيب وكلام المعتضد إلى أن مضى قريب من نصف الحب فقلت له : يا مولاي إن هذه الغالية أطيب الغوالى وأعتمقها ولا يعتاض منها فلوتركت منها لنفسك وفرقت الباقي من غيرها كان أولى . قال : وجرت دموى لما ذكرته من كلام المعتضد فاستحياني ورفع الحب فما مضت إلا سنين من خلافته وفيت تلك الغوالى واحتاج إلى أن عجن غالية بمال عظيم .

أخبرنى غير أبى علي أن تلك الغوالى كلها وما كان في الخزائن من العلوك والعنابر استعمل كله في الوحل الذى كانت السيدة عملته وخبر الوحل مستفيض على السنة العوام فلا وجه للاطالة بذكره ورأيت أيضاً أهل العلم والخبرة بأمور الخلافة وأخبارها يكذبون بذلك تكديبا شديدا

التي يكون فيها زوال الملك عن بنى العباس أصلا . فقلت : يا مولاي بل يبقيك الله حتى ينشؤ في حياتك ويصير كهلا في أيامك ويتأدب بادابك ويتخلق بخلقك ولا يكون هذا الذي ظننت . فقال : احفظ عني ما أقوله فإنه كما قلت . قال : ومكث يومه مهموما وضرب الدهر ضربه ومات المعتضد وولى المكتفى فلم يطل عمره ومات وولى المقتدر كما قاله المعتضد بعينه فكنت كلما وقفت على رأس المقتدر وهو يشرب ورأيت قد سكر ودعا بالأموال فأخرجت إليه وحلت البدر وجعل يفرقها على الجواري والنساء ويلعب بها ويمحقها ويهبها ذكرت مولاي المعتضد وبكيت . قال : وقال صافي : كنت يوما واقفا على رأس المعتضد فأراد أن يتطيب فقال : هاتم فلانا الطيبي (خادم يلي خزانة الطيب) فأحضر فقال له : كم عندك من الغالية ؟ فقال : نيف وثلاثون حبا صينيا مما عمله عدة من الخلفاء . فقال : فأيهما أطيب ؟ قال : ما عمله الواصل . قال : احضرني فأحضره حبا عظيما تحمله خدم عدة بدهق ومصقلة ففتح فاذا الغالية قد ابيضت من التعشيب وجدت من العتق في نهاية الذكاء فأعجبت المعتضد وأهوى بيده الى حوالى عنق الحب فأخذ من اطاحته شيئا يسيرا من غير أن يشمت رأس الحب وجعله في لحيته وقال : ما تسمح نفسي بتطريق التشيعيث على هذا الحب شيلوه . فرفع ومضت الأيام فجلس المكتفى للشرب يوما وهو خليفة وأنا قائم على رأسه فطلب غالية فاستدعى الخادم وسأله عن النوالى فأخبره بمثل ما كان أخبر به أباه فاستدعى غالية الواصل فجاءه بالحب بعينه ففتح فاستطابه وقال : أخرجوا منه قليلا . فأخرج منه

مشيت يوما بين يدي المعتضد وهو يريد دور الحرم فلما بلغ إلى باب دار
شغب ام المقتدر وقف يتسمع ويطلع من خلل الستر فاذا هو بالمقتدر وله
إذ ذاك خمس سنين أو نحوها وهو جالس وحواليه مقدار عشر وصائف
من أقرانه في السن وبين يديه طبق فضة فيه عنقود عنب في وقت فيه
العنب عزيز جدا والصبي يأكل عنبه واحدة ثم يطعم الجماعة عنبه عنبه على
الدور حتى إذا بلغ الدور أكل واحدة مثلما أكلوا حتى فنى العنقود
والمعتضد يتمزق غيظاً . قال : فرجع ولم يدخل الدار ورأته مهموماً فقلت :
يا مولاي ما سبب ما فعلته وما قد بان عليك ؟ فقال : يا صافي والله لولا
النار والعار لقتلت هذا الصبي اليوم فإن في قتله إصلاحاً للامة . فقلت :
يا مولاي حاشاه أى شئ عمل أعينك بالله يا مولاي العن إبليس . فقال :
أنا أبصر بما أقوله أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد
شديد ولا بد من موتى وأعلم أن الناس بعد موتى لا يختارون إلا ولدى
وأثمهم يستجلسون ابني عليا يعنى المكتنى وما أظن عمره يطول للعلة التى
به (قال صافي يعنى الخنازير التى كانت فى حلقه) فيتلف عن قريب
ولا يرى الناس إخراجها عن ولدى ولا يجدون بعده منهم أكبر من
جعفر فيجلسونه وهو صبي وله من الطمع فى السخاء هذا الذى قد رأيت
من أنه أطعم الصبيان مثل ما أكل وساوى يئنه وبينهم فى شئ عزيز فى
العالم والشح على مثله فى طباع الصبيان فيحتوى عليه النساء لقرب عهده
بهن فيقسم ما جمعه من الاموال كما قسم العنب ويبذر ارتفاع الدنيا
ويخربها فتضيع الشغور وتنتشر الامور وتخرج الخوارج وتحدث الاسباب

وكان يسدد ويصل معه ^(١) ويخاطب ويتخاطب على الأمور . فقال لى
المقتدر : قد أحمدا ما كان من خليفتك على القضاء بالأهواز فيما كنا
تقدمنا به فى أموال النيرمديات ^(٢) وقد كتب ابن الحرث أنه قد زاد على
المبتاعين زيادة قبلوها وامتنعوا من أدائها إلا بعد أن أقول بلسانى إنى قد
أمضيت البيع وإنى لا أقبل بعدها زيادة ولا أفعل هذا فاكتب إلى
خليفتك بأننى قد قلت ذلك وأن يسجل لهم بما ابتاعوه . فأردت أذية ابن
الحرث فقلت : يحتاج فى المكاتبة إلى ذكر مبلغ الزيادة . فالتفت فنظر
إلى على بن عيسى نظر منكر فرأيته يرتعد وقال له : مبلغ الزيادة كذا
وكذا . فقال لى : اكتب الى خليفتك بأنها كذا وكذا . فدعوت له
وانصرفت فلما وليت ثقلت فى منشى لأسمع ما يجرى فسمعته يقول
لعلى بن عيسى أى شئ أقبح من هذا (كأنه أنكر) لم ^(٣) يعرف مبلغ
الزيادة أولاً فتذكرها لى من غير أن أحتاج إلى استدعاء عليها فيه . قال :
وكرر الانكار وقال : أى شئ أقبح من هذا وأخرج عن الأدب منه ؟
تحقيقا برسم الملوكة فى أن يتكلموا هم بجميع ما يحتاج اليه فى جميع الأمور
من غير تقصير يحوج المخاطب الى مطالبهم بالزيادة فى البيان وأوماً فى
آخر كلامه إلى أنى إن ذكرت ذلك عنه للناس غض منه ومن الملك .
فسمعت على بن عيسى يقول له يا أمير المؤمنين هذا خادمك وابن خادمك وغذى
نعمتك ونشؤ دولتك ليس مثله من ظن به هذا . حدثنى أبو على الحسين بن محمد
الأبارى الكاتب يحكى عن صافى الحرمى الخادم مولى المعتضد أنه قال :

(١) يعنى مع سليمان (٢) كذا بالأصل ولعله النمروديات (١) لعله لم لم تعرف

حضرت فى بعض أيام المواقب باب دار الخلافة فوقفت فى طيارى
والقضاة فى طياراتهم والقواد والكتاب تتوقع الأذن فاستدعيت وحدى
من بين القضاة فدخلت على المقتدر فوجدت أبا على بن مقله قائماً بين
يديه وهو الوزير إذ ذاك فقال لى المقتدر : قد كان أبوك عضدا وأنت
بحمد الله خلف منه وقد ترى طلب غلمانى هؤلاء عليّ ومطالبهم إياى
بالمال ولو قد فقدونى لتمنوا أيامى وقد عزمت على بيع ضياعى النمروديات
بالأهواز فتكتب إلى خليفتك على القضاء بها فى الاجتماع مع أحمد بن
محمد البريدى على بيع ذلك والمعاونة فيه . فقلت : إذا كان الأمر من
أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بهذا الموضع من العناية خرجت أنا فيه .
فقال : لسا نكلفك ذلك ولكن اكتب إلى خليفتك فيه . قال :
نخرجت وامثلت أمره وكأبت أبا القاسم على بن محمد التنوخى وكان
يخلفنى إذ ذاك على كور الأهواز وقصصت عليه ما جرى ومضت الأيام
وصرف ابن مقله بأبى القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد فأنفذ أبا الحسن
ابن الحرث صاحبه إلى الأهواز صارفاً للبريدى فزاد على من كان اشترى
الضياع مالا عظيما وكتب إلى أبى القاسم التنوخى أنه قد استثنى من المال
بجملة عظيمة لنفسه وخنسها . وكانت فى نفسى على ابن الحرث موجدة
فأسررت ذلك فى نفسى وانحدرت فى يوم موكب على رسمى وكنا فى
طياراتنا إذ خرج خلفاء الحجاب يطلبونى وحدى فصعدت والقضاة
كلهم محجوبون فدخلت على المقتدر وبحضرتة سليمان وعلى بن عيسى

وضمنت نفس أبي فراس للعلا إذ منه أصبحت النفوس براء
 ما كان إلا البدر طال سراره ثم انجلي وقد استتم بهاء
 يوم غدا فيه سماحك معتق ال أسرى ومنك ياسر الامراء
 جرى في مجلس أبي يوما ذكر المقتدر بالله وأفعاله فقال بعض
 الحضار : كان جاهلا . فقال أبي : مه فإنه لم يكن كذلك وما كان إلا جيد
 العقل صحيح الرأي ولكن كان مؤثرا للشهوات ولقد سمعت أبا الحسن
 على بن عيسى يقول وقد جرى ذكره بحضرته في خلوة : ما هو إلا أن
 يترك هذا الرجل النبذ خمسة أيام متتابعة حتى يصح ذهنه فأخاطب منه
 رجلا ما خاطبت أفضل منه ولا أبصر بالرأي وأعرف بالأمور وأسد في
 التدبير ولو قلت إنه إذا ترك النبذ هذه المدة في اصالة الرأي وصحة
 العقل كالمعتضد والمأمون ومن أشبههما من الخلفاء ما حسبت أن أقع
 بعيدا وما يفسده غير متابعة الشرب ولا يخبله سواها .

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال : سمعت المؤتمن
 أبا القاسم سلامة أخا نجح الطولوني يقول : اجتمع على بن عيسى وعلى بن
 محمد الخواري ونصر القشوري وأنا معهم على رأي عقدناه في بعض
 الأمور الكبار التي حدثت في أيام المقتدر فلما صح الرأي عندنا وتقرر
 في أنفسنا دخلنا على المقتدر فعرضناه عليه واستأذناه في إمضائه فقال لنا :
 هذا خطأ في الرأي والصواب كيت وكيت ففكرنا فيما قال فوجدنا
 الصواب معه وقد خفي علينا فرجعنا عن رأينا لرأيه وعملنا عليه .

حدثني أبو الحسين قال : حدثني القاضي أبو طالب ابن البهلول قال :

حلل من المدح ارتضى لك لبسها شكرى فأعرب مفرد فى مفرد
لما نشرت عليك فاخر وشيها قالت لك العلياء أبل وجدد
وأنشدنى لنفسه يعزى سيف الدولة بأبنه أبى المكارم من
قصيدة أولها :

سرورنا بك فوق الهم بالنوب فما يغالبنا حزن على طرب
إذا تجاوزت الاقدار عنك فهل فى واجب الشكر أن يرتاع من سبب
حتام تخدعنا الدنيا بزخرفها ولا تحصلنا منه على أرب
نسر منها بما تجنى عواقبه هما ونهرب والآجال فى الطلب
قال وكان سيف الدولة أقام الفداء بشاطئ الفرات فى سنة خمس
وخمسين وثلثمائة فنفق عليه خمسمائة ألف دينار وأخرج كل من قدر على
إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم واشترى كل أسير بثلاثة
وثمانين ديناراً وثلاث رومية من ضعفاء الناس فأما الجلة ممن كان أسيراً
فقدادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم وكانت الحال هائلة فيما
أخبرنى جماعة حضروا يبقى نخرها وتوابها له فقال أبو الفرج قصيدة فى
ذلك أنشدنيها أولها :

ما المال إلا ما أفاد ثناء ما العز إلا ما حذى الأعداء
فقال فيها فى ذكر الفداء :

وفديت من أسر العدو معاشرأ لولاك ما عرفوا الزمان فداء
كانوا عبيد نذاك ثم شريتهم فغدوا عبيدك نعمة وشراء
والأسير إحدى الميتين وطالما خلدوا به فأعدتهم أحياء

وأنشدني أبو محمد لنفسه في قينة بغداد مشهورة بالاحسان تسمى مواهب كانت جارية لأبي علي الحسن بن هرون الكاتب باعها فاشتراها أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير فلما تزوج ابنة الوزير أبي محمد المهلبى زينة بنت الحسن دفعها الى أبي محمد فأعتقها وزوجها غلاماً من غلمانة يسمى غالباً ويعرف بالشارزاذى وهى الآن تخدم الأمير عز الدولة بصناعتها :

تمام الحبح أن تقف الركائب على دار تحمل بها مواهب
ولولا أن يقال صبا لقلنا عجائب دون أيسرها عجائب
أنشدني أبو الفرج البيهقي قصيدة الى سيف الدولة :

سقت العهاد خليط ذاك المعهد ريتا وحيا البرق برقة شهيد
في جحفل كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافح موج بحر مزبد
فكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين أهلة في الجهد
وكان طرف الشمس مطروف فقد جعل الغبار له مكان الأمد
ووصف فيها اللواء فقال :

وملك رق القنا مستخرج باللفظ أسرار الرياح الركد
خرس ياجيها فتفهم نطقه وتجييه أنفاسها بتصعيد
قلق كأن الجو ضاق به فما ينفك بين توثب وتهدد
فكان همة ربه قالت له طل وارق في درج المعالي واصعد
إن المحامد رتبة لا يبلغ الـ إنسان راحتها إذا لم يجهد
من لم تبلغه السيادة نفسه دون الابوة لم يكن بمسود

تقول في آخرها يصف القصيدة

حدثني أبو الحسن ابن الازرق قال : حدثني أبو محمد ابن درستويه النحوى قال^(١) : حدثني الزجاج قال : كنت أخطر الزجاج فاشتيت النحو فلزمت المبرد لتعلمه ولا يعلمه مجاناً ولا يعلم بأجرة الا على قدرها فقال لى : أى شئ صناعتك ؟ قلت : أخطر الزجاج وكسبى فى كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف وأريد أن تبالغ فى تعليمى وأنا أعطيك فى كل يوم درهماً وأشرط لك أنى أعطيك إياه أبداً الى أن يفرق الموت بيننا استغنيت عن التعليم أو احتجت اليه . قال : فلزمته وكنت أخدمه فى أموره مع ذاك وأعطيه الدرهم فينصحنى فى التعليم حتى استقلت جأه كتاب من بنى مأزمة من الصراة يلتمس معلماً نحوياً لأولادهم فقلت له : سمنى لهم . فأسمانى فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ اليه فى كل شهر ثلاثين درهماً وأتفقده بعد ذلك بما أقدر عليه ومضت على ذلك مدة فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم فقال : لا أعرف لك الا رجلاً زجاجاً بالصرارة مع بنى مأزمة . قال : فكتب اليهم عبيد الله فاستنزلهم عنى فزلوا له فأحضرنى وأسلم القاسم الى فكان ذلك سبب غنائى وكنت أعطى المبرد ذلك الدرهم فى كل يوم الى أن مات ولا أخليه من التفقد معه بحسب طاقتى .

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد وأبو الفرج البيهق قالوا أنشدنا أبو محمد عبد الله بن محمد الكاتب لسيف الدولة :

وقالوا يعود الماء فى النهر بعد ما عفت منه آيات وسدت مشارع
فقلت الى أن يرجع الماء جارياً وتعشب جنباه تموت الضفادع

نفسى عريب تزورني وتلحن شعري وهى على حال مغنية وتنصرف من
عندى صفرا والله لا كان هذا ولو أننى مت ضرا وجوعا وفقرا ففقت
إلى جوارىّ وشرحت الحال لهن وقلت عاونننى بما يحضركن فدفعت
إلىّ هذه خلخالاً وهذه سواراً وهذه عقد حب وهذه جاناً إلى أن اجتمع
لى من حلهم ما قيمته ألف دينار . قال : واستدعيت زنبيلاً مشبكاً ذهباً
كان عندى فيه مائة مثقال فجعلت ذلك فيه وخرجت به إليها وقلت :
يا ستى هذه طرف أحبت إتحاف هاتين الصبيتين بها فأحب أن تأمرهما
بأخذها . فامتنعت امتناعاً ضعيفاً فقالت : يا أبا إسحق بيننا اليوم هذا أو
قبل فضل له ^(١) . فقلت لا بد . فقالت لهما : خذاه . فأخذناه وجلست
إلى وقت المغرب ثم قامت لتنصرف فشيعتها إلى دجلة فلما أرادت
الجلوس فى طيارها قالت : يا أبا إسحق لى حاجة . فقلت : رى بأمرك .
قالت : قد ابتاعت فلانة أم ولدك ضيعة يقال لها كذا وهى تجاورنى وأنا
شفعتها وأريد أن تأمرها بأخذ المال منى والنزول عنها لى . فعلمت أنها إنما
كانت جاءت بهذا السبب فقلت : مكانك فوقفت فى الطيار فدخلت
إلى أم ولدى وضمنت لها المال وأخذت العهد بالضيعة فجئت بها إليها
وقلت : قد وهبتها لك وضمنت المال لها وفى غد أتقدم بالشهاد لك فى
ظهر الكتاب نخذه معك عاجلاً . فشكرتنى ومضت وكان شراء الضيعة
ألف دينار فقامت علىّ يومها وتلحنها هذا الشعر بألفى دينار ومائة دينار .

بالباب وهى فيه تستأذن . فعجبت من ذلك وارتاح قلبى إليها فقمتم حتى نزلت بالشط فاذا هى جالسة فى طيارها فقلت ياستى كيف كان هذا؟ قالت : اشتقت إليك وطال العهد فأحببت أن أجده وأشرب عندك اليوم . قلت : فاصعدى . قالت : حتى تجيئ محفتى . قال : فاذا بطيار لطيف قد جاء وفيه الحفنة فأجلست فيها وأصعدتها الخدم وتحدثنا ساعة ثم قدم الطعام فأكلنا وأحضر البئذ فشربت وسقيتها فشربت وأمرت جوارىها بالغناء وكان معها منهن عدة محسنات طياب حذاق ففتنين أحسن غناء وأطيبه فطربت وسررت وقد كنت قبل ذلك بأيام عملت شعرا وأنا مولى فى أكثر الأوقات بترديده وانشاده وهو :

إن كان ليلىك نوما لا انقضاء له فإن جننى لا تثنى لتغريض

كأن جنبي فى الظلماء تقرضه على الحشية أطراف المقاريض

أستودع الله من لا أستطيع له شكوى المحبة ألا بالمعاريض

فقلت لها ياستى إنى قد عملت أبياتا أشتهى أن تصنعى فيها لحنا .

فقلت : يا أبا إسحق مع التوبة ؟ قلت لها : فاحتالى فى ذلك كيف شئت .

فقلت . روِّها تين الصبيتين الشعر . وأومأت إلى بدعة وتحفة جاريتها

خفظتهما الشعر . وفكرت ساعة ووقعت بالمروحة على الارض وزمزمت

مع نفسها ثم قالت لهما : أصلحا الوتر الفلانى على الطريق الفلانى وأضربا

بالأصبع الفلانية وافعلوا كذا وكذا إلى أن صح لهما الضرب ثم قالت :

غنياه على الطريقة الفلانية واجعلا فى الموضع الفلانى كذا فغنتاه كأنهما قد

سمعتاه قبل ذلك دفعات وما خرج الغناء من بين شفثيهما وقلت فى

أنسه بنى ويتحدث عنه أنه بخل بقضاء دين نديم له ورأى أن يلتزم المال .
ثم قال للغرماء : المال عليّ ووقع لهم في الحال وأخذوه وانصرفنا . فلما
خلونا قال : يا عاض كذا أى شئ كانت هذه المبادرة إلى الإقرار ما قدرت
أن تجحد ولا أغرم أنا المال ولا تجبس أنت ؟ فقلت : لم أستحل ذلك
وكيف أجحد قوما في وجوههم وقد أعطوني أموالهم ؟ قال : ومضت
على هذا مديدة فأضقت فاستدنت الوفاً أخرى دنائير أقل من تلك
وطولبت بها فدافعت لأن دخلى لم يكن ينفي بنفقتي وما أقيم من المروءة
أكثر من قدر حالى فما كان لى وجه أقضى منه الدين وجلس المعتضد
للظالم فرفع إليه القوم فأحضرنى وسألنى فأقررت فوزن المال عنى ثم قال
للقاضى الذى يلى حضرته : خذ هذا فناد عليه فى البلد بسفبه فى ماله وعدمه
وأنه لا يملك ما يباع عليه فيقضى به دينه وأن من عامله بعد هذا فقد
طوح ماله . فاضطربت من ذلك فقال : لا والله لا جعلت أنت غرماءك
كل يوم حيلة على مالى . قال : فما تفنى معه شئ حتى مضيت إلى دار
القاضى وجلست معه فى مجلسه وهو يشيع فى الناس ذلك ويجريه فى وجهى
ولم يناد عليّ

حدثنى أبو محمد قال : حدثنى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن
الشيرازى الكاتب قال : أخبرنى من أثق به أن إبراهيم بن المدبر قال :
كنت أتعشق عريب دهرًا طويلًا وأتفق عليها مالا جليلاً فلما قصدنى
الزمان وتركت التصرف ولزمت البيت كانت هى أيضاً قد أسنت وتابت
من الغناء وزمنت فكنت جالسا يوماً إذ جاءنى بوابى وقال : طيار عريب

وأندم على ما حلفت عليه وقلت : كم عساني أشتري من هذه السبعين ألف شمعاً وشراباً وكم أجذر وما كانت هذه العجلة في اليمين ولولم أكن حلفت كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة . قال : وكانت اليمين بالطلاق والعناق وصدقة الملك والضيعة وأغرقت في الفكر والمعتضد يراني وأنا لا أعلم فلما سلم من الركوع سبّح وقال لي : يا أبا عبد الله في أي شيء فكرت ؟ فقلت : خيراً يا مولاي فقال : بحياتي اصدقني . فصدقته . فقال : وعندك أني أريد أن أعطيك سبعين ألفاً في القمار ؟ فقلت له : فتضغوا ؟ قال : نعم ضغوت قم ولا تفكر في هذا . قال : ودخل في صلاة العصر الفرض . قال : فلحقني غم أعظم من الأول وفكر أشد منه وندم على فوت المال وقلت : لم صدقته ؟ وأخذت ألوم نفسي . قال : فلما فرغ من صلاته وجلس قال لي : يا أبا عبد الله بحياتي اصدقني عن هذا الفكر الثاني . فلم أجد بدا فصدقته . فقال : أما القمار فقد فاتك لأنني قد ضغوت بك ولكني أهب لك سبعين ألف درهم غير تلك من مالي فلم يكن عليّ إثم في دفعها ولا عليك إثم في أخذها وتخرج من يمينك فتأخذها وتشتري بها ضيعة حاللاً . فقبلت يده فأحضر المال وأعطانيه فأخذته واعتقدت به ضيعة . وحدثني أبو محمد قال : حدثني أبو جعفر قال : حدثني أبو محمد ابن حمدون قال : كان عليّ دين ثقیل مبلغه خمسة آلاف دينار ولم يكن لي وجه قضائه ولم تكد القضاة تعدى عليّ لملازمتي المعتضد فجلس المعتضد له ظالم بنفسه مجالس عدة فتظلم إليه مني غرمائي فأحضرني وسألني عن الدين فأقررت به عنده للقوم ففكر المعتضد في حبسي به لهم فيطبل

القاضي كان قديماً عندنا بالبصرة ستة وثلاثين ألف شاهد في مدة ولايته فقلت له : هذا عظيم فكيف كان ذلك ؟ فقال لي : كان القضاة على مذهب أبي حنيفة وغيره من الفقهاء في أن الناس كلهم عدول على الشرائط التي تعرفها وكان يشهد الناس عند التيميم بأسرهم فإذا سمع شهادتهم سأل عنهم فيزكون فقبلهم وكان الناس يشهد بعضهم بعضاً الجيران وأهل الاسواق لا أعرف ترتيب قوم مخصوصين للشهادة إلى أن ولي إسماعيل . قال وكان مبلغ من قبله التيميم ستة وثلاثون ألف شاهد منهم عشرون ألفاً لم تشهد عنده إلا شهادة واحدة . أخبرني أبو القاسم الجهني قال : كانت في أسد بن جهور سوداء ونسيان خضرته يوماً وهو في دار بعض الوزراء وقد جلس يتحدث ومعنا بعض القضاة وكان اليوم حاراً فوضعنا عمامتنا ووضع القاضي قلنسوته فطلب الوزير أسداً فقام مستعجلاً فأخذ قلنسوة القاضي فلبسها ودخل على الوزير فصاح القاضي به وجماعتنا فما سمع حتى دخل كذلك على الوزير فضحك منه .

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان قال . حدثني أبو جعفر بن حمدون قال : حدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون قال : كنت قد حلفت وعاهدت الله تعالى أن لا أعقد مالا من القمار وأن لا يقع في يدي شيء منه الا صرفته في ثمن شمع يحترق أو نبيذ يشرب أو جذر مغنية تسمع . قال : جلست يوماً لألاعب المعتضد بالنرد فقارته سبعين ألف درهم فنهض المعتضد يصلي العصر من قبل أن يأمر لي بها وكان له ركوع طويل قبلها فتشاغل به وصليت أنا العصر فقط جلست أفكر

حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي قال : كان قد ارتكب الحسين بن القاسم بن عبيد الله دين عظيم عشرات ألوف دنانير فدعاه غرماؤه إلى القاضي نخافهم واستتر وجاء إلى جدى فشاوره في أمره وقال : إن بعث ملكي كان بأزاء ديني وحصلت فقيرا وقد رضيت أن أجوع وأعطى غلتي بأسرها الغرماء وليس يقنعون بذلك فكيف أعمل ؟ يحتال لى القاضي فى ذلك . وكان منزل الحسين فى الجانب الشرقى والحكم فيه إلى أبى عمر . فقال له جدى : إن مذهب مالك الحاجر على الرجال إذا بان سفههم فى الأموال وإن بك أبو عمر جعل استدانتك من غير حاجة كانت بك إليها (وإنما بذرت المال وتمزقت فى النفقة) دليلاً على سفهك فى مالك ولو صار أن يسمع فى ذلك شهادة من يعرفه من حالك فثبت حينئذ السفه عنده فيحجر عليك ويمنعك من التصرف فى مالك ويدخل فيه أيدى أمنائه ويحول بينك وبينه فإذا ثبت عنده للغرماء عليك الدين أمرهم يعنى أمناءه بأن يصرفوا الغلات إليهم قضاء للدين وبقيت عليك الأصول . قال : فطرح الحسين نفسه على أبى عمر ففعل به ذلك فظهر وصلحت حاله وجرى أمره مع الغرماء على ذلك . قال : ولى الحسين الوزارة وفسد عليه مونس فسعى فى صرفه قال للمقتدر : يا أمير المؤمنين هذا لم يكن موضعاً لما له حتى حجر عليه القضاة فيه لسفهه وتبذيره كيف يحمد حتى يرد إليه مال الدنيا ويدبرها وسياسة العالم وهو عجز عن تدبير داره ونفقته ؟ فكان ذلك أوكد الأسباب فى صرفه .

حدثني أبو الحسين محمد بن عبيد المعروف بابن نصرويه قال : قبل التميمي

كيف عاد أبو جعفر ؟ قال : فقص عليه اسمعيل القاضي الخبر فقال : جزى الله هذا الصديق عنك خيراً فقد أشار عليك بالرأى الصحيح اكتبوا عهدہ . قال : فكتب عهدي عن الناصر على الأنبار وهيت وعانات والرحبة وقرقيسيا وأعمال ذلك وعدت الى بلدي . قلت أنا : ولم يزل محل أبي جعفر ينمى ويزيد حتى قلد مدينة أبي جعفر المنصور عند صرف أبي عمر في قصة ابن المعتز فظهر من فضله ما اشتهر وكان عند المقتدر ووزرائه بصورة الناسك الزاهد . من ذلك ما حدثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول قال : حدثني أبو علي أحمد بن جعفر بن ابراهيم الحصيني الأنباري الكاتب قال : مات واثق مولى المعتضد فأوصى أن يصلى عليه أبو الحسن علي بن عيسى خضر الخلق وجوه الدولة من القواد والكتاب والأشراف والقضاة وغيرهم فكان فيمن حضر القاضيان أبو جعفر وأبو عمر وكنت حاضراً قال : فوضعت الجنازة وقيل لعلي بن عيسى تقدم بجاء ليتقدم فوقعت عينه على أبي جعفر فذبذبه وقدمه وتأخر هو . قال : فلما انقضت الصلاة طلبت أبا عمر لأنظر كيف هو فوجدته قد اسود وجهه غماً بتقديمهم أبا جعفر عليه خبت الى أبي جعفر وهنأته بذلك وأخبرته بخبر أبي عمر فاستسر بذلك وسر بعلمي أنا بالأمر ومشاهدتي له لأجل البلدية . قال لي ^(١) أبو الحسن هذا مع نقرة كانت بينهما ولكن أبا الحسن لفضله لم يكن يدفع أهل الفضل عنه وان لم يكن ما بينه وبينهم مستقيماً .

حدثني القاضي أبو الحسن علي بن أبي طالب ابن القاضي أبي جعفر ابن البهلول قال : حدثني أبي عن أبيه وحدثني أيضا أحمد بن يوسف الأزرق عن أبي جعفر بن البهلول القاضي قال : لما استقرت الأمور للناصر لدين الله بعد فراغه من أمر الزنج نظر في البلدان ومصالحها وأمر بارتداد قضاة من أهل البلدان لها فسأل عن الأنبار ومن فيها يصلح لتقليد القضاء وأسميت له وكان عارفا بأبي اسحق بن البهلول حين استقدمه المتوكل الى سر من رأى حتى حدثه ولم أكن تقلدت شيئا من ذلك . قال : فأمر باحضاري وتقليدي فتقدم اسمعيل بن بلبل الى اسمعيل بن اسحق القاضي في ذلك فكاتبني بالحضور فحضرت فعرفني الصورة وحملي الى اسمعيل . فقلت لهما : أنا في كفاية وغناء ولا حاجة بي الى تقلد القضاء فأمسكا عني فعدت الى منزلي ببغداد لأصاح أمري وأرجع . فجاءني جعفر بن ابراهيم الحصيني الأنباري وكان من عقلاء المعجم بالأنبار ولى صديقا فقال لي : لأى شئ استدعيت ؟ فحدثته فقال : اتق الله في نفسك ان الذى جرى بينك وبينهما خاف عن الناس انك تعود الى بلدك فيقول أعداؤك « طلب للقضاء فلما شوهد وجد لا يصلح فرد » فقلت : ما أصنع وقد قلت ما قلت ؟ قال : ترجع الى اسمعيل فتصدقه عما جرى بيننا . قال : فباكرت اسمعيل خفين رآنى قال : هذا وجه غير الوجه الأمسى . قلت : هو كذلك . قال هـى . قلت : كان كذا وكان كذا فأخبرته بما جرى بيني وبين جعفر بن ابراهيم . فقال فضحك : والله هذا الصديق والأمر على ما قاله قم بنا الى الوزير . قال : فحملني اليه فلما رآنا اسمعيل تبسم وقال :

هو الابن الزاني . قال : ثم رفع رأسه فقال : ومن أين قلت هذا ؟ قلت : لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ادرؤوا الحدود بالشبهات . وهذه شبهة يسقط الحد معها . فقال : وأى شبهة مع المعاينة ؟ قلت : ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحكم في الحدود لا يكون بالعلم . قال ولم ؟ قلت لان الحد حق الله تعالى والامام مأمور بقيام الحق فكأنه قد صار حقاً له وليس لأحد أخذ حقه بعهده ولا تناوله بيده وقد أجمع المسلمون على وقوع الحد بالاقرار والبيئة ولم يجمعوا على إيقاعه بالعلم . قال : فسجد مرة أخرى وأمر لي بمال جليل ورزق في الفقهاء في كل شهر وأن ألزم الدار . قال : فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وأسبابه فحصل لي من ذلك ما صار أصلاً للنعمة وانضاف رزق الخليفة الى ما كان يجريه عليّ ذلك القائد ولزمت الدار وكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني فأنفتي وأشير فصارت لي مكنة منهم وحرمة بهم وصلاتهم تصل الىّ وحالتي تقوى . ثم استدعاني الخليفة وطاواني واستفتاني في خواص أمره وأنس بي فلم تزل حالي تقوى معه حتى قلدني القضاء . قال لي أبي : بلغني أن أبا يوسف لما مات خلف في جملة كسوته مائتي سراويل خزن أصناف السراويلات وأن جميع سراويلاته كانت مختصة كل سراويل بتكة أرمني تساوي ديناراً وبلغ من محله عنده أن طلبه الرشيد يوماً فجاء وعليه بردة أنسا به فحين رآه الرشيد قال لمن بخضرتة جاءت به معتجراً ببردته سفواء ترمي بنسيج وحده^(١)

(١) هذا بيت ابن ميادة في ابن هبيرة ذكره ابن رشيق في العمدة ١ : ١٥٢

بيوم فلما طال ذلك عليها خرج الى المجلس وأقام فيه يومه وعاد ليلاً فطلب
 ما يأكل فجاءته بغضارة مغطاة فكشفها فإذا فيها دفاتر فقال ما هذا ؟ قالت :
 هذا ما أنت مشغول به بهارك أجمع فكل منه ليلاً . قال : فبكي وبات جائعاً
 وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال ما أكلوه فلما جاء الى أبي حنيفة
 سألته عن سبب تأخره فصدقه فقال : ألا عرفتني فكنت أمدك ولا يجب
 أن تغتم فانه ان طال عمرك فستأكل بالفقة اللوزينج بالفسق المقشور .
 قال أبو يوسف : فلما خدمت الرشيد واختصت به قدمت بحضرته يوماً
 جامعة لوزينج بفسق خفين أكلت منها بكيت وذكرت أبا حنيفة فسألني
 الرشيد عن السبب في ذلك فأخبرته . وحدثني أبي : كان سبب اتصاله
 بالرشيد أنه قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة فحث بعض القواد في يمين
 فطلب فقيهاً يستفتيه فيها فجاءه بأبي يوسف فأفتاه انه لم يحث فوهب له
 دنائير وأخذ له داراً بالقرب منه واتصل به فدخل القائد يوماً الى الرشيد
 فوجده مغموماً فسأله عن سبب غمه فقال : شئ من أمر الدين قد حزني
 فاطلب لي فقيهاً أستفتيه . فجاءه بأبي يوسف فقال أبو يوسف : فلما دخلت
 الى ممر بين الدور رأيت فتى حسناً أثر الملك عليه وهو في حجرة من الممر
 محبوس فأومأ الى بأصبعه مستغيثاً فلم أفهم عنه ارادته وأدخلت الى الرشيد
 فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : يعقوب
 أصلح الله أمير المؤمنين . قال : ما تقول في امام شاهد رجلاً يزني هل
 يحده ؟ قلت : لا يجب ذلك . قال : خين قلبها سجد الرشيد فوقع لي أنه
 قد رأى بعض أولاده المذكور على ذلك وأن الذي أشار الى بالاستغانة

على باب السلم وكان ينفذ إلى حجرة خلوة له هو فيها فلما رآني الحاجب أمر
فرفع لي الستر فدخلت إليه وهو يتبخر وعليه سواده يريد الركوب إلى
المقدر وليس بين يديه أحد فطاولني في الحديث إلى أن فرغ وشد سيفه
ومنطقته وخرج وأنا خلفه فلتقاه الناس بالسلم وتقبيل اليد فخرجوا خلفه
فاختلط بهم فإذا بانسان يجذب طيلسانى فالتفت فإذا هو فلان شيخ من
شيوخ الكتاب أسماء أبو الحسين وأنسيته أنا وذكر أنه كان صديقاً له
ولأبيه من قبله فقال لي : يا أبا الحسين فذاك عمك في بيتك خمسون ألف
دينار ؟ فقلت : لا والله . قال : فتقوى على خمسين ألف مفرعة وصفعة ؟
قلت : لا والله . قال : فلم تدخل إلى الوزير وفلان وفلان (فعدد من
حضر) محجوبون يتمنون الوصول ولا يقدرُونَ ثم لا ترضى حتى تطيل
عنده وتخرج في يوم موكب وراءه ليس معه غيرك ولا خمسون ألف دينار
معدة عندك تؤذيها إذا نكب هذا فأخذت بتبعة الاختصاص به وأنت
لا تقوى على ما يولد هذا . فقلت : يا عم لم أعلم وأنا رجل فقيه ومن أولاد
التجار ولا عادة لي بخدمة هؤلاء . فقال : يا بني لا تعاود فإن هذا يولد
لك اسماً ويجر عليك تبعة . قال : فتجنبت بعد ذلك الدخول إلى سليمان
في أوقات مجالسه العامة وأيام المواقب خاصة.

حدثني أبي قال ^(١) : بلغني من غير واحد أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة
لتعلم العلم على فقر شديد فكان ينقطع بملازمة عن طلب المعاش فيعود
إلى منزل مختل وأمر قل فطال ذلك وكانت امرأته تحتال له ما تقتاته يوماً

إجمال البر وتوفية الاخوان الحق . قال : وقد كنت عاتباً عليه في أشياء عاملني بها وإنما جئته للخصومة فبدأت لأصل الكلام خين رأى البشر^(١) في وجهي قال : تتفضل باستماع كلمتين ثم تقول ما شئت . فقلت له : قل . فقال : رويانا عن ابن عباس في قوله . فَأَصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ قال : عفو بلا تقريع . فان رأيت أن تفعل ذلك فعلت . فاستحييت من الاستقصاء عليه . حضرت أبا عبدالله الخوميني عامل سوق الأهواز وقد دخل إليه أبو بكر أحمد بن عبدالله المعروف بأبي بكر بن عبدالله أبي سعيد الاصمغاني الكاتب فأخذ يريه أنه يريد القيام ويتأقل فيه حتى يسبقه أبو بكر بن أبي سعيد بالجلوس إلى قيامه له فقطن أبو بكر فوقف من بعيد وقال : هي قم قائماً حتى أجيء وإلا انصرفت من موضعي . فضحك الخوميني وقال والله يا سيدي ما أردت هذا وقام له القيام التام .

حدثني أبو الحسين بن عياش قال : تقلد سليمان بن الحسن الوزارة الأولى عقيب اختصاصي به وأنسى فكنت أجيئه على ذلك الأُنس ما تغير عليّ ولا أنكرت منه شيئاً وكنت شاباً ولم تكن لي مداخلة بالملوك وكنت أجيئه والناس محجوبون فأدخل على الرسم وهو خالٍ فاتفق أني بت ليلة موكب عند أبيه أبي محمد فبكرت من غد لأراه ثم أنصرف جئت والقاضي أبو عمر وابنه أبو الحسين والقاضي ابن أبي الشوارب وابنه والقاضي ابن البهلول والناس من الأشراف والكتاب ووجوه القواد وأهل الحضرة محجوبون وهم جلوس في الرواق والحاجب واقف

انقضى الحكم انصرف الخادم فحدث المعتضد بالحديث وبكى عليه فصاح عليه المعتضد وقال : لو باعك لأجزت بيعه ولا رددتك الى ملكي أبداً وليس خصوصك بي زيل مرتبة الحكم فانه عمود السلطان وقوام الأديان . سمعت قاضي القضاة أبا السائب عتبة بن عبيد الله يقول : كان في بلدنا يعني همدان رجل مستور فأحب القاضي قبوله فسأل عنه فزكى له سرّاً وجهرّاً فراسله في حضور المجلس ليقبله وأمر فأخذ خطه في كتب ليحضر فيقيم الشهادة فيها وجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود ونودي به فجاء مع شاهد آخر فلما جلسا ليشهدا أمرهما القاضي بالقيام فقاما ونظر بين الخصوم وتقوض المجلس ولم يقبله فورد على الرجل أمر عظيم ودس الى القاضي من يسأله عن سبب ذلك فقال القاضي : إني أردت قبوله لسيره ودينه ثم انكشف لي أنه مرء فلم يسعني قبوله . فقيل له : كيف انكشف هذا للقاضي بعد أن دعاه للقبول ؟ قال : كان يدخل الى في كل يوم فأعد خطاه من حيث تقع عيني عليه من داري ^(١) الى مجلسي فلما دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان فاذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثاً فعلمت أنه متصنع لهذا الأمر مرء فلم أقبله . حدثني أبو منصور عبد العزيز ابن محمد بن عثمان المعروف بابن أبي عمرو الشراي حاجب أمير المؤمنين المطيع لله قال : دخلت في حديثي يوماً على أبي السائب القاضي فتصغر في القيام أو أظهر ضعفاً عنه للسن والعمل المتصلة به وتناول لي خذبت يديه بيدي حتى أقمته القيام التام وقلت له : أعين قاضي القضاة أيده الله على

القضاء أقم على ما أنت عليه بارك الله فيك ولا تحف أن يثلم ذلك عرضك عندنا . قال : فلما عاودته السيدة بلغنا أنه قال لها : الأحكام ما لا طريق الى اللعب به وابن البهلول مأمون علينا محب لدولتنا وهو شيخ دين مستجاب الدعوة ولو كان هذا شيئاً يجوز ما منعك إياه . فسألت السيدة كاتبها ابن عبد الحميد عن ذلك وشرحت له الأمر فلما سمع ما قاله جدى بكى بكاء شديداً وكان شيخاً صالحاً من شيوخ الكتاب وقال : الآن علمت أن دولة السيدة وأمير المؤمنين تبقى وتثبت اذا كان فيها مثل هذا الشيخ الصالح الذى يقيم الحق على السيدة ولا يخاف فى الله لومة لائم فأى شئ يساوى شراؤكم لوقف وان أخذتم كتابه فخرتموه فأمره شائع ذائع والله فوق كل شئ وبه عالم . فقالت السيدة : وكان هذا لا يجوز ؟ فقال لها : لا هذه حيلة من أرباب الوقف على مال الله وأعلمها أن الشراء لا يصح بتخريق كتاب الوقف وهذا لا يحل فارتجعت المال وفسخت الشراء وعادت تشكر جدى وانقلب ذلك له أثراً جميلاً عندهم . فقال لنا جدى بعد ذلك من قدم أمر الله تعالى على أمر المخلوقين كفاه الله شرهم . حدثني أبى قال : سمعت القاضى أبا عمر يقول : قدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبى فى حكم جفاء فارتفع المجلس فأمره الحاجب بموازاة خصمه فلم يفعل إدلالاً بعظم محله بين الدولة فصاح أبى عليه وقال : هاه أتوهم بموازاة خصمك فتمتنع يا غلام عمرو بن أبى عمرو والنحاس الساعة لا تقدم اليه يبيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ؟ ثم قال لحاجبه : خذ بيده وساو بينه وبين خصمه . فأخذ كرهاً وأجلس مع خصمه فلما

عمر يوم خلع بالحضرة وقد اجتزنا بالناس وهم يعجبون من تقلده أضعاف
هذا العجب حتى خفت أن يثبوا بنا وهذا أبو عمر قدوة في الفضل ومثال
في العقل والنبيل ولكن الناس يسرعون الى العجب مما لم يألفوه . حدثني
أبو الحسين علي ابن القاضي أبي طالب محمد ابن القاضي أبي جعفر بن
البهلول قال : طلبت السيدة أم المقتدر من جدى كتاب وقف اضيعة
كانت ابتاعها وكان الكتاب في ديوان القضاء فأرادت أخذه لتخرقه
وتبطل الوقف ولم يعلم جدى بذلك فحمله الى الدار وقال للقهرمانة : قد
أحضرت الكتاب كما أمرتم فأيش ؟ فقالوا : نريد أن يكون عندنا .
فأحس بالأمر فقال لأم موسى القهرمانة : تقول^(١) للسيدة أعزها الله :
هذا والله ما لا طريق اليه أبداً أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم فإما
مكتنموني من خزنه كما يجب والا فاصرفوني وتسلموا الديوان دفعة
فاعملوا به ما شئتم وخذوا منه ما أردتم ودعوا ما أردتم فإما أن يغل شئ
منه على يدى فوالله لا كان هذا ولو عرضت على السيف . ونهض
والكتاب معه وجاء الى طياره وهو لا يشك في الصرف فصعد الى ابن
القرات فحدثه بالحديث وهو وزير فقال : ألا دافعت عن الجواب وعرفتني
حتى كنت أتلافى ذلك الآن أنت مصروف ولا حيلة لى مع السيدة فى
أمرك . قال : وأدت الرسالة القهرمانة الى السيدة فشكته الى المقتدر فلما
كان فى يوم الموكب خاطبه المقتدر شفاهاً فى ذلك فكشف له الصورة
وقال مثل ذلك القول فى الاستعفاء . فقال المقتدر : مثلك يا أحمد قلد

فيه مثل هذا وتشبهت صورته بصورة من إذا رمى بهذا جاز أن يتشكك فيه والقضاء أرقى من هذا فصرفه . حدثني أبو الحسين ابن عياش القاضي عن حدثه أنه كان يساير أبا حازم القاضي في طريق فقام إليه رجل فقال : أحسن الله جزاءك أيها القاضي في تقليدك فلاناً القضاء بلدنا فانه عفيف . فصاح عليه أبو حازم وقال : اسكت عافاك الله تقول في قاض إنه عفيف ؟ هذه من صفات أصحاب الشرط والقضاة فوقها . قال : ثم سرنا وهو واجم ساعة فقلت : مالك أيها القاضي ؟ قال : ما ظننت أني أعيش حتى أسمع هذا ولكن فسد الزمان وبطلت هذه الصناعة ولعمري إنه قد دخل فيها من يحتاج القاضي معه الى التقريظ وما كان الناس يحتاجون أن يقولوا فلان القاضي عفيف حتى تقلد فلان وذكر رجلا لا أحب أن أسميه . فقلت من الرجل ؟ فامتنع فألححت عليه فأومأ الى أبي عمر . وحدثني أبو الحسين قال : لما قلد المقتدر أبا الحسين ابن أبي عمر القاضي المدينة رئاسة في حياة أبيه أبي عمر خلع عليه واجتمع الخلق من الأشراف والقضاة والشهود والجند والتجار وغيرهم على باب الخليفة حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع فساروا معه . قال : وكنت فيهم مع عمي للصهر الذي كان بينه وبينهم ولأنه كان أحد شهودهم فسار عمي وأنا معه في أخريات الموكب خوفاً من الزحام ومعنا شيخ من الشهود كبير السن أسماه أبو الحسين وأنسيته أنا فكنا لا نجتاز بموضع إلا سمعنا ثلث الناس لأبي الحسين وتعجبهم من تقلد هذا الفتى مع فضله ونفاسته وعلمه وجلالة سلفه . فقال له الشيخ : يا أبا محمد لا تعجب من هذا فلعمري وقد ركبت مع أبي

مداراته والركوب إليه وتلافيه . فقبض على ابن الفرات وأبو أمية لا يعلم
وورد كتاب على الطائر بذلك إلى ابن كنداج فركب بنفسه في عسكره
إلى أبي أمية فقدر أنه قد جاء مسلماً فخرج إليه فقبض عليه ومشاه بين يديه
طول الطريق إلى داره ببني نمير حتى أدخله السجن من تحت الخشبة فأقام
فيه مدة ثم مات ولم يسمع بقااض ادخل السجن من تحت الخشبة غيره ولا
بقااض مات في السجن سواء . ثم ولي ابن الفرات الوزارة أيضاً خفين
جلس سأل عن أصحابه وصنائه وسأل عن أبي أمية فعرف ما جرى عليه
ووفاته فاغم بذلك وقال : فأتني بنفسه فهل له ولد أقضى فيه حقه ؟ فقالوا :
ابن رجل . فكتب إليه بحمله مكرماً فحمل فلما دخل عليه وجد سلامه
سلام متخلف فقال له : ما اسمك ؟ قال : أبو غسان (وكانت لثغته كذا
وكنيته أبو غسان ولم يفرق بتخلفه بين الاسم والكنية) فقال ابن الفرات
عزيز على ألا أقضى حق أبي أمية في نفسه ولا في ولده كيف أقلد هذا
القضاء ؟ فوصله بمال جزيل وأمر باجراء أرزاق عظيمة عليه وصرفه إلى
بلده وكان يأخذها إلى أن زال أمر ابن الفرات .

حدثني أبو نصر أحمد بن عمرو البخاري القاضي قال : حدثني جماعة
من ثقات أهل بغداد أن أبا عمر القاضي قلد ابناً لأحمد بن حنبل القضاء
فتظلم إليه منه وذكر عنده بشناعات لا يليق مثلها بالقضاة فأراد صرفه
فعوتب على ذلك وقيل : ان مثل هذا الرجل لا يجوز أن يكون ما رمى
به صحيحاً فان كان صح عندك والا فلا تصرفه . فقال : ما صح عندي
ولا بد من صرفه . فقيل : ولم ؟ قال : أليس قد احتمل عرضه أن يقال

وعليه ميزر وعلى ظهره رداء خفيف وفي رجله نعلان كيتاني كان^(١) وبيده مروحة وهو قاضي البصرة والأبلة وكور دجلة وكور الاهواز وواسط وأعمال ذلك فيمشى حوله من يتفق أن يكون في الوقت من غير عمل حتى ينتهي إلى موضع حلقة أبي يحيى زكريا الساجي جلس إليه وربما سبقه وجاء أبو يحيى وجلسا يتحدثان ويجمع إليهما أترابهما وإخوانهما القدماء فيستعملون من التخالع والانبساط في الحديث والمزح ما ليس بتقليل ويحیی سعيد الصفار وكان^(٢) أبا أمية على البصرة بقلنسوة عظيمة وقص وخف وطيلسان فيسلم عليه بالقضاء ويستأذنه في الأمور فيقول له : قم عني لا يجتمع على الناس لا تقطعني عن لذتي بمحادثة إخواني القدماء قم إلى مجلسك . فيقوم سعيد فيجلس بالبعد منه في الجامع في موضع برسمه ينظر بين الناس وما كان ذلك يفض من قدره عند الناس وكانت سيرته أحسن سيرة واستعمل من العفة عن الأموال ما لم يعهد مثله وكان ديوان الوقوف بالبصرة ببغداد فإذا أراد أربابها شيئاً خرجوا إلى بغداد حتى يوردوا الأمر فيه من الحضرة فلحق الناس مشقة فنقل أبو أمية ديوانها إلى البصرة فكثرت الدعاء له وصارت سنة وبقى الديوان بالبصرة وكان مع هذا يتيه على ابن كنداج وهو أمير البصرة فلا يركب إليه مرة إلا إذا جاءه ابن كنداج مرة ويعترض على ابن كنداج في الأمور ويسمع الظلامات فيه وينفذ إليه في إنصاف المتظلم فيضج ابن كنداج من يده ويكتب إلى ابن الفرات في أمره فتد عليه الاجوبة بالصواعق ويأمره بالسمع والطاعة فيضطر إلى

(١) لعله كيتانيان (٢) لعله سقط : يخلف

أبا أمية الاخوص الفلاني البصري فانه كان بزازاً فاستتر عنده ابن الفرات
 وخرج من داره إلى الوزارة . فقال له في حال الاستتار : إن وليت الوزارة
 فأى شئ تحب أن أعمل بك ؟ قال : تقلدنى شيئاً من أعمال السلطان . قال :
 ويحك لا يجيئ منك عامل ولا أمير ولا صاحب شرطة ولا كاتب ولا
 قائد فأى شئ أقلدك ؟ قال : لا أدري ما شئت . قال : أقلدك القضاء . قال :
 قد رضيت . فلما خرج وولى الوزارة وهب له وأحسن إليه وقلده قضاء
 البصرة وواسط وسبع كور الاهواز وكان يداعبه ويتلمهى به ويسخر منه في
 أوقات استتاره عنده وقبلها ويمد يده إليه فلما ولاه القضاء وقره عن ذلك .
 ثم انحدر أبو أمية إلى أعماله فأراد أن يعطى نقسه على نفسه وقلة علمه
 ويصل ذلك بشئ يتجمل به فغف عن الاموال فما أخذ شيئاً وتصون
 وتوقر واقتصر على الارزاق وصلات ابن الفرات الدارة فستر ذلك جميع
 عيوبه وتناوله الشعراء فقال فيه القطراني البصري :

عبث الدهر بنا والـ دهر بالأحرار يعبث
 من عذيري من زمان كل يوم هو أنكث
 ما ظننا أننا نبـ قى ولا نحيا ونلبث
 فترى الاخوص يقضى وأبا عبس يحدث

حدثني أبو الحسين محمد بن عبيد بن محمد القاضي المعروف بابن نصرويه
 قال : كنت أيام أبي أمية الفلاني وتقلده القضاء بالبصرة حدثنا وكنت
 أجيئه مع خالى وكان الحر عندنا بالبصرة إذ ذاك شديداً مفرطاً أكثر من
 شدته الآن وكان أبو أمية يخرج في كل عشية من داره في مربعة الاحنف

مطلب

إذا اختل أمر القضاء في دولة اختل حالها

حدثني أبو الحسين بن عياش قال : كان أول ما انحل من نظام سياسة الملك فيما شاهدناه من أيام بني العباس القضاء فان ابن الفرات وضع منه وأدخل فيه قوماً بالزمانات^(١) لا علم لهم ولا أبوة فيهم فما مضت إلا سنوات حتى ابتدأت الوزارة تتضع ويتقلدها كل من ليس لها بأهل حتى بلغت في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة إلى أن تقلد وزارة المتقي أبو العباس الاصفهاني الكاتب وكان في غاية سقوط المروءة والرقاعة ولقد استأذنت عليه يوماً جلاء البواب إليه فقال : ابن عياش بالبواب .^(٢) فسمعتة يقول له من وراء الستر : يدخل . فقلت في نفسي لا إله إلا الله تبلغ الوزارة إلى هذا الحد في السقوط وحتى كان يركب وليس بين يديه إلا ابن حذبنا صاحب الربع وحتى رأيت في شارع الخلد قرداً معلماً يجتمع الناس عليه فيقول له القراد : تشتهي أن تكون بزازاً ؟ فيقول : نعم ويومئ برأسه . فيقول : تشتهي أن تكون عطاراً ؟ فيقول نعم برأسه . فيعدد الصنائع عليه فيومئ برأسه فيقول له في آخرها تشتهي تكون وزيراً ؟ فيومئ برأسه : لا . ويصيح ويعدو من بين يدي القراد فيضحك الناس . قال : وتلى سقوط الوزارة اتضاع الخلافة وبلغ صيورها إلى ما نشاهد فأخملت دولة بني العباس بانحلال أمر القضاء وكان أول وضع ابن الفرات من القضاء تقليده إياه

(١) يريد بالضمانات (٢) في الاصل : من بالبواب

فالا رجعت فأعتبتني وصيرت لي ولقولي الغلب
ولا تنسبن إليّ الخمول عليك أقت فلم أغترب
وأصبحت منك فإن كان فضل وان كان نقص فأنت السبب
وإنّ خراسان إنّ أنكرت علای فقد عرفها حلب
ومن أين ينكرني إلا بعدون أمن نقص جد أمن نقص أب
ألت وإياك من أسرة ويبنى وبينك فوق النسب
وداد تناسب فيه الكرام وتربية ومحل أشب
فلا تعدلن فذاك ابن عم لك لا بل غلامك عما يجب
أكنت الحبيب وكنت القريب ليالى أدعوك من عن كشب
فلما بعدت بدت جفوة ولاح من الأمر ما لا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرة لقلت صديقك من لم يغب
وما شككتني فيك الخطوب ولا غيرتني عليك النوب
وأشكر ما كنت في صحبتي وأحلم ما كنت عند الغضب

قال البيهقي وله في صفة أسره وعلل لحقه هناك ومراث لنفسه في
الأسر وتعطف لسيف الدولة وصفة الأسر وما لحقه فيه شعر كثير حسن
أكثره بمعان مخترة لم يسبق إليها ونحن نورد ما نختاره من ذلك بعد هذا
إن شاء الله تعالى

ذلك مع وجدده عليه ومكانه من قلبه ويقول : لا أفدى ابن عمي خصوصاً وأدع باقي المسلمين ولا يكون الفداء إلا عاماً للكافة . والأيام تدافع الى أن وقع الفداء قبيل موت سيف الدولة في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . فخرج فيه أبو فراس ومحمد بن ناصر الدولة لأنه كان أسيراً أيضاً في أيديهم والقاضي أبو الهيثم عبد الرحمن بن القاضي أبي حصين على بن عبد الملك لأنهم كانوا أسروه أيضاً من حران قبل ذلك بسنين . وخرج من المسلمين عدد عظيم . قال : ولائي فراس كل شيء حسن من الشعر في معنى أسره . فمن ذلك أن كتب سيف الدولة تأخرت عنه وبلغه أن بعض الأشراف قال : إن ثقل هذا المال على الأمير سيف الدولة كاتبنا فيه صاحب خراسان . فاتهم أبا فراس بهذا القول لأنه كان ضمن الروم وقوع الفداء وأداء ذلك المال العظيم فقتل سيف الدولة : ومن أين يعرفه أهل خراسان ؟ فكتب إليه قصيدة أولها ^(١)

أسيف الهدى وقريع العرب	الأم الجفاء وفيم الغضب
وما بال كتبك قد أصبحت	تسكنني مع هذى النكب
وإنك للجبل المشمخر	لى ولقومك ^(٢) بل للعرب
على تستفاد وعاف يفاد	وعز يشاد ونعمى تُرب
وما غرض منى هذا الأسار	ولكن خلصت خلوص الذهب
فقيم تقرعنى بالحوّل	مولى به نلت أعلى الرتب
أشكر أئى شكوت الزمان	وأئى عبتك فيمن عتب

(١) راجع ديوان أبي فراس ص ٤٧ (٢) في الديوان بل لقومك

استجاذته أقره وحرره في نسخة تداولها الناس ومات وما بلغ الأربعين قتلاً . قال : وأظن مبلغ سنه كانت سبعا وثلاثين أو نحوها لما قتل . وكان قرغويه ^(١) غلام أبي الهيجاء الذي كان أحد قواد سيف الدولة وحاجبه احتال عليه حتى قتله في سنة سبع وخمسين وثمانئة . قال : وذلك أن الجيوش السيفية افترقت بعد وفاة صاحبها وكل قطعة حوت بلداً . وصار معظمهم مع قرغويه بحلب واحتوى عليها . وانضمت قطعة الى أبي فراس فغلب بها على حمص . فلما استقام الأمر لقرغويه رحل بالأمر إلى أبي المعالي شريف ابن سيف الدولة وهو إذ ذاك صبي وأبو فراس خاله اقتال أبي فراس . ثم جرت بينهما مراسلة واصطالحوا . وجاء أبو فراس ولا يحدث نفسه أن قرغويه يجسر عليه ولا أنه يخاف أبا المعالي وهو ابن أخته فدخل الى أبي المعالي وخرج وما أحب الأمير أبو المعالي به سوءاً إلا أن قرغويه خاف أن يتمكن من ابن أخته فيحمله على قتله فنصب له قوماً اغتالوه في العسكر وهه عقيب حرب لم تهدأ وتخليط لم يسكن . وأراد الأمير أبو المعالي إنكار ذلك فمنعه قرغويه وطاح دم الرجل رحمه الله . قال : وكان سيف الدولة قلده منبج وحران وأعمالهما جلاء خلق من الروم نخرج اليهم في سبعين نفساً من غلمانهم وأصحابهم يقتلهم فقتل فيهم وقتل . وقدّر أن الناس يلحقونه فما تبعوه وحملت الروم بعددها عليه فأسر . فأقام في أيديهم أسيراً سنين يكتب سيف الدولة أن يفتديه بقوم كانوا عنده عطاء من الروم منهم البطريق المعروف بأغورج وابن أخت الملك وغيره فيأبى سيف الدولة

الباقية الى الآن في أيدي الناس وهو يتصرف مع السلطان . فاجتاز يوماً راكباً في موكب له عظيم ونعمة على غاية الوفور ومنزلة بما لها من الجلالة فسمع رجلاً يقرأ : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » فقال : اللهم بلى . ففكرها دفعات وبكى . ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل الى دجلة فاستتر بالماء الى حلقه . ولم يخرج حتى فرق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه وردها ووصى فيها وتصدق بالباقي وعمل ما اقتضاه مذهبه ووجب عليه عنده . فاجتاز رجل فرآه في الماء قائماً وسمع بخبره فوهب له قميصاً ومئزراً فاستتر بهما وخرج . فلبسهما وانقطع الى العلم والعبادة حتى مات . ثم قال لي أبو علي : فافعل أنت يا أبا القاسم مثل هذا . فان لم تطب نفسك به كله فقب . قال : فأثر كلامه فيّ وعملت على التوبة وتركت التصرف ولم أزل أصليح أمري لذلك مدة حتى استوى لي التخلص من السلطان . فقببت وتركت معاودة التصرف

من مناجيب بني حمدان أبو فراس الحرث بن أبي العلاء ابن حمدان فانه برع في كل فضل على ما أخبرني جماعة شهوده وأثق بهم : حُسن خُلُق لم ير في عصره (وزعموا بالشام) أحسن منه مع خُلُق طاهر وحسن باطن وظاهر وفروسية تامة وشجاعة كاملة وكرم لانه نشأ في تربية سيف الدولة رضى الله عنه وحججه وأخذ أخلاقه وتأدب بآدابه مع ملاحاة خط وترسل وشعر في غاية الجودة وديوانه كبير الا أنه كان قليل موته اختاره على ما أخبرني به أبو الفرج البغواء فنفى منه شيئاً كثيراً . قال : وافقتني على نفيه لأنه عرضه على فكل ما استضعفناه نغاد وما اجتمعنا على

هذه الحال لارحت^(١) راحة الجنة. فقلت: ولم ولاى شئ إلى^(٢)؟ وإنما أنا
أعمل الحساب وأجرى مجرى ناسخ ومجرى واجد أجرى من بيت المال
أو يجيئنى رجل مظلوم قد لزمته زيادة باطلة فى خراجها فأسقطها عنه وأصلحها
له فى الحساب فيهدى إلى بطيب قلبه أو أرتفق من مال السلطان بشئ فى
فى المسامين قسط يكون هذا بازائه. فقال: يا أبا القاسم إن الله لا يخادع!
أخبرنى ألت أنت تختار المساح وتنفذ إلى المساحة وتوصيهم بالتقصى
فيخرجون فيزيدون بالقلم واحداً أو اثنين فى العشر ويجيئونك بالتزوير
فتسقطها^(٣) أنت وتعمل الجرائد وتساهبها إلى المستخرج وتقول له أريد أن
يصح المال فى كذا وكذا يوماً عند الجهبذ وإلا دقت يدك على رجلك؟
فقلت: نعم. قال: فيخرج المستخرج فيبث الفرسان والرجال والرسل
والمستحيين ويضرب ويصنع وقييد. وأنت تأمره وتنهاه وإذا قلت له
« أطلق رجلاً وأخره بما عليه » قبل أمرك وإذا لم تأذن له طالبه حتى
يؤدى. قلت: نعم. قال: فيحصل المال عند الجهبذ فتخرج إليه الصكالك
من ديوانك وبعلا ماتك. فقلت: نعم. قال: فأى شئ بقى من العمل لم
تتوله وتضمن غرمه وتحمل إثمه؟ تب إلى الله والا فأنت هالك ودع
التصرف وأصلح أمر آخرتك. قال: وأخذ يعظنى ويخطب على حتى
بكيت. ثم قال لى: لست بأعظم نعمة ولا أكبر منزلة من جعفر بن حرب
فانه كان يتقصد كبار أعمال السلطان وكانت نعمته تقارب نعمة الوزراء وكان
يعتقد الحق ومنزلته فى العلم المنزلة المشهورة وصنف غير كتاب من كتبه

لأبي القاسم ابن أبي علان : كيف كانت توبتك من التصرف وما سببها ؟
قال : كان سبب ذلك أن أبا عليّ محمد بن عبد الوهاب الجبائي رحمه الله كان
يجيئ إلى الأهواز فينزل علىّ لأنني كنت كاتب ديوان الأهواز وخليفة
أبي أحمد بن الحسين بن يوسف على العمالة والأمركة له أدبره . وكان أبو
عليّ يقدم الأهواز في كل سنة دفعة وقت افتتاح الخراج ويستضيف إلى
خراج ضيعته بجي خراج قوم كان رسمهم أن يكونوا في أثره على مرور
السنين . فإذا قدم البلد أعظمه الناس وأكرموا ولا ينزل إلا علىّ في أكثر
الأوقات فأقرر أمره مع العامل وربما كان العامل غير صاحبي أو من
لا يعرف محل أبي عليّ فيكون ما يقرر عليه أمره أقل من ذلك إلا أنه
كان لا يخلو من أن يسقط عنه نصف الخراج أو ثلثه . فإذا عاد إلى جبي لم
يلزم نفسه من خراج ضيعته شيئاً بة ونظر إلى ما بقي بعد اسقاط خراجه
من النظر فقصه على القوم الذين في أثر القوم وألزمهم بأزاء ذلك أن يضيف
كل واحد منهم رجلاً من الفقراء الذين يتعاملون منه العلم طول السنة
فيكون ما يلزم الواحد على الواحد منهم شيئاً يسيراً لا يبلغ خمس ما أسقطه
عنه من الخراج بجأه . ويعود هو فيخرج من ضيعته العشر الصحيح
فيتصدق به على الفقراء من أهل الحوز قرية التي هو مقيم فيها أهل مجلسه .
وكان هذا دأبه في كل سنة . فنزل علىّ في بعض قدماته فبلغت له مراده
في أمر الخراج وجلسنا ليلة نتحدث فقلت له : يا أبا عليّ تخاف عليّ مما أنا
فيه شيئاً ؟ فقال : يا أبا القاسم وكيف لا أخاف عليك ؟ والله لئن مت على

عليه إلى القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي فكتب لي : عدوى ^(١) إلى صاحب المعونة . فهرب من داره . فنادى القاضي على بابه بالحضور فلم يجمع ذلك . فسأت البريدي لإخراجه فكبس عليه وأخرجه وأحضره معي إلى القاضي فقامت البيعة عليه بالمال . فسأت القاضي حبسه فقال لي القاضي علي بن محمد : الحبس في الأصل غير واجب وذوو المروآت لا يحبسون مع أصاغر الناس في حبس واحد ولكن أمكنك من أن تلازمه بنفسك أو أصحابك كيف شئت . فلازمته في مسجد علي باب القاضي . ومضيت إلى البريدي فقلت : قد لحقت خصمي عناية القاضي فإله الله في فائي لا آمن أن يدس ابن قديدة إلى أكرته أو قوم من الجيش فيؤخذ من يدي ويخرج إلى بغداد فيبطل المال علي ويحصل هناك يسعي بي ويعرض نعمتي . قال : مخاطب البريدي القاضي في ذلك . فتقرر الأمر بينهما على أني أكرت داراً قريبة من حبس القاضي أؤدي أنا أجرتها وأجاس ابن قديدة فيها وألازمه بأصحابي وأوكل بها رجالاً أعطيهم من مالي أجرتهم يحفظونه . فقتله إليها فأقام فيها سنة وكسرا وهو لا يؤدي المال ويكيدني عند ^(٢) نفسه وأنا قد رضيت أن يتأخر المال ويبقى هو محبوساً . واعتقل علة صعبة فجاءتني أمه وكانت بيني وبينها قرابة فسألته إطلاقه وبكت فلم أقول . إلى أن بلغني أنه في النزع . وجاءتني تبكي فرحمتها فأطالمتها إليها بعد أن كفلتها منها فمات بعد ثلاثة أيام . وابتعت بالمال ضياعاً من ضياعه . قلت

(١) لعل الاصوب : اعدوا إلى . أي اذهبوا غداً غد

(٢) لعل الصواب : عن

فقلت : مكنتى من العمل بما أريد وعلى المال . فقال : أنت ممكن . جلست أنا و غلام جوداب فقسطنا المال على أهل البلد وأخرجنا أنفسنا فما ألزمتناها شيئاً ونقصنا من عيننا به وزدنا بإزاء ذلك على غيره . قال : واعتمدت أن قسّطت على ابن قديدة ضعف ما يلزمه وعملنا ذلك به في جرائده . وناظرنا الناس على إلزام ما قسّطناه فامتنعوا وقالوا : على أى حساب هذا ؟ وحاسبونا وناظرونا . فقلت للجماعة : من صلح له أن يلتزم هذا التقسيط والا فليحاسبنا على ما قبضه من غلات الضياع التى اشتراها وأنا أرد عليه ما يبقى له من الثمن بعد ذلك وأخذ ما اشتراه وألتزم هذه الزيادة . وكان كل انسان قد اشترى ما فى شركته وما فى جواره مما كان يتأذى به هو وأسلافه منذ مائة سنة وما كان يمتناه ويشبهه منذ ذلك العهد وما قد ارتخصه واستصاحه . فقامت قيامة أهل البلد والتزموا عن آخرهم التقسيط على ما فصلته عليهم من غير محاسبة . وورّكت على ابن قديدة مالا عظيماً فلم يكن له وجهه ^(١) فأنا جالس فى بيتى ليلة إذ جاءنى فدخل إلى فقلت : ما هذا يا أبا جعفر ؟ وقت اليه وسلمت عليه . فعاتبني وخضع لى فقلت : ما تريد ؟ فقال : تخفف عني من التقسيط وتعاونني بمالك فوالله ما معى ما أؤديه . تخففت عنه منه شيئاً يسيراً وأقرضته ثلاثين ألف درهم وكتبت بها عليه قبالة وأشهدت فيها جماعة عدول البلد وتركتها فى بيتى . فلم أفكر فى المال سنين ورجعت أدس المسكاره والمغارم والحن عليه وهو يذوب وينقص فى كل يوم . فلما علمت أنه قد بلغ آخر عمله طالبته بالدين فاستتر عني فى منزله فاستعدت

الحسن على بن عيسى وهو إذ ذاك الوزير وعرفه محلى . فقال لى : قد كنت أحب أن أراك لما يبلغنى من حسن صناعتك وطرح إلى أعمالا فعملتها بحضرة وأعجيبته صناعتي وقرطاني ولزمته أياماً وخبرى منستر عن كاتب السيدة . ثم خاطبت الوزير وخوطبت السيدة فقالت : لا أقرر أمره أو يصير إلى ديوانى . فقال لى : امض وأنا من ورائك ولا تحف . فضيت فاعتقلونى فراسلتهم فى أمرى وحضر أبو المنذر ديوان السيدة فتوسط ما بينى وبينهم وقرره على صلح ثلاثة آلاف دينار أو نحوها (الشك منى) وضمنها عنى وأخذنى إلى داره فأديتها إليه من جملة السفائح . وطالبنى على بن عيسى بالتصرف معه فعرفته توبتى منه وأنى ضمنت هذا الضمان لضرورة وشرحت له الخبر فأعفانى . فرجعت إلى الأهواز ومضت السنون على العداوة بينى وبين ابن قديدة إلا أنه منهزم . وكتب السلطان ببيع ضياعه بالأهواز وكان الناس يشترون ما يغل فى سنة وأكثر بنصف ثمنه . فاشتريت ما كان فيه غنائى وخرقت^(١) منه الحكم واشترى أبو عبد الله البريدى لنفسه بأسماء قوم أمراً عظيماً برأى واختيارى له وكان سره عندى (وكان ذلك الوقت ينقص على^(٢)) واشترى ابن قديدة فيمن اشترى وتصرفنا فى الضياع . فكتب السلطان بالزامنا زيادة عظيمة (أظنه قال مائة ألف دينار) فقال لى البريدى : كيف أعمل فى الزيادة ؟ فقلت : لا يلزمها الناس لك وواضعت أهل البلد على الاتباع . فجمعهم وخاطبهم فامتنعوا واحتاج أن خطبهم فخلاًبى فقال : ما أعرف فى هذا غيرك فدبره لى . وألزمنى ذلك

كانت السنة الثالثة خرجت رأساً برأس ما خسرت ولا رجحت شيئاً .
فصححت مال الضمان وكتبت أستغنى . وقد علمت أن النسيئة قد بلغت
باب قديده الى حد لا يحسن أن يتقدم معها ولا أن يتقدم أيضاً . فلم يعفنى
كاتب السيدة وطالبني بتجديد الضمان على الزيادة وعمل على التأول عليها
من ابن قديده وأنقذ فى إشخاصى خادماً من كبار خدم السيدة . جئاً فى
طيار وأمر هائل . فتخوفت الشخص معه فأحصل فى الحبس وتستمر
على المسكاره وانتقطع عن الشروع فى الخلاص . فأنزلت الخادم وهاديتيه
ولا طفتيه وحملت اليه خمسة آلاف درهم فاستعظمها وعندى ^(١) . فقلت له :
ان ذيلى طويل وأريد أن أصلح أمرى ثم أخرج فتمهلى أسبوعاً وتدعنى
أخلو فى منزلى وأصلح ما أحتاج اليه ثم أخرج معك . فمكنتنى من ذلك
فقلت لاختوتى وأصهارى وكتابتى : ليدعه كل واحد منكم يوماً له ولغلمانه
وأسيابه وامنعوهم من معرفة خبرى وشاغلوهم بالنبيذ والشراب والمغنيات .
ففعلوا ذلك وخرجت أنا تحت الليل بمرقعة ^(٢) راكباً حماراً ومعى غلامان
من غلمانى ودليل وليس معى شئ من الدنيا الا سفاتج بخمسة آلاف دينار .
وسرت واشتغل الخادم بالدعوات فما عرف خبرى إلا وأنا بواسط .
فقامت قيامته وانحدر فى طريق الماء فوصل الى الابله وقد فارقت ^(٣) أنا
بغداد ثم دخلتها متخفياً وطرحت نفسى على أبى المنذر النعمان بن عبد الله
وكانت لى به حرمة وصحبة أيام تقلده الأهواز وتصرفه ^(٤) معه فلقى بى أبا

(١) لعاه : وأقام عندى (٢) لعاه : بمرقعة (٣) الاصح : قاربت

(٤) لعاه : تصرفى

الى العامل سفتجة بألف دينار مرفقاً وكتبت اليه وسألته الحضور وأنفذت
اليه الكتب الواردة . فلما كان بعد أيام كنت جالساً مع عامل الأهواز
على داره بشاطيء دجيل فاذا بعسكر عظيم قد طلع من جانب المأمونية .
فارتاع وظن أن صارفاً قد ورد وأنفذ من سأل عن الخبر فعاد فقالوا : فلان
عامل السيدة . فعبّر في طيار وأنا معه لتلقيه فحين اجتماعا قال له : يا سيدي
أريد ابن أبي علان . فقلت : أنا هو ياسيدي . قال ولم يكن يعرفني ولا
أعرفه بالوجه . فأقامني من موضعي ورفعني فوق الجماعة وتخير العامل ومن
حضر وقال له : أريد ابن قديدة . فأنفذ اليه فاستدعاه فحين حضر قيده وقال
لي : يا أبا القاسم تسلمه . فقال العامل : ايش هذا التعب ؟ وأقبلت الجماعة
تمازحني فقلت : هو أحوجني الى هذا . قال : فتسلمته وقت الى داري .
وعبر عامل السيدة حملت اليه من الألفاظ والأزوال والهدايا ما صلح
وعقد على الضمان من غد . وانصرف في اليوم الثالث وحملت اليه ألف
دينار أخرى مرفقاً . وحصلت ابن قديدة معي في المسكاره متردداً ووفرت
من جهته مالا على السيدة وكاتبها وهذا العامل وارتجعت مالز^(١) على مؤونة
العامل ومرفقه . وأطلقت بعد شهر الى داره وقد ركب دين ثقيلاً وباع شيئاً
من ضيعته وانكسر جأهه وانخذلت نفسه . ونظرت في الضمان وتصرفت
السنة فربحت عشرة آلاف دينار . فقلت : قد جاء ما قال الشيخ في المنام .
فأثبتها عند الصارف ولم أدخلها في دخلي ولا في خرجي فلما كانت السنة
الثانية قعدت بي الأسعار خسرت ذلك القدر فأديته بعينه في الخسران . فلما

عظيماً فأنفذت إليه كاتباً كان لي يكتب على ضعيتي يعرف بأبي القاسم على ابن محمد بن خربان ليعاتبه ويستكفه ويأخذ الأكار . فتلقى الرجل بكلام غليظ فعاد إلى فقال : ان هذا قد جدّ بك فدبر أمرك لغير ما أنت فيه . فقلت : ما الخبر ؟ فعرّفتني ما جرى عليه . ففكرت فلم أر لحسم مادته عني وأذيتة في نفسه غير ضمان ضياع السيدة وتساهه ومطالبته بالحساب وإيقاعه في مكارهه . فكتبت إلى كاتب السيدة وخطبت ضمان النواحي بزيادة ثلاثين ألف دينار في ثلاث سنين مما رفعها ابن قديدة على أن يسلم إلى لأحاسبه وأطالبه بما يخرج الحساب عليه وأوفره مضافاً إلى هذه الزيادة . وأنفذت الكتاب مع فيج قاصدٍ الحضرة خين فقد اغتممت وقلت : ضياع لا أعرف حاصلها على الحقيقة ! لم حملت نفسي على هذا ؟ وكان احتمال عداوة الرجل أيسر من هذا . وطرححت نفسي مفكراً وأنا بين النائم واليقظان حتى رأيت كأن رجلاً شيخاً أبيض الرأس والوجه بزي القضاة قد دخل إلى وعليه طيلسان أزرق وقلنسوة وخف أحمر فقال : ما الذي يغمك من هذا الأمر ؟ ستربح في أول سنة من هذا الضمان على ما زدت عشرة آلاف دينار وتخسر في الثانية عشرة وتخرج في الثالثة بغير ربح ولا خسران ويكون تعبك بازاء استيفائك من عدوك . فالتفت متعجباً وسألت هل دخل إلى أحد فقالوا : لا . فقويت نفسي قليلاً فلما كان في اليوم الثاني والعشرين ورد رسول من بغداد يكتب إلىّ قد أُجبت فيها إلى ملتصق وكوتب في طيها عامل كان لهم بالطيب مقيماً يشرف على جميع عمالهم بكور الأهواز يؤمر بتدومها وتسليم ابن قديدة إلىّ وعقد الضمان علىّ . فأنفذت

أسفاره فبات في خان خراب بقرب أجمة وماء مستنقع . وكانت ليلة قراء
وكان الموضع مسبعاً والرجل عارف بذلك . فرقى سطح الخان وطلب ابناً
فشرجه^(١) على باب الدرجة وجلس يترقب فإذا رجل عريان قد جاء حتى جلس
على الماء . قال فقلت له : ما تصنع ؟ قال : جئت لأصطاد السباع . فقلت : يا هذا
اتق الله على نفسك ! فقال : الساعة ترى . فلم يلبث هنيهة أن طلع سبع
فتراى له الرجل وصاح به فتصده . فلما قرب منه طرح الرجل نفسه في
الماء فرمى السبع بنفسه خلفه في الماء . فغاصا فإذا بالرجل قد خرج من
وراء السبع وعلق خصيه بيده ثم أخرج من منديل على رأسه قصبه مقدار
ذراع مخوفة فارسية وثيقة نافذة . فدسها في جاعرة السبع وأقبل يدخل فيها
الماء باحدى يديه وكلما دخل جوف الأسد ثقل وضعف بطشه وهو
يمرس مع ذلك خصاه الى أن غرقه وقتله . ثم جره في الماء فأخرجه الى
الشط وسلخ جلده وأخذ جبهته وكفه^(٢) وشحمه ومواضع يعرفها منه لها
ثمن . ثم صاح بي : يا شيخ كذا أصاد السباع . وتركني ومضى . حدثني
أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه بن أبي علان الأهوازي الكاتب
خال والدي قال : كانت بيني وبين أبي جعفر بن قديدة عداوة وكنت
قد تبت من التصرف مع السلطان . فتقصد ضياع السيدة أم المقتدر وفيها
ما تجاوز ضيعتي . فآذاني أذى شديداً في الشرب والأكرة وقصد إخراج
ضيعتي وإبطال جاهي فصبرت عليه فقبض يوماً على أكار فصفعه صنفاً

(١) أى طوباً بضده ورتب بعضه فوق بعض ليجعل منه شبه سور يمنع من
الدخول اليه (٢) كذا بالأصل ولعلها كلمة محرفة

فى عهد بنى اسرائيل تخار يسافر بخمر له ومعه قرد وكان يمزج الخمر بالماء
نصفين ويبيعه بسعر الخمر والقرد يشير إليه أن لا تفعل فيضربه فلما فرغ
من بيع الخمر وأراد الرجوع الى بلده ركب البحر وقرده معه وخُرج فيه
ثيابه والكيس الذى جمعه من ثمن الخمر فلما سار فى البحر استخرج القرد
الكيس من موضعه ورقى الدقل وهو معه حتى صار فى أعلاه ورمى الى
المركب بدرهم والى البحر بدرهم فلم يزل ذلك دأبه حتى قسم الدراهم نصفين
فما كان بحصة الخمر رى به الى المركب فجمعه صاحبه وما كان بحصة الماء
رمى به الى البحر فهلك ثم نزل عن الدقل . سمعت قاضى القضاة أبا السائب
يحكى أن رجلا كان له على رجل دين فهرب منه فلقبه صاحب الدين فى
صحراء فقبض عليه وأخرج قيداً كان معه ونفسه به ^(١) وجعل احدى
الحلقتين فى رجل غريمه والأخرى فى رجل نفسه ومشيا الى قرية بقرب
من الموضع جأأها وقد أدركهما المساء وغلق أهل القرية باب سورها
فاجتهدا فى فتحها لهما فأبى أهل القرية فباتا فى مسجد خراب على باب
القرية جأء السبع وهما نائمان فقبض على صاحب الدين فافترسه وجره
فانجر الغريم معه فلم تزل تلك حاله الى أن فرغ السبع من أكل صاحب
الدين وشبع وانصرف وترك المديون وقد تجرح مما جره وسجبه عليه
وبقيت ركبة الغريم فى القيد فحملها الرجل مع قيده وجاء الى القرية فأخبرهم
الخبر حتى حلوا قيده وسار لوجهه ذلك .

حدثنى القاضى أبو بكر أحمد بن سيار أن رجلا جنه الليل فى بعض

(١) لعاه فجعل يقيد غريمه ونفسه به

في مكك يا أبا العباس ؟ فقال : مخلط خراسان أتصدق به على بدعة صدقة شهر رمضان . فلم أشك في أنه كذلك فقلت : فاطمعي منه . فطرح في كمي منه شيئاً ثقل به كمي وافترقنا فلما بلغت بيتي أردت أن أطعم عيالي منه فنظرت فإذا هو لوز ذهب وسكر فضة وفستق وبنديق عنبر وزبيب ندختمته فلما كان غداً نظرت فإذا قيمته مال جئت إليه ورددته عليه . فقال : يابارد أيش هذا مما ترده جميع ما كان في كمي البارحة كذا فرقته على بدعة وجواريا . فقلت : لو علمت هذا ما طلبته منك . قال : فظننت أني على الحقيقة أحمل إليها لوزا وسكرا وزيبيا وفستقا ؟

حدثني أحمد بن عبد الله بن بكر البصري قال : حدثني عروة البريدي أنه حج في سنة الهبير واشترى من مكة قرداً وكان مع عديله كلب فألف القرد السكلب فكانا يأكلان في موضع . قال : فقطع علينا القرمطي وأخذنا بالسيف وتفرق الناس وحيل بينهم وبين رجالاتهم ومشيت أنا فألفت فيمن ألفت وجئت إلى الكوفة وما أملك إلا درهما واحداً فبينما أنا جالس يوماً أفكر لمن أسأل وكيف أعمل إذ سمعت جلبة وضوضاء فخرجت أبصر ما هي فإذا القرد قد ركب السكلب وجاء كذلك فدخل الكوفة والناس يضحكون منهما وإذا القرد كان يطعم السكلب ورد منه الركوب واحتال لنفسه بذلك طول الطريق . فلما رأيت القرد والسكلب استدعيتهما فجاءا إلى فقال الناس ما هذا ؟ فقلت هما لي فأخذتهما . وبلغ أمير الكوفة الخبر فراساني في بيعهما عليه فبعتهما عليه بثلمائة درهم فكانت سبب صلاح حالي في الوقت وخرجت عن البلد . وروى عن وهب بن منبه أنه كان

فما كتبت بعدها الى الآن جملة في شيء من مكاتباتي الى أحد وصار
بدلها لي طبعاً . ويشبه هذا قول عليّة بنت المهدي لما قرأت القرآن فبلغت
الى قوله عز وجل (وان لم تكن أرادت) فإن لم يصبها وابل فطل فطلعت
فقلت فإن لم يصبها وابل فما نهى أمير المؤمنين عن ذكره ولم تقل طل
لانه كان اسم خادم تعشقه فبلغ الرشيد أخاها خبرها معه جرى عليها منه
مكرهه غليظ وأحلفها على أشياء من أمره انها لا تذكره . وقد حكى أن
بعض النساء الظراف قرأت تعلم ما في روعي ولا أعلم ما في روعي ولم
تقل نفسي لان الظراف لا يقلن ذلك فقال لها بعض من سمعها : ويحك
فأنت أظرف من الله ؟ قولي كما قال .

أخبرني غير واحد أن بحكم لما كان أمير الامراء ببغداد عشق جارية
في القيان بها يقال لها فتوة جارية الهاشمية وكان يتكبر عن شراؤها ويرفع
نفسه أن ييؤح بمحبته ويحضرها فيعطيا كل شيء وكان قد استعمل لها
عودا من عود هندي قام عليه بمال وكانت تغني به فسكرو يوما نخسف وجه
العود وقلعه وملاهها دراهم توسع نيفا وعشرين ألف درهم . وكان عندنا
بالبصرة دلال من أهلها يعرف بابي العباس البغدادى ورث في حداته
مالا جليلا فتقاي بجميعه فلما افتقر صار دلالا فكسب أيضا كسبا ثانيا
كثيرا فما كان يبق معه شيئا بل ينفقه كله في الفساد . فأخبرني بعض
شيوخ البصرة قال : رأيته وهو حدث في ليلة من شهر رمضان مملوء
الكم يريد دار بدعة الدرونية وكانت إذ ذاك مغنية البلد المشهورة فيه
بالنبيل والحدافة والطيب والحسن ولها أخبار كثيرة طريفة فقلت . ايش

السنة أو سنة الى حد النظام سموه^(١) المعجل وكنا نحن نسمى هذا بالمعجل بمعنى أن حاله لا يبلغ به في هذا العمل الا الى حد الطفل الذي يموت في شهور أو سنة أو شهر للنساء فيسمونه المعجل ونعوذ بالله من الأدبار وتغيير النعم وإحاشها بقلة الشكر . ولقد كتبت في محنة لحقتني الى رئيسي كتاباً فيه فصل يتعلق بما ذكرته من منادمة أبي غالب السكاك لمبشر مولانا يذكر ملكه له وقبوله بره بتلك الأحنة استحسنته فأوردته هاهنا وهو : لا أحوجك الله الى اقتضاء ثمن معروف أسديته ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا وأعاذك من عز مفقود وعيش مجهود وأحيالك ما كانت الحياة أجمل بك وتوفاك اذا كانت الوفاة أصلح لك بعد عمر مديد وسموً بعيد وختم بالحسنى عملك وبلغك في الأولى أملك وسدد فيها مضطربك وأحسن في الأخرى منقلبك انه سميع مجيب جواد قريب . حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال : رأيت أبا الحسن على بن عمرو الموصلى يكتب الى أبي تغلب ابن ناصر الدولة وكتب في موضع منه « أمور حميدة » فقلت له : هذا الموضع يصلح أن يكون فيه « أمور جميلة » فأما حميدة فهي لفظة مستكرهة فقال : صدقت ولكني كتبت وأنا بالموصل رقعة الى أبي تغلب فيها « أمور جميلة » فوصلت اليه وهو عند أخته وهي غالبية عليه محتوية على أمره لا يقطع شيئاً دونها ولا يفصل رأياً الا عن مشورتها وكانت الرقعة بما احتاج الى مطالعتها بما فيها فأنكرت على قولي جميلة لأنه اسمها إنكاراً شديداً احتجت معه الى اعتذار

(١) يعنى سمينه

كل يوم غناءً بمائة دينار . فاستترت معه بعد هذا نحو شهر ثم فرج الله عنه وظهر وعادت حاله ففما التقينا قلت : النذر . قال : نعم اجلس لتجعل اليوم أوله جذر ذلك اليوم وتلك الليلة قيانا بمائة دينار وأنفق قريباً منها ثم لم يدع القيان يخرجن إلا أن يملهن فيحضر له بدلهن وجلسنا على تلك الحال يجذر في كل يوم وليلة بمائة دينار قيانا وينفق في طعام وشراب وفاكهة وطيب متليها وكان ربما احتاج إلى لقاء صاحبه والتصرف في شغله فيخرج ويركب ويتصرف ويعود ليلاً أو عشياً وكما يستوى له والغناء جالس والمطبخ قائم ونحن نأكل ونسمع وهو غائب عن ذلك حتى وقي لي أياماً بعد أيام استتارى معه وكانت أكثر من ثلاثين يوماً . ولقد رأيت أنا أبا غالب الاجرى هذا وقد ورد البصرة في أيام أبي القاسم البريدى فاستشفع على أبي بغلامه مبشر لأنه كان قد ملكه في أيام نعمته وكنت أرى مبشراً غلامنا يبره في الأوقات من ماله بعشرين درهماً وثلاثين درهماً ويأخذ له من أبي سبعين درهماً ومائة درهم وهو يحجى إلى مبشر فيؤاكله ويشاربه ويعاشره وكأنه نديم له بدالة ملكه إياه وأرى عليه قيصاً مخروفاً ودراعة مرقوعة ونعلين كنت أرى في رجله يمشى بهما في الطرق وغلامه خلفه ومعه خف منعل فاذا حصل في دهليزنا لبسه ودخل الى أبي ولزمنا مدة الى أن خاطب أبي بعض العمال في تصريفه بعشرة دنانير في الشهر فصرف في ما هذا مقداره . وقال لي درة الصوفي . كان المورث إذا اجتذبا الى اللعب معه ومعه عشرة آلاف دينار أو مائتا ألف درهم سميناه المعجل فقلت له ما معنى هذا ؟ فقال النساء اذا مات لهن ابن له شهور دون

فقلت الزكورية : أراك قد عشقت جاريتي هذه فكم معك ؟ قال خمسين ألف درهم . قالت : هذه دور بلا نجة . فما مضت الا أيام حتى ألتفها فرأيت بهجة لاقيص تحتها ولا فوقها يمشى حافياً ثم صنع الله له بعد ذلك وجد من ابن ياقوت فأثرى وعقل . وحدثني قال : كان رجل من الرجال يقال له ابن وسنا الخزاعي يتعشق حدثاً ببغداد يقال له الحسين بن غريب البقال حسن الوجه رائعاً خفيف الروح حسن الالتقاء فأتفق عليه مالا وباع عقاراً كان له ثم خف ماله فأمسك يده عنه وقطعه فقبل له بعد ذلك لم تركت ابن غريب وحلفت أن لا تكلمه ؟ قال : كلام حسين بن غريب يطير الآجر . حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال : كان بالسكر رجل جاز موسر من التجار يقال له أحمد بن عمر بن حفص نخرج الى أصفهان فأتفق ابن له من ماله في القيان ثلاثة آلاف دينار وكوتب بذلك فعاد فلما اجتمعاً طالبه الحساب فدافع فقال أبوه : إلى كم تدافع بالحساب وقد بلغني خبر ما ألتفت فيه المال فان كنت استفتدت بذلك عقلاً وعلماً بالزمان وحنكتك الشدائد والامور وأدبتك فليس هذا بقال بهذا القدر من مالى فانه مالك وان لم تكن أفدت ذلك فان المصيبة فيك عندي أعظم من المصيبة بذهاب المال . سمعت درة الرقاص الصوفي يقول : استترت مع أبي غالب بن الآجري كاتب صافي أحد الساجية شهراً فضاقت صدرى فتركته وهربت منه فلبعت أياماً عند اخواني ثم جئته فعاتبني فقلت : يا هذا ضاقت صدرى . فقال لى : استتر معى أيام استتارى فاذا خلصنى الله دعوتك أياماً متتابعة بعدد أيام استارك عندي أجذر لك فى

ما يقاربه من جنسه وأنه كان يحدو^(١) دائماً بمائتي دينار في يوم وينثر على المغنيات خمسة آلاف درهم وعشرة آلاف درهم غير دفعة ويهب لهم الخلع كل خلعة بثلاثة آلاف درهم وألفي درهم ومائة دينار يهب منها في مجلس عشر خلع وخمس عشرة خلعة يخرجها من دكان أبيه من التخوت فيها وأنه كان اذا أصبح مخموراً أحضر الثياب الديبق فيحرق بحضرته باليد عصائب الفصد وقال لا ينزل خماری غیر سماع أصواتها وأنه أنفق في فساد فصدته عشيقته ثلاثة آلاف دينار وأشياء من هذا السرف وأنه لما لم يبق له الا نحو خمسين ألف دينار من ماله تاب من هذا كله ولزم يده وتجهز للحج فأتق في فيه وفي أبواب الثواب عشرة آلاف دينار فلما قضى حجه وعاد يريد بغداد مات في طريقه وهو شاب فورث ورثته باقى ذلك المال .

وسمعت بعض الطباب^(٢) يقول وقد جرى ذكر رجل عندنا بالبصرة ورث مقدار مائة ألف دينار^(٣) ففقاين بها في سنين قريبة وعاد فقيراً فقال له ذلك الرجل يا أخى فرسخ قراضه في هذا العمل بضاعة^(٤) . وحدثني أبو الحسن ابن الازرق قال : كان أحمد بن محمد الخراساني الذي صار بعد ذلك صاحباً لابن ياقوت جاءني وقد ورث خمسين ألف درهم في أول عمره فدخل دار الزكورية المغنية وتعشق جارية لها كانت مشهورة ببغداد بالحسن والظرف وطيب الغناء يقال لها زهرة كان الاحداث ببغداد قد استهتروا بها .

(١) لعله يغذو يعنى أهله (٢) كذا بالاصل ولعله الكتاب .

(٣) على الهامش درهم (٤) كذا بالاصل . وفي الكلام تحريف يجعل المعنى غامضاً والنكتة غير مفهومة

بألف دينار وربحت جذور القيان وأمرى الآب على غاية الانتظام والاستقامة . فقلت : من أين هذا ؟ قال : مات خادم لأبي وابن عم لنا بمصر في يوم واحد خلفا ثلاثين ألف دينار حملت الى بأسرها فوصلت في وقت واحد وأنا بين القطن كما رأيت فحمدت الله واعتقدت أن لا أبذر وأن أدبر وأعيش بها الى أن أموت وأنفقها على اقتصاد فعمرت هذه الدار واشترت جميع ما فيها من فرش وآلة وثياب ومركوب وجوار وغلمان بخمسة آلاف دينار وجعلت تحت الارض خمسة آلاف دينار عدة للحوادث وابتعت ضياعاً ومستغلاً بعشرة آلاف دينار يغل لي في كل سنة مقدار تنفقت على هذا المقدار الذي تراه من النفقة ويفضل لي في كل سنة الى وقت ورود الغلات شئ آخر حتى لا أحتاج أقترض ولا أستدين وأمرى يمشى على هذا وأنا في طلبك منذ سنة ما عرفت لك خبراً فاني أحبت أن نرى رجوع حالي ومن دوام صلاحها واستقامتها ثم لا أعاشرك يا عاض بظرامه أبداً خذوا يا غلمان برجليه . قال : جفروا والله برجلي وأخرجوني ولم يدعوني أتم شربي عنده ذلك اليوم وكنت ألقاه بعد ذلك على الطريق راكباً فيضحك اذا رآني ولا يعاشرنى ولا أحداً من تلك الطبقة . ويبعد في نفسى ما حكي من أمر سفاتج الاعراب والأكراد والزجاج فان هذا عندي لا تسمح به نفس مجنون . ولكن قد حكي أن رجلاً من أولاد التجار ببغداد يقال له ابن الدكيني وخبره مشهور ببغداد مات أبوه خلف عليه خمسمائة ألف دينار فلقب بها لعباً لم يسمع قط بأعظم منها وكان يضاهاى المقتدر واذا بلغه أنه عمل شيئاً من ألوان اللذة والطيب والمعب عمل

بستان وجصصها من غير بياض وطبقها وترك فيها مجلساً واحداً حسناً عامراً وجعل باقى المجالس صحناً وقد صارت طيبة إلا أنها ليست بذلك السرو الأول وأدخلنى إلى حجرة كانت له قديماً يخلو فيها وقد أعادها إلى أحسن ما كانت عليه وفيها فرش حسن ليس من ذلك الجنس وفى داره أربعة غلمان قد جعل خدمتين إلى كل واحد منهم وخدام شيخ كنت أعرفه له قدرده وجعله بواباً وشاكراً وهو سائسه وجلس خائووه بألة مقتصدة نظيفة خدماً بها وبفاكهة مختصرة متوسطة وطعام نظيف كاف إلا أنه قليل فأكلنا ونبذ تمر جيد فجعلوه بين يدى وبمطبوخ جيد بين يديه ومدت ستارة فاذا بغناء طيب وبخمر يعود طرى وند جميعاً . وأنا متشوف إلى علم السبب فلما طابت نفسه قال : يا فلان تذكر أيامنا الأولى ؟ قلت : نعم . قال : أنا الآن فى نعمة متوسطة وما قد أفدته من العقل والعلم بالزمان أحب إلى من تلك النعمة . هو ذا ترى فرشى ؟ قلت : نعم . قال : إن لم يكن ذلك العظيم فهو مما يتجمل به أوساط الناس . قلت : نعم . قال : وكذلك آتى وثيابى ومركوبى وطعامى وفاكهتى وشرايى فأخذ يعدد ويقول فى كل فصل إن لم يكن ذلك المفرط فقيه جمال وبلاغ وكفاية إلى أن ذكر غلمانه ويضيف ذلك إلى أمره الأول ويقول هذا يغنى عن ذلك وقد تلخصت من تلك الشدة الشديدة تذكر يوم عاملتى المغنية لغها الله بما عاملتى به وما عاملتى به ذلك اليوم وقلمته فى كل يوم وفى يوم الزجاج ؟ فقلت : هذا قد مضى والحمد لله الذى أخلف عليك وخلصك مما كنت فيه فن أن لك هذه النعمة والجارية التى تغنينا الآن ؟ فقال : اشتريتها

حسرة ؟ قال : نعم . قلت : ما هي ؟ قال : أشتهى أن أرى فلانة (مغنية
كان يعشقها وأتلف أكثر المال عليها) . قال : وبكى فرقت له وأعطيته
من منزلى ثياباً فلبسها وجئنا الى بيت المغنية فقدرت أن حاله قد أثابت
فدخلنا إليها خفين رآته أكرمه وبشت به وسألته عن خبره فصدقها عن
الصورة فقالت له في الحال : قم قم . قال : لم ؟ قالت : لئلا تجيئ ستي وتراك
وليس معك شيء فتجرد على لم أدخلتك فاخرج الى برّا حتى أصعد أكلماك
من فوق . فخرج وجلس ينتظر أن تخاطبه من روضة في الدار إلى الشارع
وهو جالس فقبلت عليه ورقة قدر سكباج وصيرته آية ونكالا وضحكت .
قال : فبكي وقال : يا أبا فلان يبلغ أرى إلى هاهنا أشهد الله وأشهدك
أنى تأب . قال : فأخذت أطنز به وقلت : أيش تنفعك التوبة الآن ؟
قال : ورددته إلى بيته ونزعت ثيابه منه وتركته ثنى القطن كما كان أولا
وحملت ثيابه فغسلتها وأيست منه . فما عرفت له خبراً نحو ثلاث سنين
فأنا ذات يوم في باب الطاق فاذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت
رأسي إليه فاذا به على بردون فاره بمركب خفيف مليح فضة وثياب حسنة
ودراريح فاخرة وطيب طيب وكان من أولاد الكتاب وكان قديماً أيام
يساره يركب من الدواب أفرها ومن المراكب أغرها وآلته وثيابه
أنخر شيء كما كان ترك عليه وورثه من والديه . خفين رأني قال : فلان .
فعلمت أن حاله قد صلحت فقبلت نخذه وقلت : سيدي أبو فلان . فقال :
نعم . قلت : أيش هذا ؟ قال : صنع الله والحمد لله البيت البيت . فتبعته
حتى انتهى إلى بابه فاذا بالدار الأولية قد رمها وجعلها صحناً واحداً فيه

فتبذعه عليهم وتأخذ سفاتجهم إلى الأكراد وتبيع على الأكراد وتأخذ سفاتجهم إلى الاعراب . قال : فكان يعمل هذا حتى فنى ماله . وبلغنى أن آخر أسرع فى ماله فبقيت منه نحو خمسة آلاف دينار فقال : أريد أن تنفى بسرعة حتى أنظر أى شئ أعمل بعدها . فعرضت عليه أشياء من هذا الجنس فلم يردّها فقال له بعض أصحابه : تبتاع زجاجاً مخروطاً بالمال كله إلا خمسمائة دينار وتعييه بخدائك فيكون فى نهاية الحسن وتنق الخمسمائة دينار فى يوم واحد فى جذور المغنيات والفاكهة والطيب والشراب والتلج والطعام فاذا قارب الشراب أن يفنى أطلقت فارتين فى الزجاج وأطلقت خلفهما سنوراً فيتعادى الفار والسنور فى الزجاج فيكسر جميعه وتنهب عن الباقي . فقال : هذا طيب . فعمل ذلك وجلس يشرب خين سكر قال : هى . وأطلق الرجل الفارتين والسنور وتكسر الزجاج وهو يضحك ونام وقام الرجل وررقاؤه فجمعوا ذلك الزجاج وعملوا من قنينة قد تشعثت قدحا ومن قدح قد تكسر برنية غالية ولزقوا ما تصدع وباعوه بينهم فرجع عليهم منه دراهم صالحة اقتسموها وانصرفوا عن الرجل فلم يعرفوا خبره . فلما كان بعد سنة قال صاحب المشورة بالزجاج والفار والسنور : لو مضيت إلى ذلك المدبر فعرفت خبره . بخاء فاذا هو قد باع قماش بيته وأنفقته ونقض داره وباعها وسقوفها حتى لم يبق إلا الدهليز وهو نائم فيه على قطن متغط بقطن قد فتق من لحف وفرش بيعت وبقى القطن فهو يتوطاه ويتغطى به من البرد . قال : فرأيت أنه فكأنه سفرجل يلتجئ بين القطين . فقلت : يا مشؤم ما هذا ؟ قال : ما تراه . فقلت : فى نفسك

اليه من له في الديلم والجيل بخمسمائة دينار^(١) وقصته مشهورة . قال :
 فأخبرني هو قال : كنت أداخل وأدعوهم ولا يشكونني ديلمى وأعطيهم
 علامات بلدانهم فإذا وقع من تمنن بي أعطيته شطر الرزق . قال وكنت
 آكل الثوم ولا أتعالج للضنان وأصبر خيفة على مذاهب الديلم وأجئ
 فأرتفع في القيام حتى ألزق بأبي القاسم مما يلي رأسه فيموت من بعض
 رائحتي . قال وعلمت حالي عنده وكان يطرح كرسيًا برسم الخاصة فإذا
 جلست اصطدت الذباب وقتلته بحضرته كأنني ديلمى قح فكان يضج مني
 ويقول يا قوم اغفوني من هذا الديلمى القح البغيض المنتن وخذوا مني
 أضعاف رزقه . فأقت عنده كذا سنين إلى أن انكشف خبري فهربت
 من يده . وهذا من طيب أخبار المورثين المتخلفين فأوردته . ومن طيب
 أخبار متخلفي المورثين ما أخبرت به من أن أحدهم ورث مالا جسيما
 فتقاي وعمل كل ما انتهى فبلغني فقال : أريد أن تفتحوا لي صناعة لا تعود
 على بشي أئلف بها هذا المال . فقال له أحد جلسائه : اشتر التمر من الموصل
 واحمله إلى البصرة فانك تهلك المال . فقال : هذا إذا فعل عاد منه ولو
 أنان في العشرة تبقى من أصل المال . فقال له آخر : اشتر هذه الإبر
 الخياطية التي تكون ثلاثا بدرهم وأربعا وتتبعها فإذا اجتمع لك عشرة
 آلاف إبرة بجملة الدراهم فأسبكها نقرة وبعها بدرهمين . فقال أليس يرجع
 من ثمنها درهمان ؟ فقال له أحدهم : كأنك تريد مالا يرجع منه شيء البتة .
 فقال : نعم . فقال : تشتري ما شئت من الأمتعة وتخرج به إلى الأعراب

البيت ليحيثه خاطره بذلك الهوس فلما خرجنا قال لى الرجل : آمنت ؟
 فقلت : أشد ما كنت تكذيباً بقولكم الآن . هذا عندكم الآن بمنزلة
 النبي لم لا يجعل نفسه غير أحول ؟ فقال : يا أبله ! كأنه أحول إنما هو يقلب
 عينيه فى الملكوت . وأبو عماره هذا متزوج بامرأة من الأهوازيين
 يقال لها بنت ابن جأنخش ولها أخ فلجر يغنى بالطنبور وكان أبوه شاهداً
 جليلاً ثانياً موسراً والحلاجية تعتقد أنه بمنزلة محمد بن أبى بكر خال
 المؤمنين . فحدثنى عبيد الله بن محمد قال : كنا نسير بالأهواز يوماً ومعنا
 كاتب ظريف من أهل سيراف يقال له المبارك بن أحمد فاجتزنا بالرجل
 فقام وسلم علينا فقال لى الكاتب : من هذا ؟ فقصصت عليه قصته بأشرح
 من هذا فقبل^(١) رأس بغله ورجع . فقلت له إلى أين يا أبا سعيد ؟ قال
 الحقه فأسأله عما سارته به أخته عائشة أم المؤمنين يوم الجمل لما أفضى إليها
 بيده ليخرجها من الهودج . فضحكت من ذلك ورددته . وكان هذا
 الفقى ابن جأنخش قد ورث مالاً جليلاً ودخل الديلم الأهواز عقيب
 ذلك فتقايين بالمال وعاشر الديلم فأنفق أكثره عليهم فتعلم الكلام بالديلمية
 حتى صار إذا تكلم بها كأنه من بلد الديلم وعرف أسماء قراهم وعلامات
 بلدانهم فلما خف ماله اشترى بغلين ودابتين وزوينات وسلاحاً وآلة الجند
 وجعل لرأسه شعراً مثل شعور الجبل والديلم وسمى نفسه حلوز بن باعلى
 وكان أبوه فى الأصل يكنى بأبى على وهذا الاسم من أسماء الجبل وجاء
 الى أبى القاسم البريدى وهو بالبصرة يحارب الأمير أحمد بن بويه فاستأمن

غير واجبة فلم ينزل تحت الحجة وأخذ إلى القدرة فوعظه التومنى وقال :
أيها الأستاذ إن بلدنا بلد كثير الصالحين ضعيف الأهل ما خير قط لمن
ظلمهم وإن أهله يكلونك إلى الله ويرمونك بسهام الأسحار (يعنى الدعاء)
فقلب الصيمرى الكلام إلى السخف وكان شديد الاستعمال له ظاهراً فى
مجلس الحفل والعمل فقال : يا شيخ ! سهام الاسحار فى حيتك يعنى الضراط .
حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخى قال : أخبرنى جماعة
من أصحابنا أنه لما افتتن الناس بالأهواز وكورها بالحلاج وما يخرجهم لهم
من الأطعمة والأشربة فى غير حينه والدرام التى سماها درام القدرة حدث
أبو على الجبائى بذلك فقال : إن هذه الأشياء محفوظة فى منازل يمكن
الحيل فيها ولكن أدخلوه بيتاً من بيوتكم لا منزله هو وكلفوه أن يخرج
منه خرزتين شوكة فان فعل فصدقوه فبلغ الحلاج قوله وأن قوماً قد
عمدوا على ذلك نخرج عن الأهواز وأهل مقالته الآن يعتقدون أن
اللاهوت الذى كان حالاً فيه فى ابن له يستسر^(١) وأن رجلاً بها هاشمياً
ربيعاً يقال له محمد بن عبد الله ويكنى بأبى عمارة قد حلت فيه روح محمد
ابن عبد الله صلوات الله عليه وهو يخاطب فيهم بسيدنا وهى من أعلى
المنازل عندهم .

وأخبرنى من استدعاه بعض الحلاجية إلى أبى عمارة هذا بالبصرة
وله مجلس يتكلم فيه على مذاهب الحلاج ويدعو إليه قال : فدخلته وظنوا
أنى مسترشد فتكلم بحضرتى والرجل أحول وكان يقلب عينه إلى سقف

تخوم الأرض وما دام خبرها مستورا أنت آمن على نفسك امض الآن حيث شئت . وتركني ودخل فعلمت أنه يقدر على ذلك بان يدس أحداً من قطيعه يعتقد فيه ما يعتقد فيقتلني فما حكيت الحكاية إلى أن قتل . وكان الحلاج له الكتب المصنفة في مذاهبه يسلك في كلامه فيها مذاهب الصوفية في الهوس ويكثر من ذكر النور الشعشائي وإذا أفصح بكلام مفهوم كان يرسله حسناً ويتلفظ به مليحاً . أخبرني بعض أصحابه من الكتاب قال : خرج له توقيع إلى بعض دعاة تلاه على خففت منه قوله فيه وقد آن الآن أذانك للدولة الغراء الفاطمية الزهراء المحفوفة بأهل الارض والسماء وأذن للفئة الظاهرة وقوة ضعفها في الخروج إلى خراسان ليكشف الحق قناعه وييسط العدل باعه . وأخبرني هذا الرجل عن حدثه من أصحابه قال : كنا معه في بعض طرقات بغداد فسمعنا زمراً طيباً شجياً فقال بعضهم : ما هذا ؟ فقال لنا هو : هذا نوح إبليس على الدنيا . حدثني أبو الحسن بن محمد التومني البصري وكان علامة لهم حسن النشوار راوية الاخبار ثقة قال : اجتاز بعض البصريين ومعه ابن له حدث في طريق فسمعا ضرب عود فاستطابه الفتى فقال لأبيه : يا أبت ما هذا ؟ قال : يا بني هذا صوت الهيب في أصول النخل . والهيب حديدة عظيمة كالبيرم يقلع بها أصول النخل لا تنقلع إلا بها . وكان هذا التومني حسن البلاغة طويل اللسان يتكلم في أمور الكافة بالبصرة إذا عرضت المهمات العظام وينظر السلطان فلما جاء أبو جعفر الصيمري إلى هناك وطالب الناس بالمعطل ولهذه المطالبة شرح طويل ناظره التومني في أنها

تأزيه وكان مؤزرا بأزار ساج فاذا بعض التأزير فارغ فخركت منه^(١) خمنت عليها فاذا قد انقلعت فدخلت فيها فاذا هي باب مسمر فوجت فيه إلى دار كبيرة فيها بستان عظيم فيه صنوف الاشجار والثمار والنوار والريحان التي هي في وقتها وما ليس هو وقته مما قد عتق وغطى واحتيل في بقائه وإذا خزن ملوحة فيها أنواع الأطعمة المنفوعة منها والحوائج لما يعمل في الحال إذا طلب وإذا بركة كبيرة في الدار خضتها فاذا هي مملوءة سمكا كباراً وصغاراً فاصطدت واحدة كبيرة وخرجت فاذا رجلى قد صارت بالوحل والماء إلى حد ما رأيت رجله . فقلت : الآن إن خرجت ورأى هذا معي قتلى . فقلت : أحتال عليه في الخروج . فلما رجعت إلى البيت أقبلت أقول : آمنت وصدقت . فقال لى : مالك ؟ قلت : ماها هنا حيلة وليس إلا التصديق بك . قال : فاخرج . فخرجت وقد بعد عن الباب وتموه عليه قولى خين خرجت أقبلت أعدو إلى باب الدار ورأى السمكة معي فقصصنى وعلم أنى قد عرفت حيلته فأقبل يعدو خلفى فلحقنى فضربت بالسمكة صدره ووجهه وقلت له : أتعبتنى حتى مضيت إلى ايم فاستخرجت لك هذه منه . قال : فاشتغل بصدرة وبعينه وما أصابه من السمكة وخرجت فلما خرجت خارج الدار طرحت نفسى مستلقياً لما لحقنى من الجزع والفرع فخرج إلى وصاح بى وقال : ادخل . فقلت هيهات والله انى دخلت لا تركتنى أخرج أبداً . فقال : اسمع والله لئن شئت قتلتك على فراشك لأفعلن ولئن سمعت بهذه الحكاية لأقتلنك ولو كنت في

هذا التي يظهرها كالمعجزات ويستغوى بها ضعفة الناس إظهار المآكل في غير أوانها بحيل يقيمها فمن لا تنكشف له يتهوس بها ومن كان فطناً لم تخف عليه . فمن طريف ذلك ما أخبرني به أبو بكر محمد بن إسحاق بن ابراهيم الشاهد الاهوازي قال : أخبرني فلان المنجم وأسماء ووصفه بالحدق والفراهة قال : بلغني خبر الحلاج وما كان يفعله من إظهار تلك المعجائب التي يدعى أنها معجزات ومفتونات فقلت : أمضى وأنظر من أى جنس هى من الخاريق . فجنته كأني مسترشد في الدين فخطبني وخاطبته ثم قال : تشه الساعة ماشئت حتى أجيئك به . وكنا في بعض بلدان الجبل التي لا تكون فيها الأنهار فقلت له : أريد سمكاً طرياً الساعة فقال : أفعل اجلس مكانك . جلست وقام فقال : أدخل البيت وأدعو الله تعالى أن يبعث لك . قال فدخل بيتاً خالياً وأغلق بابه وأبطأ ساعة طويلة ثم جاءني وقد خاض وحلا إلى ركبته وماء ومعه سمكة تضطرب كبيرة . فقلت له : ما هذا ؟ فقال دعوت الله تعالى فأمرني أن أقصد البطائح فأجيئك بهذه فمضيت إلى البطائح فحضت الاهواز وهذا الطين منها حتى أخذت هذه . فعلمت أن هذه حيلة فقلت له : تدعى أدخل البيت فإن لم ينكشف لي حيلة فيه آمنت بك . فقال : شأنك . فدخلت البيت وأغلقتة على نفسي فلم أجد فيه طريقاً ولا حيلة فندمت وقلت : إن أنا وجدت فيه حيلة فكشفتها له لم آمن أن يقتلني في الدار وإن لم أجد طالبني بتصديقه كيف أعمل ؟ قال : وفكرت في البيت فدفعت ^(١)

ابن إسحق البهلول التنوخي الأنباري وأبا عمر محمد بن يوسف وهما إذ ذاك قاضيا بغداد فقال أبو عمر : هذه زندقة يجب عليه القتل بها لأن الزنديق لا يستتاب . وقال أبو جعفر : لا يجب عليه القتل بها إلا أن يقر أنه يعتقد هذا لأن الناس قد يروون الكفر ولا يعتقدونه . فإن أخبر أن هذا شيء رواه وهو يكذب به فلا شيء عليه وإن أخبر أنه يعتقد استتيب منه فإن تاب فلا شيء عليه وإن لم يتب وجب عليه القتل . قال فعمل في أمره على فتوى أبي عمر وعلى ما شاع وذاع من أمره وظهر من إلحاده وكفره واستغوائه الناس وإفساده أديانهم فاستؤذن المقتدر في قتله وكان قد استغوى نصراً القشوريّ من طريق الصلاح والدين لا مما كان يدعو إليه فخوف نصر السيدة أم المقتدر من قتله وقال : لا آمن أن يلحق ابنك يعني المقتدر عقوبة هذا الشيخ الصالح . فنعت المقتدر من قتله فلم يقبل وأمر حامداً فأمر بقتله فخم المقتدر يومه ذلك فازداد نصر والسيدة افتئانا وتشكك المقتدر فيه فأنفذ إلى حامد من بادره بمنعه من قتله فتأخر ذلك أياماً إلى أن زال عن المقتدر ما كان يحذر من العلة مدة فاستأذنه حامد في قتله فضعف الكلام فقال له حامد يا أمير المؤمنين إن بقي قلب الشريعة وارتد الخلق على يده وأدى ذلك إلى زوال السلطان فدعني أقتله وإن أصابك شيء فاقتلني . فأذن له في قتله فعاد فقتله من يومه لثلاثين المقتدر فلما قتل قال أصحابه : ما قتل هذا وإنما قتل برذون كان لفلان الكاتب اتفق أنه تفق ذلك اليوم وهو يعود إلينا بعد مدة . فصارت هذه الجهالة مقالة الطائفة منهم . وكانت أكثر مخاريق الحسين بن منصور الحلاج

على الحلاج وقد جئ بكتب وجدت في داره من قوم تدل مخاطبتهم أنهم
دعاة له في الأطراف يقولون فيها: وقد بذرنا لك في كل أرض ما يزكو فيها
وأجاب قوم إلى أنك الباب يعنون الأمام وآخرون أنك صاحب الزمان
يعنون الأمام الذي تنتظره الأمامية وقوم إلى أنك صاحب الناموس
الأكبر يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وقوم إلى أنك أنت هو هو
يعنون الله عز وجل تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . قال فسئل
الحلاج عن تفسير هذا الرمز فأخذ يدفعه ويقول لا أعرف هذه الكتب
هذه مدسوسة على لا أعلم ما فيها ولا معنى لهذا الكلام . وحدثني أيضاً
عمن حضر مجلس حامد بن العباس الوزير وقد جاؤوا بدفاتر أحدث
الحلاج فيها أن الانسان إذا أراد الحج فإنه يستغنى عنه بأن يعتمد إلى بيت
من داره فيعمل فيه محراباً (وذكره) ويغتسل ويحرم ويقول كذا ويفعل
كذا ويصلي كذا ويقرأ كذا ويطوف بهذا البيت كذا ويسبح كذا
ويضع كذا أشياء قد رتبها وذكرها من كلام نفسه . قال : فإذا فرغ من
ذلك فقد سقط عنه الحج إلى بيت الله الحرام وهذا شيء معروف عند
الحلاجية وقد اعترف لي رجل منهم يقال إنه عالم لهم ولكن ذكر أن هذا
رواه الحلاج عن أهل البيت صلوات الله عليهم وقال ليس عندنا أنه يستغنى
به عن الحج ولكنه يقوم مقامه لمن لا يقدر على الخروج بأضاقة أو منع أو
علة فأعطاني المعنى وخالف في العبارة . قال لي أبو الحسن : فسئل الحلاج
عن هذا وكان عنده أنه لا يوجب عليه شيئاً فأقر به وقال : هذا شيء
رويته كما سمعته . فتعلق بذلك عليه واستفتى حامد القاضيين أبا جعفر أحمد

ما فيه . فإذا خلوت بي ولم تر من يلاحظني فاجعل ذلك تحت ذيلي وانصرف .
فاني آكله سرا وأشرب المساء إذا تجمضت للطهر فيكفيني خمسة عشر
يوماً أخرى إلى أن تأتيني به ثانياً على هذا السبيل . ومتى رصدني هؤلاء
في هذه الخمسة عشر يوماً الثالثة لم يجدوني آكل شيئاً على الحقيقة إلى أن
تعود أنت بعد هذه المدة بالقوت . فأغفلهم في أكله أيضاً فيقوم بي . قال :
فكنت أعمل ذلك معه طول حبسه .

حدثني أبو الحسن بن الأزرقي قال : لما قدم الحلاج بغداد يدعو
استغوى كثيراً من الناس والرؤساء . وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله
من طريقهم . فراسل أباه سهل بن نوبخت يستغويه . وكان أبو سهل من بينهم
مشفقاً^(١) فهما فطنا . فقال أبو سهل لرسوله : هذه المعجزات التي يظهرها قد
تأتي فيها الخيل . وأنا رجل غزل ولا لذة لي أكثر من النساء وخلوتي بهن
وأنا مبتلى بالصلع حتى إنني أطول شعر قحفي وأجذبه إلى جيني وأشدّه
بالعمامة وأحتال فيه بحيل ومبتلى بالخضاب لستر المشيب . فإن جعل لي شعراً
ورد لحيتي سوداء بلا خضاب آمنت بما يدعوني إليه كائنًا ما كان . إن شاء
قلت له إنه نائب الامام وإن شاء الامام وإن شاء قلت إنه النبي وإن شاء
قلت إنه تعالى . قال فاما سمع الحلاج جوابه آيس منه وكيف عنه .

وقال لي أبو الحسن وكان الحلاج يدعو كل قوم إلى شيء من هذه
الأمور التي ذكرها أبو سهل ما يستبله طائفة طائفة وأخبرني أبو الحسن
ابن عياش القاضي عمن أخبره أنه كان بحضرة حامد بن العباس لما قبض

(١) كذا في الأصل ولعلها : متفقاً

قائمة الليل صائمة النهار طول الدهر. أفترأها هي عشقتك أم أنت عشقتها؟
 وضرب فكيه. واجتمع الجيران فقال اللص ذلك فكذبوه لما يعرفون به
 المرأة من الدين والصلاح. فضرب وأقر بالصورة فحمل إلى السلطان.
 حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال: بلغني أن الحسين
 ابن منصور الحلاج لا يأكل شبراً شيئاً ونحو ذلك على تحصيل ورصد.
 قال: فهالني هذا وكانت بيني وبين أبي الفرج ابن روحان الصوفي مودة.
 وكان صالحاً من أصحاب الحديث ديناً. وكان القصرى غلام الحلاج زوج
 أخته. فسألته عن ذلك فقال: أما ما كان الحلاج يفعله فلا أعلم كيف كان
 يتم له. ولكن صهرى القصرى غلامه قد أخذ نفسه سنين بقلعة الزاد
 ودرجها على ذلك حتى تمكن بعد مدة أن يصبر عن الأكل خمسة عشر
 يوماً ونحو ذلك أقل أو أكثر. وكان يتم له ذلك بحيلة كانت تخفى على.
 فلما حبس في جملة الحلاجية كشفها لي وقال: إن الرصد إذا وقع بالإنسان
 شديداً وطال فلم ينكشف له معه حيلة ضعف عنه الرصد ثم لا يزال يضعف
 كلما لم ينكشف حيلة حتى يبطل أصلاً فيتمكن حينئذ من فعل ما يريد.
 وقد رصدني هؤلاء منذ خمسة عشر يوماً فما رأوني آكل شيئاً وهذا نهاية
 صبري عن فقد الغذاء. وإن لم آكل بعده بيوم تلتفت. فخذ رطلا من
 الزبيب الخراساني ورطلا من اللوز ودقهما واجعلهما مثل الكسب
 واصلحهما صفيحة رقيقة. فاذا جثني غدا فاجعلهما بين ورقين من دفتر وخذ
 الدفتر في يدك مكشوفاً مطويًا في كفك طياً مدورا من غير كسر ليخفى

قد أفترتني واخذت مني كل ما أملكك ما صحت ولا فضحتك بين جيرالك
وأنت لما قررتك الآن فماشك أخذت تدعى على اللصوصية يا غث يا بارد !
يبنى وبينك دار القمار الموضع الذي تعارفنا فيه قل بحذائهم أو بحذاء هؤلاء
الحاضرين : قد ضغيت حتى أدع عليك فماشك . فكلما قال الرجل : هذا لص !
فيقول الجيران : انما يريد ألا يفضح بالقمار فلذا ادعى عليه اللصوصية . ولا
يشكون انه مقامر وان الرجل صادق ويخلصون بينهما . ثم يأخذ الجوز
وينصرف ويفتضح الرجل . وأخبرني أنه شاهد آخر كان يدخل الدار
الآهلة ويعتمد التي فيها النساء ورجالهم خارجون . فان تمت له حيلة يأخذ
بها شيئاً انصرف . وان فطن به وجاء صاحب الدار أو هممه انه صديق زوجته
وانه من بعض غلمان القواد ويقول له استر على هذا عند صاحبي وعلى
نفسك ويزيا بالأقبية ^(١) يوم الرجل ان لا يمكنه رفعه الى السلطان في
الزنا ان اختار فضيحة نفسه . وكلما ادعى عليه اللصوصية صاح بهذا الحديث .
فتجتمع الجيران فيشيرون على الرجل بالستر على نفسه . وكلما أنكر ذلك
قالوا هذا محبة بزوجه ويخلصون اللص من يده حتى ربما جبروه على صرفه .
وكلما جحدت المرأة وحلفت وبكت واقرت انه لص كان ذلك ادعى لهم
الى تخليته فيتخلص . ويعود الرجل ويطلق زوجته ويفارق ام ولده . فأخرب
غير منزل وأفتر آخرين . هذا الى ان دخل دارا فيها عجوز لها اكثر من
تسعين سنة ولم يعلم . وأدركه رب البيت فأخذ يوهمه ذلك فقال : يا كشيخان
ليس في الدار الا أمي ولها تسعون سنة وهي منذ أكثر من خمسين سنة

عن الموضع ووجد خفة خلع على الطيب وأجازه . وعولج إلى أن برى وجعل أبو العباس يطلب قرطاساً . وكان إذا رآه في الحرب طرح نفسه لأخذه . فيحاربه قرطاس أشد حرب ويقول له بعجمته : يا بلنباس (يريد يا أبا العباس) إن وقعت في يدك قُدّمني أوتارا . قال فلم يزل المعتضد يجهد نفسه في أمره حتى أخذه أسيراً وقد وقعت به جراحات جفاء به إلى الموفق فأمر بضرب عنقه . فقال له المعتضد : تهب لى قتله حتى أعمل به ما أريد . فقال : أنت أحق به نخذه . فأخذه فقدّ من أصابعه الخمس أوتارا . قال : فقلت لأبى كيف فعل ذلك ؟ فقال : قلع أظفاره وسلخ جلد أصابع كفه من رؤوسها إلى أكتافه وعبر بها صلبه وكسفيه إلى آخر أصابعه الأخرى . وجلد ابن آدم غليظ . فخرج له ذلك فأمر أن تقتل له أوتارا . ففعل وُصِّل بها قرطاس .

ومن طريف حيل اللصوص الواقعة في عهدنا أن أبا القاسم عبيد الله ابن محمد الخفاف حدثني أنه شاهد لصا قد أخذ وتشاهدوا عليه أنه ينفش الأقفال في الدور اللطاف التي تخمن على أنها العزب . فاذا دخل حفر في الدار حفرة لطيفة كأنها بئر النرد وطرح فيها جوزات كأن إنساناً كان يلعبه . وأخرج منديلا فيه مقدار مائتي جوزة فتركه إلى جانبها . ثم دار يكوّر ما في الدار مما يطيق حمله . فان لم يفتن به أحد خرج من الدار وحمل ذلك كله . وإن جاء صاحب الدار ترك عليه قماشه وطلب المقاتلة والخروج . فان كان صاحب الدار جلدا فوائبه ومنعه وهم بأخذه وصاح : اللصوص ! واجتمع الجيران أقبل عليه وقال : ما أبرذك ! أنا أقامرك بالجوز منذ شهر

روحه تخرج بالضرط إلى أن مات . وأخبرني أيضاً رحمه الله أن المعتضد أمر برجل فسد بالقطن أنفه سدا شديدا وفمه وعينه وأذناه ومنخراه وذكره وسوءته . ثم كتف وترك فلم يزل ينتفخ ويزيد إلى أن طار قحف رأسه ومات .

وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب التنوخي قال : قال ابني : كنت مع صاحبي الذي كنت أكتب له بدار الالاي^(١) في عسكر الموفق وهو يقاتل صاحب الزنج . فرمى زنجي من أصحاب الخائن يقال له قرطاس الموفق بسهم فأصاب ثدوته ، وصاح « خذها مني وأنا قرطاس ! » فصارت مثلاً للرماة إلى الآن . فحمل الموفق صريعاً في حد التلف . ونزع السهم وكان مقطناً فبقى الزج مكانه وجمع وانتفخ وأمد واشرف على الموت واستنجد بذلك اهل عسكر الخائن . وكانوا يصيحون بنا في كل يوم : ملحوه ! أي قد مات الموفق فاجعلوه مكسودا^(٢) . فأجمع رأى الطب على بطله فلم يمكنهم الموفق من ذلك . فقالوا للمعتضد انه ان لم يبط عمل الى داخل فأتلف فقال : احتالوا عليه وبطوه وأنا أمنعه منكم . فطوّل أحد الاطباء ظفر إبهامه اليمين وجعل تحته حديدة مبضع وجاء الى الموفق فقال : أيها الامير دعني أجسه وأنظر كيف هو . فقال لملك بطله . فأراه يده وقال : كيف أبطله وليس في يدي حديد ؟ فكفنه منه جسه وخرقه بالمبضع من أوله الى آخره مستعجلاً . فندر الزج وخرج وتبعته مدة عظيمة وقيح . ففزع الموفق في حال البط لمحيطه على غفلة فلحم الطبيب فقلبه عن مكانه . فلما استراح بما خرج

أتوزر وهما عطفين^(١) أى أنتظر حتى أتوزر . وقال فما فارقه حتى شد منزره وهما فوق الباب الحمى . ثم تم مشيه حتى خرج منه وقد غلب بتلك الساعة^(٢) وان لم يكن فى الباب الحديد حيلة أو عادة مثلاً يكون أسفل القدر كالنار إذا دام الوقود عليها فبأخذها الانسان ساعته على راحته لأن البخار يتصاعد ثم يدعها قبل أن ينعكس البخار الى أسفلها . وقد شاهدت أنا أبا الأعز ابن شهاب التيمى بالبصرة فعل ذلك . وإلا فلا أدري ما هو .

وقد أخبرني غير واحد أن القطعة الحديد إذا أدخلت الكور وأحميت حتى تبيض بياضاً شديداً فأخذها الانسان فطعها مرتين أو ثلاثة قبل أن يرجع فيها الحسى لم تضر لسانه . وقد شاهدت أنا أبا الحسن على ابن محمد بن أحمد التنوخى وقد أدخل إلى فيه غير مرة شمعة فيها رطل وعض عليها وكشر شفثيه لى حتى تبينت اتقاد الشمعة فى فيه ساعة ثم أخرجها غير منطقية . وسألته عن علة ذلك فقال : يحتاج إلى حذق فى سرعة الادخال حتى لا تحرق الشفتين . فاذا حصلت فى داخل الفم لم تضر لأن ما يتصاعد من حمى الجوف يغلب على جماها ولا تضر . ومن ظريف عقوبات المعتضد قتله اسمعيل بن بلبل . حدثنى أبى : قال أخبرنى جماعة من أهل الحضرة يعرفون ويحصلون أن المعتضد أمر باسمعيل بن بلبل فاتخذ له تغار^(٣) كبير وملئ اسفيداجاً حياً وبله ثم جعل بالعجل رأس اسمعيل فيه إلى آخر عنقه وشئ من صدره وأمسك حتى جمد الاسفيداج فلم تزل

(١) يريد عطفين (٢) كذا بالأصل ولعلها الصنعة ؟ (٣) كلمة فارسية قد

استعملها الطبرى ٣ : ٧٥٣ معناها الاجانة

وزير المقتدر على كل دار هذه حكمها أجرة العرصة بحسب ذلك. وكان لها ارتفاع كثير. ثم تبع ذلك بسنين خراب المدينة أولاً فأولاً حتى بلغت إلى ما هي عليه.

ومن عجيب أخبار قوة النفس أن أخا بابك الخرمي المازيار قال له لما أدخل على المعتصم: يا بابك انك قد عملت ما لم يعمله أحد. فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد. فقال له: سترى صبري. فلما صاروا بحضرة المعتصم أمر بقطع أيديهما وأرجلهما بحضرته. فبدي بابك فقطعت يميناه فلما جرى دمه مسح به وجهه كله حتى لم يبق من حلية وجهه وصورة سيحته شيء. فقال المعتصم: سلوه لم فعل هذا؟ فسئل فقال: قولوا للخليفة انك أمرت بقطع أربعتي وفي نفسك قتلي. ولا شك أنك لا تكويها وتدع دمي ينزف إلى أن تضرب عنقي. فخشيت أن يخرج الدم مني فتبقى في وجهي صفرة يقدّر لأجلها من حضر أني قد فزعت من الموت وأنها لذلك لا من خروج الدم. فغطيت وجهي بما مسحته عليه من الدم حتى لا تبين الصفرة. فقال المعتصم: لولا أن أفعاله لا توجب العفو عنه لكان حقيقاً بالاستبقاء لهذا الفضل. وأمر بامضاء أمره فيه. فقطعت أربعته ثم ضربت عنقه. وجعل الجميع على بطنه وصب عليه النفط وضرب بالنار. وفعل مثل ذلك بأخيه. فما كان فيهما من صاح أو تأوه.

وقد حكى أن عافية الباقلاني وخالدا الحذاء رئيسي أصحاب العصبية في زمانهما بايعا أن يحمي لهما باب حديد ويمشيان عليه ففعل ذلك. فلما حصل فوقه حل أحدهما مئزره ثم ضرب يده إلى الآخر وضبطه وقال: أنظرني

قال : فَمَلَّتْ لَهُ : كيف فعل ذلك وما كان سببه : فقال : ان رجلاً من أولاد الوائق كان سكن مدينة المنصور فسعى في طلب الخلافة هو وشيعة استوزره وأخذله البيعة على أكثر أهل الحضرة من الهاشمين والقضاة والقواد والجيش وأهل بغداد الأحداث وأهل العصبية . وقوى أمره وانتشر خبره وهمّ بالظهور في المدينة والاعتصام بها حتى إذا أخذ المعتضد صار الى دار الخلافة . فبلغ المعتضد الخبر على شرحه الا اسم المستخلف . فكبس شيعة وأخذته فوجد في داره جرائد بأسماء من بايع . وبلغ الهاشمي الخبر فهرب . وأمر المعتضد بالجرائد فأحرقت ظاهراً لئلا يعلم الجيش بوقوفه عليها فتفسد نياتهم له بما يعتقدون من فساد نيته عليهم . وأخذ يسائل شيعة عن الخبر فصدقه عن جميع ما جرى الا اسم الذي يستخلف . فرفق به ليصدقه عنه فلم يفعل . وطال الكلام بينهما فقال له : والله لو جعلتني كردنا كما ما أخبرت باسمه . فقال المعتضد للفراشين : هاتم أعمدة الخيم الكبار الثقيل . وأمر أن يشدّ عليها شداً وثيقاً . وأحضروا خمماً عظيماً وفُرش على الطوابق بحضرته . وأججوا ناراً وجعل الفراشون يقبلون شيعة على تلك النار وهو مشدود على الأعمدة الى ان مات وانشوى . قال : فأمر المعتضد بهدم السور المحيط بالمدينة . فهدم منه شيء يسير . واجتمع اليه الهاشميون فقالوا : يا أمير المؤمنين نخربنا وذكرنا وآثارنا ! فأمر بقطع الهدم وصرف حفظة كانوا عليه متوكلين برعيه ورخص فيه وتركه وأهمله وخلي بينه وبين الناس . فما مضت الا سنيت حتى هدم الناس أكثره أولاً فأولاً ووسعوا به ما يجاوره من دورهم واستضافوا مكانه اليها حتى ان ذلك اتسع فجعل

فيكم من يسألني أن لا أقتله؟ وأخذ يبكي وكان فيه تخرج من القتل فقالوا:
ما علمنا وخفناك. فصار بعد ذلك إذا أمر بقتل سئل وروجم فيعنو.

أخبرني طلحة بن عبيد الله بن قناش قال: كنت يوماً على مجلس
حديث وأُس بحضرة سيف الدولة أنا وجماعة من ندائه فأدخل إليه رجل
وخطبه ثم أمر بقتله فقتل في الحال. فالتفت إلينا فقال: ما هذا الأدب
السيئ وما هذه المعاشرة القبيحة التي نعاشر ونجالس بها؟ كأنكم ما رأيتم
الناس ولا سمعتم أخبار الملوك ولا عشتُم في الدنيا ولا تأدبتم بأدب دين
ولا مروءة. قال: فتوهما أنه قد شاهد من بعضنا حالاً يوجب هذا
فقلنا: كل الأدب إنما يستفاد من مولانا اطل الله بقاه (وهكذا كان
يخاطب في وجهه) وما علمنا أننا عملنا ما يوجب هذا. فإن رأى أن ينعم^(١)
بتبيينها فعل. فقال: ما رأيتموني وقد أمرت بقتل رجل مسلم لا يجب عليه
القتل وإنما حملتني السطوة والسياسة لهذه الدنيا النكرة على الأمر به طمعاً
في أن يكون فيكم رشيد يسألني العفو عنه فأعفو وتقوم الهيبة عنده وعند
غيره فأمسكتهم حتى أهرق دم الرجل وذهب هدرًا؟ قال: فأخذنا نعتذر
إليه وقلنا: لم نتجاسر على ذلك. فقال: ولا في الدماء؟ ليس هذا بعذر.
فقلنا: لا نعاود. واعتذرنا حتى أمسك.

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال: حدثني أبي قال:
كنت أكتب لبدر اللطيفي في أيام الموفق والمعتضد وأدخل الدار معه
واله. فرأيت محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيعة وقد جعله كردنا كا.

(١) في الاصل: أنعم

الندماء ليرى قلة الاكثراث بما جرى عليه فعاد إلى داره وقد قرب المساء
فدعا بما يأكله فأكل وندماؤه معه وليس فيه فضل لشدة الألم وهو
يتجلد ويتحدث ثم دعا بنيذ فقالوا له أيها الوزير لو استرحت وطرحت
نفسك كان أولى من النبيذ فليس هذا وقته . وذموا له من هذا . فأخذ
يعزيهم على ما جرى عليه ويسليهم وتمثل لى كلامه بهذا البيت :

فأن أمير المؤمنين وفعله كالدهر لا عار بما صنع الدهر
ثم شرب أقداحا وقام . أخبرني بذلك من حدثه إياه من ندماء أبي
محمد عن مشاهدة .

وكانت عادة الأمير معز الدولة إذا حمى جدا أن يأمر بالقتل
ويكره أن يتم ذلك ويعجبه أن يُسأل العفو وهذا كثير من فعله جدا
بخلق من جملة أصحابه . وأول ما عرف ذلك وأقدم لأجله على مسألة العفو
إذا أمر بالقتل في صاحب له أنه أنكر على رجل بالأهواز وهو إذ ذاك
مقيم بها وكان الرجل ضرابا يعرف بابن كردم أهوازي ضمن منه
عمالة دار الضرب بسوق الأهواز فضرب دنائير ردية ولم يعلم الأمير بها
فأنفذها إلى البصرة ليشتري بها الدواب والبريديون إذ ذاك بها فلم تؤخذ
لشدة فسادها فردت وعاد الراضة الذين كان أنفذهم بذلك فعرفوه الخبر
خفي وأحضر ابن كردم هذا وخاطبه وازداد طبعه حمى إلى أن امر أن
يخنق على قنطرة الهندوان بالأهواز فأخرج من بين يديه وخنق ومات
وعاد من كان أمره بذلك فوقف بحضرته . فقال : ما فعل الرجل ؟ قال
خنقناه ومات . فكاد يطير غضبا وشمته وشم الحاضرين وقال : ما كان

في ذلك متصلا والصناع فيه متفرقين وهذا بعد أن كان عمل^(١) بناء مدينة
لنفسه وخرج إلى كلواذا ليتخذها هناك ثم أراد اتخاذها حيال كلواذا ثم
رحل إلى قطر بل وأراد أن ينيها عندها ثم تقرر رأيها على بناء دار بباب الشماسية
حصينة يستغنى بها عن المدينة وتخف عليه نفقتها وقدر لذلك ألوف ألوف
دراهم وزادت النفقة على التقدير أضعافا وكان يطالب وزيره أبا محمد المهلبى
بتوجيه وجوه الأموال لذلك مع قصور الدخل عن الخرج فتلقى منه عبثاً
ثم كلفه تولى البناء بنفسه وكتابه فكان وهم يتولون ذلك فسعى بعض
أصحاب معز الدولة إليه أنهم يُسفقون^(٢) البناء في السوية ليتعجل بنفقة خفيفة
ويسرقون الباقي ووقفه على موضع منه كان فيه ساف لبن لم يحكمه ومشى
عليه بحضرة معز الدولة لأنه ركب إليه فانقلعت منه لبنة فحى طبعه
وكان حديدا جدا سليم الباطن مع ذلك وإذا أخرج حدثه وانقضت
سورة غضبه تندم على فعله وليكن من يقوم على تلك الحدة فأحضر المهلبى
ووقفه على ما رآه فأخذ يحتج عليه فحى وأمر به فبطح وضرب مقارع
كثيرة ثم قال اخنقوه فجعل في عنقه حبل وأمسكه ركايون فوق السور
ليشيلوه ليخنق وبلغ الخبر قواده الأتراك وخواصه فبادروا إلى تقبيل
الأرض بين يديه ومسألته الصفح عنه فأنزل وأطلقه. فضى إلى داره كالميت
وأظهر قلة حفل بذلك لئلا تشمت أعداؤه ويطمعوا في صرفه ويقولوا عليه
بانكسار إن بان منه ولئلا يبلغ صاحبه أنه مستوحش من ذلك فيستوحش
منه وكذا كانت عادته أن يشرب في تلك الليلة النبيذ ويدعو الغناء ويجمع

(١) لعله سقط «على» (٢) أى يقاتلون

لا آخذ منك وأنت على هذه الحال شيئاً . قال : أتدرى ما سمعت من أهل دينكم يحكون عن نبيكم ؟ قلت : لا . قال : سمعتهم يحكون عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال إذا أراد الله بقوم خيراً ولى عليهم خيارهم وأمطرهم المطر في أوامه . ثم أمر قائد البغل يقوده فلم أرم من مكاني حتى جاءني رسول الحجاج : أجب . فمضيت إليه فوجدته متمراً والسيف منتضى في حجره فقال : اذن . فقلت لا والله لا أدنو وهذا في حرك . فاضحكه الله وأحمد السيف وقال : ما خاطبك به المجوسى ؟ قلت والله ما غششتك منذ أئمتنى ولا كذبتك منذ صدقتنى . فقصصت عليه القصة فلما أردت أن أذكر الرجل الذى عنده الثلاثون ألفاً أعرض وقال : لا تذكره اما ان الكافر عالم بأثار رسول الله صلى الله عليه .

كان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه لما ابتنى قصره بباب الشماسية والاصطبلات المتصلة بآخره من الحد^(١) جوانبه التى لم تسبق الى حسننها وعمل الميدان على دجلة متصلاً بين القصر والبستان الشارع على دجلة الذى يلازق دار صاعد بن مخلد الذى كان منزلاً لابی جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاذ ثم صيره أبو جعفر الصيمرى بستاناً والجميع الآن داخل فى جملة قصر معز الدولة أول ما بدا بأن يبنى السور المحيط بالقصر والميدان وبالمسناة العظيمة التى من حد رقة الشماسية الى بعض الميدان وطول ما بناه منها ألف وخمسمائة ذراع وعرضها نيف وسبعون أجرة كبارا سوى المستاهيجات التى تخرج منها الى داخلها ليضبطها وكان العمل

المهوان وإن الفضل استخطأ رأيي فيما عاملت عمرابه فصار اليه وعامله
بمثله حيث لم ينفع ذلك ولو تركتني معه في الاول لاستخرجت منه ثلاثة
آلاف ألف عفواً وهذه تذكرة بخط عمرو وتحتوى على ثلاثة ألف ألف .
فأخرجتها وطرحها بين يديه وقلت : لو كنت علمت أن أمير المؤمنين
يجبني ذلك الوقت إلى ثلاثة آلاف ألف عنه لبذلتها فبذلت ألفي ألف حتى
ان لم يقنع زدت ألف ألف والآل فقد فسد هذا ووالله لا أعطى عمرو
مع ما جرت عليه حبة فان استحل أمير المؤمنين دمه فذاك اليه والا
فليس الى استخراج شئ منه سبيل . قال : فاستحيا المأمون وأطرق
مفكراً ملياً ثم رفع رأسه وقال : والله لا كان كاتباً من كتابي ونبطى من
عمالي اكرم وأوفى وأصح تدييراً منى قد وهبت لك يا محمد عمرى وما عليه
نخذه واصنع به ما شئت . فقامته من الفضل بن مروان وأطامته مكرماً
الى بيته . ويشبه هذا الحديث حديثاً وجدته بخط القاضى أبى جعفر بن
البهلول ذكر أن محمد بن احمد الجشمى أخبره قال : قال الحجاج بن
يوسف لمحمد بن المنتشر : خذ اليك أزامرد بن القرنف فدى يده على
رجله حتى تستخرج المال الذى عليه . قال محمد : فاستخرجت منه بالرفق
ثلاثمائة الف درهم فى جمعة فلم يرض ذلك الحجاج فأخذه منى ودفعه الى
معد صاحب عذابه فدى يده ودهمه فدى ساقه فمر به على وأنا فى السوق
معتزلاً على بغل فقال : يا محمد ادن . فدنوت فقال : انك وليت منى مثل
هذا فأحسنيت الى فأديت ما أديت عفواً ووالله لا يؤخذ منى درهم واحد
كرهاً ولى عند فلان ثلاثون ألفاً أخذها جزاء لما صنعت . فقلت : والله

من يدك وان أبى فانه يسلمنى الى عدوى الفضل بن مروان وهو القتل
ووالله لا أعطيت على هذا الوجه درهماً واحداً ولا كنت ممن يجىء على
الحوان دون الاكرام وسألتف ولا يصل الى الخليفة حبة من مالى
ولكن المنة لك عي خالصة فأز عشت شكرتها وأن مت فالله مجازيك
عنى . قال : فأخذت التذكرة ورحت إلى المأمون فقال : ما عملت فى أمر
عمرو بن نهوى ؟ فقلت : إنه قد بذل ألفى ألف درهم وليس عنده أكثر
من ذلك . فاستشاط وقال : لا ولا كرامة له ولا أربعة آلاف ألف ولا
ثمانية آلاف ألف وقال لى الفضل : ما دمت ترفه وتكرمه وتجلسه على
الدسوت وتخدمه بنفسك وغلمانك كيف لا يتقاعد ؟ فقلت له : قسامة
أنت إن شئت . فقال الخليفة : خذه إليك . فأخذه وأرهبه وطالبه بعشرة
آلاف ألف درهم ودهقه وضربه وهو لا ينجل بشئ فنزل معه إلى خمسة
آلاف ألف فلم يجب فقنع منه بثلاثة آلاف ألف فلم يستجب فلما زاد على
المكروه وخاف الفضل أن يلف فى العذاب فيجب المال عليه فى نفسه
باتلافه إياه رفق به وداراه وخلع عليه ورفه أياماً وقال له : كان محمد بن
يزداد بذل عنك ألفى ألف وقد قنعت بها منك فهاها . فقال : ما ملكها
قط ولا بذلتها لمحمد . جاء الفضل إلى المأمون فاقتص عليه خبره معه فى
معاقبته ومطالبته أولاً بالكل واقتصاره ثانياً وثالثاً وترفيه له واكرامه
وقناعته منه بألفى ألف درهم واقامته على انه لا حال له وانكاره ان يكون
بذل ذلك . وكنت حاضراً فانقطع الحبل فى يد المأمون وكاد يهم بالفضل
فقلت : يا أمير المؤمنين الرجال لا يكالون وليس كل أحد يجىء على

وعاشوا كلهم وأسنوا وفيهم من أعقب . قال لنا القاضي : اسمعيل ابن أبي خالد المحدث له ثلاثة أخوة ولدوا في بطن واحد وكلهم عاشوا وأسنوا .

حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن المنجم عن أسلافه أن المأمون نكب عاملاً له يقال عمرو بن نهوى صهر موسى بن أبي الفرج بن الضحاك من أهل السواد موسراً فامر محمد بن يزيد أن يتسلمه إليه ويعذبه ويعاقبه حتى يأخذ حظه بعشرة آلاف ألف درهم ويستخرجها منه . فسلم عمرو إلى محمد وأكرمه وألفقه وأمر بخدمته وترفيهه وأفرده في حجرة سرية من داره وأخدمه فيها من الفرش والعلمان ما يليق به ولم يكلمه ثلاثة أيام والمأمون يسأل عن الخبر فيبلغه ترفيهه له فينغاض ويسأله فيقول هو مطالب . فلما كان في اليوم الرابع استدعى عمرو ومحمداً فدخل إليه . قال محمد بن يزيد : فقال يا هذا قد عرفت ما تقدم به إليك الخليفة من أمري ووالله ما رأيت هذا المال ولا نصفه ولا ثلثه قط ولا يحتوى عليه ملكي ولعل الخليفة يريد دمي وقد جعل هذا إليه طريقاً وقد تفضلت عليّ بما لا يسعني معه أن أدخر جهداً في تجميلك عند صاحبك وقد كتبت تذكرة بجميع ما يحويه ملكي ظاهراً وباطناً وهي هذه . وسألهما إلى وإذا هي تشتمل على ثلاثة آلاف ألف درهم وعلى وعلى . خلف بالطلاق والعقاقير والإيمان المغلظة ما تركت لنفسى بعد ذلك إلا ما على من كسوة تستر عورتى وهذا عفوى وجهدى فإن رأيت أن تأخذه وتسأل الخليفة الرضا منى به فإن فعل فقد خلصنى الله بك ونجاني من القتل

ثلثمائة وخمسون درهماً قيمتها خمسة وعشرون ديناراً يكون لألفي جريب خمسون ألف دينار وكل ذلك يוכל ببغداد فما ظنك ببلد يؤكل فيه في فصل من فصول السنة صنف واحد من صنوف البقل بخمسين ألف دينار . ثم قال لي القاضي : أخبرني رجل يبيع سويق الحمص دون غيره من الاسوقة اسماء وأنسيته انه أحصى ما يتخذ في سوقه من سويق الحمص في كل سنة وكان مبلغه مائة وأربعون كرا وأنه يخرج في كل سنة منهم حتى لا يبقى منه شيء فإذا حال الحول طحنوا مثل ذلك هذا وسويق الحمص غير طيب وإنما تأكله الضعفاء والمتجملون شهرين أو ثلاثة من السنة عند عدم الفواكه وأضعافهم مراراً من الناس من لا يأكل ذلك أصلاً . ثم قال : قال لي بعض مشايخ الحضرة : عمارة بغداد في سنة خمس وأربعين عشر ما كانت عليه في أيام المقتدر على تحصيل وضبط يعني في الابنية والناس .

جرى بحضرة القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي اسنان الحمل وقول الشافعي ومالك فيها ما قالاه فحكيت أنا ما روى من أن محمد بن عجلان ولد لأربع سنين وأن أسنانه كانت قطعتين فقال لي القاضي أبو الحسن : كان لأبي زوجة من ولد الاشعث بن قيس كوفية فحملت منه احد عشر شهراً بحساب صحيح ضبطاً وأعلنائه بعد شدة الاستظهار والتحصيل فيما يجب تحصيله والاستظهار في مثل ذلك فولدت بعد أحد عشر شهراً ابنة فعاشت البنت سنين ولها أولاد . قال : وحدثني أبي عن جدي أنه شاهد بالكوفة أربعة اخوة ولدوا في بطن واحد

أم شيبان في سنة ستين وثلثمائة عظم بغداد وكثرة أهلها في أيام المقتدر وما كان فيها من الأبنية والشوارع والدروب وكبر البلد وكثرة أهله في سائر أنواع الناس وذكرت أنا كتاباً رأيته لرجل يعرف بيزدجرد بن مهيندان الكسروي كان على عهد المقتدر بحضرة أبي محمد المهلبى كان سلم إلى وإلى جماعة ممن حضر كرايس منه لنسخه ونفذه إلى الأمير ركن الدولة لأنه التمس في وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات وأنها كانت عشرة آلاف وكثير من السكتاب يبلغها وعدد من يحتوى عليه البلد من الناس والسفن والملاحين وما يحتاج إليه في كل يوم من الخنطة والشعير والأقوات وأنه حصل ما يصل إلى أصحاب المعابر فيه من الثلاثين في كل يوم أربعون ألفاً أو ثلاثون ألفاً وذكر غيرى كتاباً ألفه أحمد بن الطيب في مثل هذا فقال لى القاضى أبو الحسن : أما ذاك فعظيم لا نعلمه وقد شاهدنا منه ما لا يستبعد معه أن يكون كما أخبر بيزدجرد وأحمد بن الطيب إلا إننا لم نحصه فنقطع العلم به ولكن بالامس في سنة خمس وأربعين وثلثمائة لما ضمن محمد بن أحمد المعروف بتره بادوريا عمرها وتناهى في ذلك فأحصينا وحصلنا ما زرع فيها من جربان الخس في هذه السنة وقدرنا بكلواذا وقطر بل وقرب بغداد مما يحمل إليها من الخس على تقريب فكان الجميع ألفى جريب وجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة أبواب يقلع من كل باب من الاصول كذا وكذا ولم أحفظه يكون بجريب كذا وكذا أصلاً وسعر الخس إذ ذاك على أوسط الاسعار كل عشرين خسة بدرهم واحد فحصل لنا ان ارتفاع الجريب على أوسط الريع والسعر

إلا بعشرة آلاف درهم . فلم يجسر على الرجوع للاستئذان فأعطاني عشرة آلاف درهم وأخذ الرطل فشفيت العليلة منه فقويت نفسها وقالت : أريد رطلا آخر . فجاءني الوكيل بعشرة آلاف درهم وقال : هات رطلا آخر إن كان عندك . فبعت ذلك عليه فلما شربته العليلة تماثلت وجلست وطلبت زيادة فجاءوني يلتمسوني ذلك فقلت : ما بقي عندي إلا رطل واحد ولا أبيعُه إلا بزيادة فداراني وأعطاني عشرة آلاف درهم وأخذ رطلا وتدخلتني رغبة في أن أشرب أنا شيئاً من الثلج لاقول إني شربت ثلجاً سعر الرطل منه عشرة آلاف درهم . قال : فشربت منه رطلا وجاءني الوكيل قرب السحر وقال : الله الله قد والله صلحت العليلة وإن شربت شربة أخرى برأت فإن كان عندك منه شيء فاحتكم في سعره . فقلت له : والله ما عندي إلا رطل واحد ولا أبيعُه إلا بثلاثين ألفاً . فقال : خذ . فاستجيت من الله أن أبيع رطل ثلج بثلاثين ألفاً فقلت : هات عشرين ألفاً واعلم أنك إن جئتني بعدها بملء الأرض ذهباً لم تجد عندي شيئاً فقد فني . فأعطاني العشرين ألفاً وأخذ الرطل فلما شربته شاحى أفاق واستدعت الطعام فأكلت وتصدق عبيد الله بمال ودعاني من غد فقال : أنت بعد الله رددت حياتي بحياة جاريتي فاحتكم . فقلت : أنا خادم الأمير وعبد . قال : فاستخدمني في ثلجه وشرابه وكثير من أمر داره وكانت تلك الدراهم التي جاءتني جملة أصل نعمتي وقويت بما انضاف إليها من الكسب مع عبيد الله طول أيامي معه .

تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد بن صالح بن علي الهاشمي بن

فما شبع منه أبو عصمة حتى أمر به أبو القاسم فرفع إلى والدته وقُدِّمَتْ
مضيرة بفرأخ مسمنة ودجاج هندية ودهن الجوز والخردل فما أكلوا منها
حسبا حتى أمر ابن الحواري برفعها إلى والدته فأخذ أبو عصمة رغيفا وقام
يمشي مع الغضارة فقال له ابن الحواري : إلى أين يا ابن عصمة ؟ قال : إلى
الوالدة ياسيدي أكل معها هذه المضيرة فان هذه المائدة خراب والخصب
عندها . فضحك ابن الحواري ورد اللون إليه . قال : وكان أبو عصمة
هذا لي صديقا وبي أنسا فقال لي يوما : إن أهل عذراء سفلى وأنا مبتلى بهم
بالخطبة فإذا أنا صعدت المنبر أو مات إليهم يدي إيماء السلام فيؤذن
المؤذن ويحسبون أنني قد سلمت عليهم وإنما أقول : لحاكم كلكم في استي .
حدثنا أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب
قال : حدثني ابن سليمان الثلاج قال : قال لي أبي : كان أصل نعمتي من
ثمن خمسة أرطال ثلجا وذلك أنه عز الثلج في بعض السنين ببغداد وقل
وكان عندي منه شيء بعته وبقي منه خمسة أرطال فاعتلت شاحي جارية
عبيد الله بن طاهر وهو إذ ذاك أمير بغداد فطلبت منه ثلجا فلم يوجد إلا
عندي جأؤوني فقلت : ما عندي إلا رطل واحد ولا أبيعته إلا بخمسة
آلاف درهم . وكنت قد عرفت الصورة فلم يحسر الوكيل على شري ذلك
ورجع يستأذن عبيد الله بمن له زوجه ^(١) وهي تتصور على الثلج وتلح في
طلبه فشتمه عبيد الله وقال : امض واشتره بأي ثمن كان ولا تراجعني .
جأؤني فقال : خذ خمسة آلاف درهم وهات الرطل . فقلت : لا أبيعك

ادفعوه إلى السَّوَال . فقبض الهاشمي على الجام وقال : يا هذا احسب أننا نحن السَّوَال ودعنا تهنأ بأكلنا لم تدفع كل ما تشتهي للسَّوَال وما للسَّوَال وهذا ؟ لهم في لحم البقر وعصيدة التمر كفاية والله لا أشلته . فقال : يا سيدي إن عادتي ما تراه . قال : بئست المادة لا نصبر لك عليها تقدم أن يعمل للسَّوَال إذا كان لا بد من ذلك مثل هذا ودعنا نحن نمتنع بأكله وادفع إليهم مثل ثمنه . فقال : أفعل مستأنفا وأتقدم بأن يصنع لهم مثله فأما ثمنه فإن السائل لا تسمو نفسه ولا يتسع صدره لعمل مثل هذا ولو دفع إليه أضعاف ثمنه مراراً لأنه إذا حصلت عنده الدراهم صرفها إلى غير هذا وأمره المختل الذي هو إلى إصلاحه أحوج ولا يحسن أيضاً عمل مثل هذا وأنا أحب أن يشاركوني في الالتذاذ بما آكل يا غلام تقدم الساعة بعمل جامعة مثل هذه وتفرقها على السَّوَال . ففعل ذلك وكان بعد هذا إذا حضر من يحشمه أمر بعمل مثل ما يقدم إليه والصدقة به ولم يأمر برفع ذلك من حضرته إلا إذا بشمه الحاضرون .

حدثني أبو الحسن بن عياش قال : كان يألف أبا القاسم بن الحواري رجلاً من أهل عذراء يخطب بأهلها وكان ماجناً خفيف الروح مليح الحديث والكلام طيب النشوار والأدب يكنى بأبي عصمة وكان يؤاكله دائماً ويختصه وينفق عليه وكان أبو القاسم شديد البر بأمه وكان يتبعض لها بالماء فضلاً عما سواه ولا يتهنأ بأكل شيء إلا ما أكلت منه وكان إذا استطاب لونها أن ينقذ من مائدته إليها فأكل عنده أبو عصمة هذا أول يوم وهو لا يعرف رسمه فقدم غير لون طيب

على كل ما يباع فاذا استقرت العطية وأخذت الدراهم أخذته لك بزيادة وعزلته إلى الصيف أو الشتاء ودفعت مثل ثمنه من مالك إلى هذه الوجوه . فقال لى : ما أحب هذا تلك الآلات قد متعني الله بها طول شتائى او صيفى وبلبنى وقت الغناء عنها وما أنا على ثقة من أنى أعيش إلى وقت الحاجة إليها ثانياً ولعلى قد عصيت الله عليها وفيها فأنا أحب بيع أعيانها وصرف الثمن بعينه فى هذه الوجوه وشكر الله على تبليغى وقت الاستغناء عنها وكفارة لما عصيته فيها ثم^(١) أحيانى الله إلى وقت الحاجة إليها فليس ذلك بغال ولا يتعذر شرى مثله واستجداد خلفه والتمتع بالجديد وفى بيعى إياه رخيصاً وشرائى له غالباً فائدة أخرى وهى أن تلتفع الضعفاء من التجار الذين أبتاع ذلك منهم وأبيعه عليهم بما فيه من الأرباح على ولا يؤثر فى حالى. أخبرنى القاضى قال : أخبرنى هذا الوكيل أن النعمان كان يعجبه إذا قدم إليه لون من طيب أو حلو عجيب أن لا يعمن فى أكله ويأمر بدفعه بعينه إلى السوأل وكان رسمه أن يفرق فى كل يوم جميع ما يشال من مائدته ويفضل فى مطبخه من وظائف غلامانه فكان يجتمع على بابه كل يوم منهم جمع عظيم . قال : فأكل يوماً عنده صديق له هاشمى فقدم إليه لون طيب فما استتموه حتى أمر به للسوأل فشيل وقدم جدى سمين فما تهنؤوا بأكله حتى أمر به فرفع إلى السوأل وقدم جام لوزينج معمول بالفستق وكان يعجب النعمان ويلزمه على الجامة خمسون درهما وخمسة دنانير وأقل وأكثر على قدر كبر الجام فما أكلوا منه إلا يسيراً حتى قال :

ولا تصطف الأخوان قبل اختبارهم فما كل خل تصطفه نجيب
حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن قال : حدثني وكيل كان
لأبي المنذر النعمان بن عبد الله قال : كان من عادة النعمان إذا كان في
انسلاخ كل شتوة أن يعمد إلى جميع ما استعمله من خز وصوف وفرش
وكوانين وآلة الشتاء فيبيعه في النداء ثم ينفذ إلى حبس القاضي فينظر من
حبس بأقراره دون قيام البيئة عليه ولا حال له فيؤدى ما عليه من ثمن
تلك الآلات أو يصالح عنه ويخرجه إن كان المال ثقيلا ثم يعمد إلى من
يبيع بيعا يسيرا مثل نقل ورهدارى ومن رأس ماله دينار وديناران وثلاثة
فيعطيه من عشرة دنانير إلى مائة درهم وأقل وأكثر ليزيد في رأس ماله
ويعمد إلى من يبيع في الأسواق مثل طنجير وقدر وقميص خلق وما يغلب
على الظن أن مثله لا يباع إلا من ضر شديد وإلى امرأة تباع غزلها عجوز
فيعطيهما أضعاف ثمنه ويدعه عليهما ويعمل ألوانا من هذا الجنس كثيرة
يأمرني بفعلها وصرف ثمن تلك الآلات إليها فإذا جاء الصيف ^(١) عمدا إلى
ماعدته من ديبق وقصب وحصير ومزملات وآلة الصيف فيفعل به مثل
ذلك فإذا جاء الشتاء والصيف ثلثة استجد جميع ما يحتاج إليه فلما أكثر
ذلك على من فعله قلت له : يلسيدى إنك هو ذا تعقر نفسك من حيث
لا ينفع عمل لأنك تشتري هذه الثياب والآلات والفرش في وقت
الحاجة إليها بضعف قيمتها وتبيعهما وقت استغناء كافة الناس عنها فيشتري
منك بنصف قيمتها فيخرج منك في ذلك مال عظيم فان أذنت لى ناديت

مصادرتة وأحسن إليه .

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف قال : حدثني قاضي القضاة أبو محمد عبيد الله بن أحمد قال : تجارينا بحضرة أبي محمد المهلبى ذكر الاقبال والادبار فقال : ليس الاقبال أكثر من الحركة والتواضع ولا الادبار أكثر من الكسل والكبر .

أنشدنى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد النصيبى الخزوى الكاتب المعروف بالبيغاء لنفسه قصيدة منها .

جاورت بالحـب قلباً لم تذـر فكـرى للـحـب مستمتعا فيه ولم تدع
يصـبـو ولكن يكفـ الحـلم صـبـوتـه وأشرف الحب أدناه من الورع
وبى أمس غرام لو أنست إلى الشـ كوى ولكن أعد الصبر للجزع
ما بال أهل زمانى من تجاهلهم بموضعى بين مغبون ومختدع
من لم تزد قومه أفعاله شرفاً بالفضل فهو لمعنى غير مخترع
عفت الموارد لما لم أجد ظمأ فى كثرة الماء ما يغنى عن الجرع

وأنشدنى لنفسه قصيدة فى سيف الدولة رحمه الله :

أفادت بك الأيام فرط تجارب كأنك فى فرق الزمان مشيب
فكل بعيد ترق^(١) الحين نحوه بسلاهبك الجرد الجياد قريب
تبشر أقطار البلاد كأنها رياح لها فى الخافقين هبوب
وتملأ ما بين الفضاءين عثرا مثارا بوجه الشمس منه شحوب
وما يدرك العلواء إلا مهذب يصاب على مقداره ويصيب

إن آمنتنا قلناه . قال : أتم آمنون . قالوا : نرى كل شيء لك جديداً
(يعرضون أنه لا عرق له في الملك) . فقال : فما حال ملككم الذي كان
من قبلي ؟ قالوا كان ابن ملك . قال فأبوه . قالوا ابن ملك ، قال فأبوه
إلى أن عدد عشرة أو أكثر وهم يقولون ابن ملك فأنتهى إلى الأخير
فقالوا : كان متغلباً . قال : فأنا ذلك الملك الأخير وإن طالت أيامي مع
إحسانى السيرة بقى هذا الملك بعدى فى ولدى فصار لأولاد أولادهم من
العرق فى الملك مثل ما كان لملككم الذى كان من قبلى . قال : فسجدوا
للملك تواطئاً له . وكذا عادتهم إذا استحسنوا شيئاً أو لزمتهم حجة وانصرفوا
فازداد بذلك الملك توطئاً له . فقلت أنا للقاضى : هذا شيء قد سبقت العرب
إليه فى كلتين استغنى بهما عن هذا المثل الطويل العجوى فقال ما هما ؟
فقلت روت العرب أن رجلين منهما تفاخرا فقال أحدهما لصاحبه : نسبي
منى ابتداء ، ونسبك إليك انتهى .

حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن بكر قال : حدثنى أبو
بكر بن سعيد بن هرون الطيب وكان أبوه سيرا فياً وجيهاً فى بلده فلسفياً
موسراً قال : خاصم أبى رجل من أهل البصرة فقال له الرجل : تكلمنى
وأنت قطعة سيرا فى ؟ فقال له سعيد : أنا نجار فى بلدى وأنت عار فى بلدك .
حدثنى أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الأصفهاني قال :
حضرت الصيمرى فى وزارته لمعز الدولة وقد احضر رجلاً مصادراً وقد
قرر أمره على مال فقال له : اعطنى كفيلاً واخرج فصصح المال فقال :
لا كفيلى أوثق من إحسانك إلى أيها الأستاذ . فرق له وخفف

وقوته كما انحطت هذه على هذه وابن سبعين قد اضطلع كما اضطلع
هذه على هذه وابن ثمانين (وعقدها) قد احتاج إلى ما يتوكل عليه كما
توكلت هذه على هذه وابن تسعين قد ضاق عمره وأمعاؤه كما ضاقت هذه
وابن مائة قد انتقل عن الدنيا إلى الأخرى كما انتقل العقد عن اليمين
إلى الشمال .

وحدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار قال : حدثني شيخ من أهل
التيز ومكران لقيته بعمان ووجدتهم يذكرون ثقته ومعرفته بأمر البحر .
وحدثني القاضي قال : حدثني هذا الشيخ أن رجلاً بالهند من أهلها حدثه
أن خارجياً خرج في بعض السنين على ملك من ملوكهم فأحسن التدبير
وكان الملك معجباً برأيه مستبداً به فأنفذ إليه جيشاً فكسره الخارجى
فرحف إليه بنفسه فقال له وزراؤه : لا تفعل فإن الخوارج تضعف بتكرير
الجوش عليها والملك لا يجب أن يغزو بنفسه بل يطاول الخارجى فإنه
لا مادة له يقاوم جيشاً بعد جيش إذا توالى عليه جيوش الملك . فلم يقبل
وخرج بنفسه فواقعه فقتله الخارجى وملك داره ومملكته فأحسن السيرة
وسلك سبيل الملوك . فلما طال أمره وعز ذكره وقوى سلطانه جمع حكام
الهند من سائر أعماله وأطراف بلدانه وكتب إلى عماله أن يختار أهل كل
بلد مائة منهم من عقلائهم وحكمائهم فينفذونهم إليه ففعلوا فلما حصلوا
بابه أمرهم باختيار عشرة منهم فاختروا فأوصل العشرة وأوصل من أهل
دار المملكة عشرة وقال لهم : يحق على العاقل أن يتطلب عيوب نفسه
فيزيلها فهل ترون في عيباً أو في سلطانى نقصاً ؟ فقالوا : إلا شيئاً واحداً

فأعطته مخدة .

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد الخزومي النصيبيني
الكاتب المعروف بالبيغا قصيدة له إلى سيف الدولة يذكر وقعة كانت
له مع بني كلاب وغفوه عنهم :

إذا استلَّ الجانون أغمذك الحلم وإن كفَّك الإبقاء أنهضك العزم
حقيقة بأن تورد كلها ولكني اخترت من شعره ما يصلح للمكاتبة
في الحوادث أو الأمثال أو معنى لم يسبق إليه فتركت محاسن شعره وحسن
نظمه وبلاغته وعذوبة كلامه وأكثر إحسانه موكولا إلى من ينظر في
ديوانه ومن هذه القصيدة مثل :

ومن لم يؤدبه لفرط عتوه إذا ما جنى الإنصاف أدبه الظلم
إذا العرب لم تجز اصطناع ملوكها بشكر تعاوت في سياستها العجم
أعدها إلى عادات عفوك محسنا كما عودتها قبلُ آباؤك الشم
فإن ضاق عنها العذر عندك في الذي جنته لما ضاق التفضل والحلم

حدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار قال : ضربوا مثالا للإنسان
فقالوا ابن عشر سنين قد دار في أهله كما دارت هذه على هذه وأوماً إلى
إيهامه وسبأته وعقد عشرا وابن عشرين قد انتصب بين أمرى الكسب
والعيال كما انتصبت هذه بين هاتين وعقد بأصابعه عشرين وابن ثلاثين
قد استوى كما استوت هذه على هذه وعقد ثلاثين بأصابعه وابن أربعين
قد قام كما قامت هذه وعقد بأصابعه وابن خمسين قد انحنى كما انحنت هذه
وعقد خمسين بأصابعه وابن ستين (وعقدها بأصابعه) قد انحط في عمره

حدثني الفضل بن أحمد الحياتي قال : قال لي الشافعي صاحب علي
ابن عيسى : علق مرة بلجام مركوبي غلام هراس بيده غضارة هريسة
ينادي عليها وشالها إلى أنفي وقال : جمع اللوز والغنم ثم نادى يمينه . فقلت :
أعزك الله هذا وجهي إلى الوزير أخبره بهذا الخبر فإن رأيت أن تطلقني
فعلت .

حدثني أبو أحمد الحارثي قال كان عندنا بواسط رجل متخلف موسر
يقال له أبو محمد بن أبي أيوب وكان يعاشرنا بمغنية يهواها وكان من غنائها
صوت أوله :

إن الخليط أجَدَّ منتقلُهُ ولو شك بين حُمَلْتِ إِبْلُهُ

وكانت تغني فيه لحناً صعباً حسناً لا يفهمه أبو محمد لتخلفه فاقتصرحه
يوماً عليها فقال : بالله ياستي غني لي « إني خريت جئت أنتقله » فقالت :
ويل لي أني أغني شيئاً من ذا ؟ فقطنت لما يريد فقلت لها : إنه يريد أن
تغني له « إن الخليط أجَدَّ منتقله » فقالت له : قطع ظهرك أين ذا من ذا ؟
وغنت الصوت . قال : ومن غنائها : « خليلي هبا نصطبح بسواد »

فقال لها يوماً بالله ياستي غني : « خليلي هبا نصطبح بسواد »
فقالت له : إذا عزمت على هذا فوحدك . قال : ودخلت إلينا يوماً على
غفلة ونحن نصفعه ويصافعنا بالخذّ فاستحي وسألنا أن ندعه فتركناه
وجلسنا على الشرب فطلب منها صوتاً له عليها ^(١) وهو :

أبني سلاحي لا أبالك إني أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

حدثني أبو حامد القاضي قال : كنت قائماً بين يدي معز الدولة فقال لابي جعفر الصيمري وزيره بالفارسية : يا أبا جعفر أريد الساعة خمسمائة ألف دينار لهم لا يجوز تأخيرهم . فقال له الصيمري : أيها الأمير زد ذلك فأني أيضاً أريد مثله . فقال له : فإذا كنت وزيرى فممن أريد هذا إلا منك ؟ فقال له الصيمري : فإذا لم يكن في الدخل فضل لذلك عن الخرج فمن أين أجيبك به ؟ قال : فخذ عليه معز الدولة وقال : الساعة والله أحبسك في الكنيف حتى تجيء بذلك . فقال إذا حبستني في الكنيف خريت لك نقرة بهذا المال ؟ فضحك منه وأمسك عنه .

حدثني أحمد بن محمد المدائني قال : وقفت في جامع المدينة ببغداد على حلقة صوفية يتحاورون على الخطرات والوساوس ومسائل تشبه الوسواس لم أفهمها وخطر لي أن أجن بهم فقلت له أيها الشيخ المصدر مسألة . فقال : هات . فقلت : أخبرني إذا كنت شيخاً في معنك حلست في ذات نفسك فأصاب يافوخك تقطيع يعرّقب خرزى^(١) على سبيل العلم وكنت تحت الإرادة هل يضر أوصافك شيء مع تعلقك بجبل القدرة يابطال ؟ قال : فوقع لمن حوله أنها مسألة وأخذوا يتعاطون الجواب وفتن الشيخ نفخت أن يأمرهم بي فانسلت .

حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي وعندي صوفي يترنم بشيء من الرباعيات فلم يستطع أبو أحمد فقال له على البديهة : يا أخي لا أقطع حديثك إلا بخير .

هذا رجلا من أهل نيسابور أقام ببغداد قطعة من أيام المقتدر وبعدها إلى أيام الرازي وكان من أصحابنا في المذهبين يعني في الفقه مذهب أبي حنيفة وفي الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد^(١) وكان مشهوراً بالطيب والخلاعة وخفة الروح وحسن المحاضرة مع عفة وستر وتقلد الحكم في عدة نواح بالشام فقبل له يوماً بحضرة سيف الدولة : لم اقبلت بالنص ؟ قال ما هذا لقب إنما هو اشتقاق من كنييتي كما أننا لو أردنا أن نشق من أبي على مثل هذا (وأوماً إلى ابن الباربار) لقلنا البعل ولو اشتققنا من أبي الحسن مثل هذا (وأوماً إلى سيف الدولة) لقلنا البحسن فضحك منه ولم ينكر عليه . وخبرني أبو جعفر قال : حضرت ببغداد مجلس أبي بكر بن دريد وأبو نصر هذا يقرأ عليه قصيدته التي أولها^(٢)

إلى أن بلغ إلى قوله :

أماطت لثاماً عن أقاصي الدمائث بمثل أساريع الحقوف العثااث
إذا أنسوا ضباً بجانب كدية أحاطوا على حافاتها بالربااث
فقطع القراءة وقال يا أبا بكر أعزك الله ما الربااث ؟ قال ابن دريد
العرب تسمى الحراب العراض الحداث ربااث . فقال له البنص أخطأت
يا أبا بكر أعزك الله فمعجبتنا من جرأته على تخضة أبي بكر في العلم وتشوفنا
إلى ما يجري فقال له أبو بكر (وكان وطىء الخلق) فما هي يا أبا نصر
أعزك الله ؟ قال جمع ريشا هذه في السكرجات وعاد يقرانا في القصيد
محتداً فضحكنا منه .

(١) هم المعتزلة في رأيهم (٢) بياض في الاصل

قلت لابن فعال^(١) أما تستحي
يا أخرج الناس من إيقاعه
تقرن تظفيلك بالياس
وأدخل الناس إلى الناس



يا من يصيح بخلق ما له طبقه
قارنت^(٢) بينك والإيقاع في قرن
ولا يوافق زيراً لأن أو خرقة
فأنت أظفل من كلب على رقه
فان دعيت ففي الأحيان عن غلط
أنشدني أبو نصر بشر بن هرون الكاتب النصراني البغدادي لنفسه

في أبي رفاعه بن كامل أحد خلفاء القضاة ببغداد على بعض سوادها :
قضى شعري على القاضي بحكم
ولو لم يستجب لتفت منه
وتف سباله شيء محال
لأن الخلق صيره محالا
وأنشدني لنفسه في شعبان سنة تسع وخمسين وثلثمائة في رئيسين
صرف أحدهما بالآخر :

مضى من كان يعطينا قليلا
وأحسب أن سيملكنا مكدا
ووافي من يشح على القليل
متى اطرد القياس على الدليل
فقل للفاطمي لقد تبادت
خفت السير على الله يهدي
أخبرني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش أنه كان بحضرة سيف
الدولة وقد كان من ندمائه قال : كان يحضر معنا أبو نصر البنص وكان

(١) له لطرفان (٢) في الاصل : فارقت

فاذا هو أبنه) وكنت إليها مائلاً وكانت لي مملوكة ولقبي مالكة فأما الآن فلا عهد لي بمثله منذ سنين ولا عملت شعراً منذ دهس طويل وأنا أستغفر الله مما مضى . قال فوجم الفتى وخجل حتى ارفض عرقا . وعدت إلى القاسم فأخبرته فضحك من خجل الابن وقال : لو سلم من العشق أحد لكان أبو حازم مع بغضه وكنائنا تعاود ذلك زماناً .

أنشدني أبو إسحق إبراهيم بن علي النصيبيني المتكلم وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر ببغا وغيرهما قالوا : أنشدنا أبو عبد الله بن الأبيض العالوي بالشام لنفسه :

وأنا ابن معتلج البطاح يضمني كالدر في أصداف بحر زاخر
ينشق عني ركنها وحطيمها كالجنس يفتح عن سواد الناظر
كجبالها شرفي ومثل سهولها خلقي ومثل طبائهن مجاوري
أنشدني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله الطائي البغدادي المعروف بابن قناش الجوهري لنفسه :

أنا ظام فاسقنيها إنني حلف اختيال
ماترى دجلة كالسا حب أذيال الدلال
وهي تزهي بقصور عن يمين وشمال
وبماء قد حكى المـ د به ظهر غزال

أنشدني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد في طرفان المعنى الطنبوري لنفسه وله اتساع في الادب تام :

بِصْنَى وَيُرَوِّدُ خُدْسَهُمْ فِي حَبُوسٍ ضَيِّقَةٍ هُنَاكَ وَدَوَّرَ تَجْرِي مَجْرَى الْقَلَاعِ .
فَكَانُوا فِيهَا إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُو مُحَمَّدٍ وَمَاتَ مِنْهُمْ خَلْقٌ فِي الْحَبْسِ ثُمَّ أُطْلِقَ
بَقِيَّتُهُمْ عَلَى قَلْبِهَا بَعْدَ مَوْتِهِ بِسَنِينَ وَزَالَتْ الْفِتْنَةُ إِلَى الْآنَ .

حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بَشْرِ الْأَمْدِيِّ كَاتِبُ الْقَضَاةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ
الْوَاحِدِ بِالْبَصْرَةِ وَلَهُ شَعْرٌ جَيِّدٌ حَسَنٌ وَاتِّسَاعٌ تَامٌ بِالْأَدَبِ وَرَوَايَةٌ لَهُ وَحِفْظٌ
وَكُتِبَ مُصَنَّفَةٌ فِيهِ قَالَ : ^(١) حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَقَ الزَّجَّاجُ قَالَ : كُنَّا لَيْلَةً
بِحَضْرَةِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ وَزِيرٌ فَقُنْتُ جَارِيَتَهُ بَدْعَةً :

أَدْلُ فَأَكْرَمَ بِهِ مَنْ مَدَلَ وَمَنْ ظَالِمٌ لَدُمِّي مُسْتَحَلٌّ
إِذَا مَا تَعَزَّزَ قَابِلَتَهُ بِذَلِكَ جَهْدَ الْمَقْلِ
فَأَدَّتْ فِيهِ صِنْعَةً حَسَنَةً فَطَرِبَ الْقَاسِمُ عَلَيْهِ طَرَبًا شَدِيدًا وَاسْتَحْسَنَ
الصَّنْعَةَ وَالشَّعْرَ وَأَفْرَطَ فِي وَصْفِ الشَّعْرِ فَقَالَتْ بَدْعَةً : يَا مَوْلَايَ إِنْ لِهَذَا
الشَّعْرِ خَبْرًا أَحْسَنَ مِنْهُ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَتْ : هُوَ لِأَبِي حَازِمٍ الْقَاضِي .
قَالَ فَعَجِبْنَا مِنْ ذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ تَقَشُّفِ أَبِي حَازِمٍ وَبَغْضِهِ ^(٢) وَوَرَعِهِ وَتَقْبُضِهِ فَقَالَ
لِيَ الْوَزِيرِ : بِاللَّهِ يَا أَبَا إِسْحَقَ بَكَرَ إِلَى أَبِي حَازِمٍ وَاسْأَلْهُ عَنْ هَذَا الشَّعْرِ
وَسَبَبِهِ . فَبَاكَرْتَهُ وَجَلَسْتُ حَتَّى خَلَا وَجْهَهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَجُلٌ بَرَزَى الْقَضَاةَ
عَلَيْهِ قَلَنْسُوءَةٌ فَقُلْتُ لَهُ : شَيْئًا ^(٣) أَقُولُهُ عَلَى خُلُوءٍ . فَقَالَ : قُلْ فَلَيْسَ هَذَا ^(٤)
مِمَّنْ أَكْتُمُ . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ وَسَأَلْتُهُ عَنِ الشَّعْرِ وَالسَّبَبِ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
هَذَا شَيْءٌ كَانَ فِي الْحَدَاثَةِ قُلْتُهُ فِي وَالِدَةِ هَذَا (وَأَوْمَأَ إِلَى الْقَاضِي الْجَالِسِ

(١) نَقَلَ يَاقُوتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ٣ : ٥٤ (٢) كَذًا فِي الْأَصْلِ

(٣) عِنْدَ يَاقُوتٍ يَتَنَبَّأُ شَيْءٌ (٤) لَعَلَّ الْأَصُوبَ : هُنَا

قبض في جملتهم على عدة قضاة وشهود هاشميين وصلحاء وكان ممن قبض عليه محمد بن الحسن بن عبد العزيز وجلس لهم الوزير أبو محمد يوماً لينظرهم وسألهم أن يسموا له العيارين منهم والأحداث وحمة السكاكين ليقبض عليهم ويفرج عن الناس وأن يكفل منهم أهلُ الصلاح أهلَ الطلاح ويأخذون على أيديهم لتطفأ نار الفتنة. وكان القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي حاضراً فأخذ يتكلم بكلام سديد في دفع هذا وترقيق المهلبى ويرفق به فاعترض ابن عبد العزيز الخطاب وتكلم بكلام فيه جراشة وجفاء وخشونة فسمعت أبا محمد يقول له : يا ماصّ كذا وكذا ما تدع جهلك والخيوط التي في رأسك كأني لا أعرفك قديماً وحديثاً وأعرف حمقك وحمق أبيك وتشنيعك^(١) بمجالس الوزراء وشهوتك أن تقول « قال الوزير . فقلت له » وما تظن أن المقتدر على السرير وأنا أحد وزرائه ولا تعلم أن صاحب السرير اليوم هو الامير معز الدولة الديلمي يرى أن سفك دمك قرابة إلى الله تعالى وأن وزنك عنده كوزن الكلب . يا غلمان برجله . جفرت رجله ونحن حاضرون . فرأيت قلنسوة كانت على رأسه وقد سقطت ثم قال : طبقوا عليه زورقا وانفوه إلى عمان . فأجلس في الزورق وحدر فقبلت الجماعة يده وراسله الخليفة المطيع لله في أمره ولم تزل المراسلات إلى أن عفا عنه وألزمه بيته وأخذ خط أهله بجميع ما كانوا امتنعوا منه مما سامهم إياه وتلقط خلقاً من أحداث الهاشميين وغيرهم من العامة وأهل الدعارة والعصبية . فجعلهم في زواريق وطبقها عليهم وسمرها وانفذها إلى

(١) في الاصل : تشنك

للناس وكنت أعرضها على أبي الحسن فيوقع فيها فعرضت عليه. يوماً شيئاً كثيراً فضجر عليّ فقلت : أيها الوزير إذا كان حظنا من أعدائك في أيام نكبتك الصنع ومنك في أيام ولايتك المنع فتليت شعري وقت النفع ؟ قال : فضحك ووقع لي في جميعها وما (كان) يضجر بشيء أعرضه عليه بعد ذلك. حدثني ^(١) أبو السري عمر بن محمد القارئ قال : حدثني أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى قال : قال لي أبي : عرض عليّ أبو بكر محمد بن الحسن ابن عبد العزيز الهاشمي في بعض وزاراتي رقعة التمس فيها محالاً وقبل يدي فعملت على إجابته إليه وتركت الرقعة بحضرتي أنفكر كيف أعمل ذلك من غير عتب . وعرض لي رأي في الركوب فهضت فقبض محمد بن الحسن ابن علي يدي وقال : أنا نفى من العباس إن تركت الوزير ^(٢) أو يوقع لي في رقعتي أو يقبل يدي كما قبلت يده . قال : فوقع له قائماً وعجبت من سوء أدبه وعظم وقاحته . ولقد شاهدت أبا بكر محمد بن الحسن هذا في سنة خمسين وثلثمائة (وقد تقلبت الأيام به وبأهل بيته) بحضرة أبي محمد ^(٣) المهلبى وقد كان العيارون ثاروا ببغداد وأوقعوا فتناً عظيمةً كان أصلها بنو هاشم وغلقوا الجامع بالمدينة فلم يصل تلك الجمعة . وكان سبب ذلك عريضة وقعت بين رجل عباسي وبين رجل علوي على نبذ في خندق طاهر فقتل العلوي وثار أهله به وثار الفتنة ودخلت العامة فيها وعظم الأمر حتى أجلس الديلم في الأرباع وكان شيئاً هائلاً ولم تسكن الفتنة. فقبض أبو محمد على أكثر بني العباس الوجوه والمستورين والعيارين منهم والدعار حتى

(١) وزراء ص ٣٣١ (٢) عند هلال يركب الا بعد ان يوقع (٣) في الاصل: على

ما وقع فيه قبل الكلام نحو ثمانين رقعة .

حدثني الحسين بن الحسن الوائلي قال . كنت أرى دائماً أبا محمد جعفر بن ورقاء يعرض على أبي علي بن مقلة في وزارته الرقاع الكثيرة في حوائج الناس في مجالس حفلاته وخلوته فربما تجاوز ما يعرضه في يوم مائة رقعة . فعرض عليه يوماً في مجلس خال شيئاً كثيراً فضجر أبو علي فقال له : إلى كم يا أبا محمد ؟ فغضب جعفر وقال : أيد الله الوزير إن كان لي فيها شيء نخرقه إنما أنت الدنيا ونحن طرق إليك وعلى بابك الارملة والضعيف وابن السبيل والفقير ومن لا يصل إليك فاذا سألوها سألتك فان صعب هذا عليك أمرنا الوزير أيد الله أن لا نعرض شيئاً عليه ونعرف الناس ثقل حوائجهم عليه وضعف جاهنا عنده ليعذرونا . فقال له أبو علي . لم أذهب حيث ذهبت يا أبا محمد وإنما أردت أن تكون هذه الرقاع الكثيرة في مجلسين أو مجلس حفل فيه الكتاب يوقعون عني بالتوقيعات فيها ولو كانت حوائج تخصك لتضيئها وكان سروري بذلك أعظم هاتها . قال فأخذ جميعها ووقع له فيها بما التمس أرباب الرقاع فشكره جعفر وقبل يده وانصرف .

حدثني الفضل بن أحمد الحيايني قال . قال لي أبو بكر الشافعي صاحب علي بن عيسى . لما أفتنا من مصادرة المحسن بن الفرات بعد ما جرى علي من مكروهه ومصادرته وإيقاعه بي بسبب صحبتي لعلي بن عيسى وأفضى الامر إلى أبي الحسن علي بن عيسى أردت الانتفاع بأموراً أتكلم فيها وأخلف بما أخذه منها بعض ما صودرت عليه . فأخذت رقاعاً كثيرة

واكتب إلى النواحي بتقييضهم إياها . قال : ففعل ذلك فقامت عن المجلس وقد وصل إليّ مائة ألف دينار في بعض يوم وما عملت شيئاً . ثم قال : اجعل هذه أصلاً لنعمتك ومعدة للنكبة ولا يسألك أحد من الخلق إلا أخذت رقعة ووافقته على أجره لك عليها وخاطبني . قال فكنت أعرض عليه في كل يوم ما يصل إليّ فيه ألف دينار وأتوسط الأمور الكبار وأدخل في المكاسب الجليّة حتى بلغت النعمة إلى هذا الحد وكنت ربما عرضت عليه رقعة فيقول لي : كم ضمن لك على هذه ؟ فأقول كذا وكذا . فيقول : هذا غلط هذا يساوي كذا وكذا . ارجع فاستزد . فأقول له : إني أستحي . فيقول : عرفهم أنّي لا اقضى لك ذلك إلا بهذا القدر وأنّي رسمت لك هذا . قال : فأرجع فاستزيد ما يقوله فأزاد .

حدثني أبي رضي الله عنه قال : سمعت القاضي أبا عمر يقول : عرض اسمعيل القاضي وأنا معه على عبيد الله بن سليمان رقاعاً في حوائج الناس فوقع فيها فعرض أخرى وخشى أن يكون قد ثقل عليه فقال له : إن جاز أن يتطول الوزير أعزّه الله بهذا . فوقع له . فعرض أخرى وقال : إن أمكن الوزير أن يجيب إلى هذا . فوقع له . فعرض أخرى وقال : إن سهل على الوزير أن يفعل ذلك . فوقع له . فعرض أخرى وقال شيئاً من هذا الجنس فقال له عبيد الله : يا أبا إسحق كم تقول إن أمكن وإن جاز وإن سهل ؟ من قال لك إنه يجلس هذا المجلس ثم يتعذر عليه فعل شيء على وجه الأرض من الأمور فقد كذبك هات رقاعك كلها في موضع واحد . قال : فأخرجها اسمعيل من كمه وطرحها بمحضرة فوقع فيها وكانت مع

قياماً تاماً وعانقني وقال لي في أذني : هذا وقت تنتفع فيه بقيامى لك . وجلس وأجلسني معه على طرف الدست فقبلت يده وهنأته ودعوت له ومضت ساعة فإذا قد استدعاه المعتضد فقام وأمرني ألا أبرح جلست وامتدت العيون إليّ وخوطبت في الوقت بأجل خطاب وعُظِّمت . ثم عاد عبيد الله ضاحكاً وأخذ بيدي إلى دار الخلوة فقال : ويحك إن الخليفة استدعاني بسببك وذلك أنه كوتب بخبر قيامى لك في مجلس الوزارة فأنا استدعاني الآن بذالينكر عليّ وقال : تبذل مجلس الوزارة بالقيام لتاجر ولو كان هذا لصاحب طرف كان محظوراً أو ولى عهد كان كثيراً وأخذ يتجاوز ذلك فقلت : يا أمير المؤمنين لم يذهب عني حق المجلس وتوفية الرتبة حقها ولكن لي عذراً فإن رأى أمير المؤمنين أن يسمعه ثم ينفذ حكمه في . وأخبرته بخبري معك وقت استتارى عندك فقال : أما الآن فقد عذرتك ولا تعاود فأنصرفت . ثم قال لي عبيد الله : يا أبا عبد الله إني قد شهرتك شهرة إن لم تكن معك مائة ألف دينار معدة للنكبة هلكتك . فيجب أن نحصلها لك لهذا الحال فقط ثم نحصل لك نعمة بعدها تسعك وعقبك . فقلت : أنا عبد الوزير وخادمه ومؤمله . فقال : هاتم فلاناً الكاتب . جاء فقال : احضر التجار الساعة ونقص عليهم في تسعير مائة ألف كرو من غلات السلطان بالسواد بما يساوى وعرفني . فخرج وعاد بعد ساعة وقال : قد قررت ذلك معهم . فقال له : بع على أبي عبد الله هذه المائة ألف كرو بنقصان دينار واحد مما قررت به السعر مع التجار وبعه له عليهم بالسعر المقرر عليه وطالبهم أن يجعلوا له فضل ما بين السعيرين اليوم وآخرهم بالثمن إلى أن يتساوا الغلات

يستدعى منى الرقاع على الرسم . فقلت : ما أخذت رقعة من أحد لان النذر قد وقع الوفاء به ولم أركيف أقع من الوزير . فقال : سبحان الله أترانى كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادةً وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاء وغدوّ ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندي أو تغير رتبك ؛ اعرض علىّ على رسمك وخذ بلا حساب . فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات .

حدثني أبو الحسن بن عياش قال . حدثني شيخ من شيوخنا ذكره هو وقد ذهب^(١) عنى اسم القاص^(٢) قال : حدثني أبو عبد الله بن أبي عوف قال : استتر عندي عبيد الله بن سليمان فدخلت إليه يوماً إلى حجرة كنت افردتها له من دارى فقام إلىّ فقلت له مازحاً كما جرى على لسانى ياسيدى اخبأ لى هذا إلى وقت أنتفع به فيه . قال : فإما كان بعد مدة انتقل من عندي فما مضت الا أيام^(٣) حتى ولى الوزارة فقال لى أهلى : لو قصدته . وكانت حالى إذ ذاك صغيرة فقلت لهم : لا أفعل أنا فى ستر وقصدى له الآن كأنه اقتضاء لثمن معروف أسديته إليه وما أَرْضى لنفسى بهذا ولو كان لى عنده خير لا تبدأنى . فبت ليلتى تلك مفكراً وكان هذا يوم اخلع فلما كان فى السحرجاء فى فرائقه برقعة بخطه يعاتبني على تأخرى عنه ويستدعيني فصرت إليه فأذا هو جالس واخلى عنده فلما صرت مع دسته قام إليّ

(١) فى الاصل : ذهل (وهو تحريف من الناسخ) (٢) فى الاصل : القاضى

(وهو تحريف من الناسخ) (٣) فى الاصل : مضت الايام

وزارته قال لى : يا أبا إسحق لم أرك أذكرتنى بالنذر . فقلت : عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق . فقال لى : إنه المعتضد ولولاه ما تعاظمنى دفع ذلك إليك فى مكان واحد ولكنى أخاف أن يصير لى معه حديثاً فسمح لى بأخذه متفرقاً . فقلت : ياسيدى افعل . فقال اجلس للناس وخذ رقاعهم للحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمنع^(١) من مسألتى شيئاً تخاطب فيه صحيجا كان أو محالا إلى أن يحصل لك مال النذر . قال : ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها لى وربما قال : كم ضمن لك على هذا ؟ فأقول كذا وكذا . فيقول : غبت هذا يساوى كذا وكذا ارجع فليستزد . فأراجع القوم ولا أزال أما كسبهم ويزيدونى حتى أبلغ الحد الذى رسمه . قال : وعرضت عليه شيئاً عظيماً فحصلت عندى عشرون ألف دينار فى مديدة فقال لى بعد شهر : يا أبا إسحق حصل مال النذر ؟ فقلت لا . فسئلت وكنت أعرض فيسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال ؟ فأقول لا خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف ذلك المال وسألنى يوماً فاستحييت من الكذب المتصل فقلت : قد حصل ذلك ببركة الوزير . فقال فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك . قال : ثم أخذ الدواة فوقع لى إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من غد جئته وجلست على رسمى فأومأ إلى أن : هات ما معك .

عليك لغريبٍ أو حق^(١) واجب . وأنكر ذلك وأخذ أبو عبد الله محمد ويقلب في وجه أبي على ثم أخرج سره فقال المهلبى لأبي على يجب الساعة أن تقدم إلى الجهمذ أن يكتب له أيده الله روزاً بها وأن تجعل أنت لها وجوهاً في الخرج وتولد بها نفقات واجبات (كما تعلم) على الأمير معز الدولة يسقط عن أبي عبد الله أيده الله ولا نغرمها نحن . قال فاستدعى الجهمذ وأخذ روزه وسلمه إليه ثم قال له المهلبى : أى شئ ضرك أو ضرني من هذا ؟ سقط عنك هم وثقل ، وعنى بقضائى بعض الحق وخرج المال من مال الأمير عد الآن إلى شربنا . فما برح ليلته تلك من عنده وسقط المال عنه . وقد أخبرني جماعة من ندماء أبي محمد أنه فرق في ليلة من الليالي عليهم وعلى جماعة كانوا حضوراً معهم من مغنيين وملهيين وغير ذلك من الدراهم والثياب ما يبلغ قيمة الجميع خمسة آلاف دينار . ورأيت أنه غير مرة قد وهب للجهمي وأبي الفرج الأصفهاني خمسة آلاف دينار^(٢) ولغيرهما دائماً^(٣) .

حدثني أبو الحسن بن عياش قال^(٤) : حدثني أبو إسحق إبراهيم بن السرى الزجاج قال : كنت أؤدب القاسم بن عبيد الله فأقول له إن بلغك الله مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي ؟ فيقول ما أحببت ؟ فأقول له تعطيني عشرين ألف دينار (وكانت غاية أمنيته) . فيقول نعم . فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له وقد صرت نديمه فدعنتى نفسى إلى إذكراره بالوعد ثم هبته فلما كان في اليوم الثالث من

(١) فى الاصل : بحق (٢) فى الحاشية « درهم » (٣) كذا بالاصل

(٤) نقل ياقوت هذه الحكاية فى معجم الادباء ١ : ٤٨

الكرم وبه يتحقق ما يروى عن الاسلاف من الاجواد والماضين من
الكرماء الأفراد وغير ذلك مما حضر في الحال . ثم نهض أبو محمد رحمه
الله فارتفعت الضجة من النساء والرجال وأهل الدار والشارع بالدعاء له
والشكر .

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلي أن
أبا عبد الله والده رحمه الله توسط بين أبي محمد المهلبى وناصر الدولة فى مال
يحملة إلى معز الدولة من صالح الموصل . فأنفق من المال أربعين ألف درهم
لأضاقه لحقته وسبب عليه المهلبى بالمال كاملاً وهو لا يعرف الخبر وكانت
بينهما مودة وأنس . فصحح أبو عبد الله الموجود ودافع بما أنفقته وجلس
يوماً فى داره ليحتال العوض ويرده . فجاءته رقعة أبى محمد يدعوهُ للشرب
فدافع فعاوده فركب فأكلا وجلسا للشراب فقال له أبو على الأنبارى :
أرى فيك يا سيدى أبا عبد الله فتورا . وكانت بينهما مودة وعنده ابنته
خدته أبو عبد الله بالحديث وأن قلبه مشغول إلى أن يتم له العوض ويرده
ويسأله كتمان ذلك . وتبين المهلبى فى أبى عبد الله ذلك الفتور فسأله عنه
فورى عن الصدق وكبرت نفسه عن إخباره بذلك . فأمسك عنه وقام
أبو عبد الله إلى البول فقال أبو محمد لأبى على الأنبارى : ما ترى فتور
أبى عبد الله وهو صديقك وقد رأيته يسارك وأظنه قد خرج إليك بسبب
كسله فما هو ؟ خدته أبو على بالحديث فلما عاد قال له أبو محمد : يا أبا عبد
الله أيدك الله ما أنصفتنى فى المودة ولا أنصفت نفسك فى السياسة تهتم
بسبب أربعين ألف درهم أم لك إسقاطها عنك فتكأتنى بذلك حتى كأنها

تأبت خليفته على الوزارة : اكتب عهداً لأبي عبد الله واستدع كل من كان ابو الحسن رحمه الله مستأجراً منه شيئاً نخاطبه في تجديد الاجارة للمورثة فان اكثر نعمه إماماً^(١) كانت دخالات واجارات ومزارعات قد انحلت الآن بموته ومن امتنع فزده من مالى واسأله ولا تقنع إلا بتجديد العقد كيف جرت الحال . ثم قال لأبي المكارم بن ورقاء وكان سلف الميت : إن ذيل ابى الحسن طويل وقد كنت اعلم انه يجرى على اخواته واولادهن واقاربه شيئاً كثيراً في كل شهر وهؤلاء الآن يهلكون بموته ولا حصة لهم في ارثه فقم الى ابنة ابى محمد المادرائى يعنى زوجة المتوفى فعزها عنى واكتب منها بجريدة بأسماء جميع النساء اللواتى كان ابو الحسن يجرى عليهن وغيرهن من الرجال وضعفاء حاشيته . وقال لأبي العلاء : اذا جاءك بالجريدة فأطلقها عاجلاً اشهر وتقدم باطلاقها على الادرار . فبلغت الجريدة ثلاثة آلاف وكسراً في الشهر وعملت في المجلس وأطلق مثلها وامثل جميع مارسم به ابو محمد فلم يبق احد إلا بكى رقة واستحساناً لذلك . ولقد رايت ابا عبد الله محمد بن الحسن الداعى العلوى رحمه الله ذلك اليوم وكان حاضراً المجلس وقد اجش بالبكاء واسرف في شكر ابى محمد وتقريظه على قلة كلامه إلا فيما يعنيه وعلى سوء رايه كان في ابى محمد ولكن الفضل الحسن بهره فلم يمنعه ما بينهما ان نذاق بالحق . وقلت انا لأبى محمد ذلك اليوم : لو كان الموت يستطاب في وقت من الأوقات لطاب لكل ذى ذيل طويل في ايام سيدنا الوزير فان هذا الفعل تاريخ

فلما اراد الرجوع من داره الى مسماران وكان ابو محمد المهلبى رحمه الله قد نزلها استقبح الاجتياز بالجامع مع انه شارب فعدل فى الازقة الى سيحان^(١) ليركب منها طياره فلما بلغ حيث تعمل الكيزان تحقنه بوله فدخل دار قوم ضعفاء فبال فدعا له صاحب الدار فقال له: هذه الدار لك؟ قال: لا هى باجرة معى. قال كم اجرتها؟ قال: خمسة فى الشهر. قال: وكم تساوى؟ قال: خمسمائة درهم. قال: وكم راس مالك فى عمل الكيزان؟ قال مائة درهم. فدفع اليه فى الحال الف درهم وقال: اشتر منها الدار وزد الباقي فى راس مالك. وركب وكان رحمه الله من بقايا الكرام. ولقد شاهدت له مجلساً فى شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلثمائة كأنه من مجالس البرامكة ما شهدت مثله قط قبله ولا بعده وذلك ان كاتبه على ديوان السواد ابا الحسين عبد العزيز بن ابراهيم المعروف بابن حاجب النعمان سقط من روشن فى دار ابي محمد على دجلة فمات فى اليوم الثامن من السقطلة جزع عليه ابو محمد وجاء من غد الى اولاده لانهم كانوا دفنوه عشياً وكنت معه فعزاه بأعذب لسان واحسن بيان ووعدى الاحسان وقال: انا ابوكم وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه. قال لابنه الأكبر ابي عبد الله: قد وليتك موضع ابيك ورددت اليك عمله ووليت اخاك ابا الحسين (وكان هذا صبياً سنه عشر سنين او نحوها) واجريت عليه كذا وكذا (رزقاً كبيراً وقد ذهب عنى) فليزمه^(٢) فان سنيهما متقاربة ليتعلم بتعلمه وينشئ بنشوه فيجب حقه عليه ثم قال لأبى العلاء صاعد بن

(١) اسم نهر بالبصرة (٢) الجملة مضطربة

حدثني ابي رضى الله عنه قال: بلغني ان ابا الحسن بن الفرات اجتاز وهو متوسط الحال فى بعض الدروب الضيقة راكباً وبين يديه غلامان فسأل عليه ميزاب من دار فصيره آية ونكالا فقال لأحد غلمانه : اطلب لى موضعا ادخله . فدق على قوم بابهم وكان صاحب الدار خياطاً فلما رأى شارة ابي الحسن وهيئته اعظمه وملقه وادخله واجلسه واخذ ثيابه فدفعا الى زوجته لتغسلها وجلس يحادثه وبادر الغلام الآخر الى دار ابي الحسن فجاءه بخلعة ثياب قبل ان تفرغ من غسل ذلك القماش فلبسها وامر بترك تلك الثياب على القوم وانصرف وضرب الدهر ضربه وولى الوزارة الأولية فاجتاز يوماً راكباً فى موكب عظيم فقام الناس ينظرونه وقام الخياط فلما رآه عرفه فقال لأهل سوقه ان لى مع هذا الرجل قصة ظريفة واخبرهم بها فقالوا له : إنه كريم ولو قصده لانتفعت . فلما كان من غد قصده الخياط فصادف مصيره الى بابه ركوب ابن الفرات فدعا له وقال : لى بالوزير حرمة . فتأمله ابن الفرات فعرفه وذكر قصته فأمر باجلاسها فلما عاد استحضره وسأله عن خبره وخبر زوجته واولاده فأخبره فقال له : ايما احب اليك الجائزة او الخدمة لنا ؟ فقال بل خدمة الوزير . فأمر له بألف دينار وان يجعل رئيساً على الخياطين فى داره ففعل به ذلك فما مضت عليه مديدة حتى صار صاحب عشرات الوف . وقد شاهدت انا قريباً من هذا من الوزير ابي محمد الحسن بن محمد المهلبى رحمه الله وذلك ان ابا محمد عبد الرحمن بن نصر السكرى البصرى صاحب البريديين (وتقد شرطة البصرة دفعات) دعاه فى وزارته فجاء اليه الى داره فى شارع الربد

وينحك في مثل هذا الموضع ومثل هذا الوقت ؟ فقال أريد ازور على رجل مرتعش ويدي لا تساعدني فتعمدت الجلوس ها هنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الرياح فيجيء خطي مرتعشا فيشبه خطه .

حدثني ابو الحسين قال : حضرت ابا علي بن مقله وقد عرضت عليه وهو وزير عدة تسبييات وتوقيعات قد زورها عليه اخوه ابو عبد الله وارتفق عليها وكان ابو عبد الله حاضرا فاستقبح ان يفضحه فيها فلما كثرت عليه التفتت اليه فقال : يا ابا عبد الله قد خففت عنا حتى ثقلت وخشينا ان نثقل عليك فأحب ان تخفف عن نفسك هذا التعب . قال : فضحك ابو عبد الله وقال : السمع والطاعة للوزير .

حدثني القاضي ابو الحسن علي بن محمد بن احمد بن إسحاق بن بهلول التتوخي قال : استتر في دورنا عند ... ابو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن خنزابة وكنت حدثا وكان يستدعيني دائما وتحدث والعب معه الشطرنج فقال لي يوما وقد جرى حديث (تقصان) دخل المقتدر عن خرجه نظرت فاذا دخل المملكة كذا وكذا وخرجها كذا وكذا وضياع عمي ابي الحسن وما قبض معها من ضياعنا كان في وقت قبضها كذا وكذا وهو اليوم ثلث ذلك ولو مكنت من ضياعنا وحدها لعمرتها فعاد ارتقاعها الى ما كان عليه فوفر ما بين الارتقاعين يعجز الدنيا كلها وانما املا كينا شقص يسير من الارض فكيف لو كان للدنيا من يهتم بعمارتها كلها :

قال القاضي ابو الحسن : وما سمعت اعظم من هذا وذلك قبل تقلد ابي الفتح الوزاره وكان ابو الحسن يحفظ مبلغ المال واخبرني به فذهب عني .

أعزه الله قد وعد بتصرفك والاحسان اليك فالزمه . قال : وتحدثنا ساعة ونهض أبو عمر وقال سرّاً : جئني به . فتأخرت وآنته وحملته اليه فدخلت عليه به وهو جالس ينتظرنا وحده فقال له : ويلك أتزور عليّ خطي وأنا حاكم وخطي ينفذ في الاموال والفروج والدماء ما كان يؤمنك ان اعرف ابا القاسم امرك فيصير نكالا ؟ فبكى الرجل وقال : والله ايها القاضي ما حملني على ذلك إلا عدم القوت وشدة الفقر وإني وثقت بكرمك متى بلغك ذلك إذ كان غير متصل بحكم ولا شهادة وقدرت ايضاً انه يتستر عليك وانتفع انا من حيث لا يضرّك . فقال له ابو عمر : بالله إن الفقر حملك على هذا ؟ فقال : إي والله . فبكى ابو عمر وسارّ خادماً له فغاب الخادم قليلاً ثم جاء بصرة فيها مائة دينار ومنديل فيه دست ثياب فسلمه الى الرجل فقال له ابو عمر : اتسع بهذا والبس هذا والزم ابا القاسم فاني اؤكد عليه امرك واحلف لي الا تزور عليّ خطي ابداً . خلف الرجل له على ذلك وانصرف . فلما كان بعد شهرور جاءنا مساءً على ابي عمر بمركوب حسن وثياب فاخرة فأخذ يشكر ابا عمر ويدعو له وهو لا يعرفه وقد ذكرته انا فقال ابو عمر : يا هذا على اى شيء تشكر ؟ فقال : انا صاحب الرقعة الى ابي القاسم بن الحواري الذي وصلني القاضي بماله واحيانى بجاهه وقد صرفني ابو القاسم طول هذه المدة فبلغت حالى الى هذا وانا ادعو الله للقاضي ابداً . فقال ابو عمر : الحمد لله على حسن التوفيق .

حدثني ابو الحسين بن عياش القاضي قال : رايت صديقاً لي على بعض زواريق الجسر ببغداد جالساً في يوم ريح شديد وهو يكتب فقلت :

ويقول يابارك الله عليك (وكانت هذه كلمته) مالك ؟ فقال أنا صاحب الكتاب المزور إلى أبي زنبور الذي حققه تفضل الوزير فعل الله به وصنع . قال : فضحك ابن الفرات وقال : فيكم وصلك ؟ قال : وصل إلى من ماله وبتقسيط قسطه إلى وبتصرف صرفني فيه عشرون ألف دينار . قال ابن الفرات الحمد لله ألزمتنا فأنا نفعك بأضعافها . قال : فلزمه وفالته فوجده كاتباً فاستخدمه وكسبه مالا عظيماً صار ذلك سبباً لحرمة الرجل به

حدثني أبو أحمد بن أبي الورد قال : حدثني أبي وكان خصباً بأبي عمر القاضي أن رجلاً زور عنه رقعة إلى أبي القاسم بن الحواري يسأله تصريفه وكانت بينهما مودة وصار الرجل بالرقعة إلى أبي القاسم فأخذت منه وحجب جلس يتوقع الجواب فاتفق أن جاء القاضي أبو عمر وأنا معه ليسلم على ابن الحواري ودخلنا فوجد القاضي الرقعة بحضرة مشبهة بخطه فوجم لذلك وتشوق لمعرفة الخبر وكان فيه من الوقار والزمانة والفضل المشهور الذي ضرب به المثل ما لم يبين لابن الحواري معه ذلك عليه وفطنت أنا لدبرتي بأخلاقه وكانت لابن الحواري التفاتة فرأى الرقعة في يده فقال : أيها القاضي الساعة وصلت وأنا أفعل ما التمسته في معنى الرجل . فشكره أبو عمر وخاطبه بما أوهمه فيه أنها رقعته من غير أن يطلق ذلك وكان أفعل الناس لهذا واقدري على أن يتكلم دائماً في الأمور بما يحتمل معنيين ويحتاج إلى تفسير المقصد توقيهاً منه ودهاء . وقال أبو عمر : فليطلب الرجل إن كان حاضراً ويدخل . فطلبوه وأدخلوه وقد امتقع لونه فقال له ابن الحواري : أنت الموصل لرقعة القاضي أعزه الله ؟ فقال نعم . فقال له أبو عمر : إنه

الترتيب واستراب بالخطاب أيضاً فوصل الرجل بصلة يسيرة وأمر له
بجراية وقال تأخذها إلى أن انظر في امرك وانفذ الكتب في خاص كتبه
إلى ابن الفرات وشرح له الصورة وكان فيها أن للرجل حرمة وكيدة
بالوزير وخدمة قديمة . قال : فوصلت الكتب إلى أبي الحسن ابن الفرات
وأصحابه بين يديه فعرفهم الصورة وعجبهم منها وقال : ما الرأي في أمر الرجل ؟
فقال بعضهم : تقطع يده لتزويره على الوزير . وقال بعضهم : يقطع إبهامه .
وقال بعضهم : يضرب ويحبس . وقال بعضهم : يكشف لأبي زنبور
أمره ويتقدم إليه بطرده ويتقصر على الحرمان مع بعد الشقة . فقال ابن الفرات
ما أبعد طباعكم من الجليل وأقرها من الحرية رجل توسل بنا وتحمل المشقة
إلى مصر وأمل بجاهنا الغنى ولعله كان لا يصل إلينا ولا حرمة له بنا
فيأخذ كتبنا نخفف عنا بأن كتب لنفسه ما قدر أن به صلاحه ورحل
ملتمساً للرزق وجعلنا سببه يكون أحسن أحواله عند أئمتكم محضراً الخيبة !
ثم ضرب يده إلى الدواة وقلب الكتاب الزور ووقع عليه بخطه هذا
كتابي ولا أعلم لأي سبب أنكرته ولا كيف استترته حتى كأنك عارف
بجميع من خدمنا في النكبة وأوقات الاستتار وقديم الأيام قد أحطت علماً
بجميعهم فأنكرت أما فلان هذا أعزّه الله من بينهم حرمة هي أوكد مما
في هذا الكتاب وسببه عندى أقوى مما تظن فأجزل عطيته وتابع بره
ووفر حظه من التصرف فيما يصلح له وافعل به واصنع واصدر الكتاب
في الحال . فلما كان بعد مدة طويلة دخل عليه رجل جميل الهيئة حسن الزى
والعلمان فأقبل يدعو له ويبكي ويقبل الأرض بين يديه وابن الفرات لا يعرفه

هذا الفعل فتفوز بثوابه في الآخرة كما تفردت بشرف الوزارة في الدنيا .
حدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن داسة البصري قال : حدثني
على بن ابراهيم بن حماد القاضي أن بعض مشايخ العرب أخبره عن
رجل من المسلمين أسر ثم رجع إلى دار الاسلام . قال : لما حملنا في بلد
الروم مرت بنا شذائد فحصلنا عدة ليل لا ننام من البرد وكدنا تلف ثم
دخلنا قرية فجاءنا راهب فيها بأ كسية وقطف ثقيلة دفيئة فغطى جميع الاسارى
كل واحد بواحدة فعشنا تلك الليلة فأقامونا في تلك القرية أياماً فكانت
سبيلنا هذه ثم نقلونا إلى أخرى فعادت حالنا في العرى والبرد الى الأولى
فسألنا عن السبب في ذلك فقالوا : إن رجلاً ببغداد من التجار يقال له
ابن رزق الله صهر ابن أبي عون توصل إلى أن حصلت له هذه الأ كسية
والقطف عند الراهب بغرامات مال جليل وسأله أن يغطي بها من تحصل
في قريته من أسارى المسلمين وضمن له أن ينفق على بيعه في بلد الاسلام
بأزاء هذا في كل سنة شيئاً مادامت الا كسية محفوظة للأسارى فالراهب
يفعل ذلك في هذه القرية وما قبلها وما بعدها ليس فيها شيء من هذا .
فأقبلنا ندعو لابن رزق الله كلما لفحنا البرد ولحقتنا الشدة ونحن لا نعرفه .
حدثني أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن عباس القاضي ^(١) أن رجلاً
دامت عطشته فزور كتباً عن علي بن محمد بن الفرات وهو وزير إلى ابى
زنبور ^(٢) عامل مصر فخرج إليه فلقيه بها فانكرها أبو زنبور لافراط
التأكيد فيها وكثرة الدعاء للرجل وأن محله عنده لم يكن يقتضى ذلك

(١) وردت الحكاية في كتاب الوزراء ص ١٠٣ (٢) هو المادرائي

عن الملكين أياما وخليا^(١) بالرسول ثم استدعياني إليهما فسلمت عليهما فقال لي ترجماهما : يقول لك الملكان إن الذي بلغ ملك العرب من فعلنا بالأسارى كذب وتشنيع وقد أذنا في إدخالك دار البلاط لتشهد أسارا كم فترى أحوالهم بخلاف ما بلغكم وتسمع من شكرهم لنا ضد ما اتصل بكم. قال : ثم حملت إلى دار البلاط فرأيت الأسارى وكأن وجوههم قد أخرجت من القبور تشهد بالضرر وما كانوا فيه من العذاب إلا أنهم مرفهون في ذلك الوقت وتأملت إلى ثيابهم فإذا جميعها جدد فعلمت أنني منعت من الوصول تلك الأيام حتى غير زى الأسارى . وقال لي الأسرى : نحن للملكين شاكرون فعل الله بهما وصنع وأومأوا إلى أن الأمر كان كما بلغكم ولكنه خفف عنا وأحسن إلينا بعد حصولك هاهنا . وقالوا لي : كيف عرفت حالنا ومن تلبه علينا وأتقذك بسببنا ؟ فقلت لهم : ولى الوزارة على بن عيسى فبلغه ذلك فأتمذ من بغداد وفعل كذا وكذا . قال : فضجوا بالدعاء إلى الله تعالى للوزير وسمعت امرأة منهم تقول : مر يا على بن عيسى لأنسى الله لك هذا الفعل . قال : فإما سمع ذلك على ابن عيسى أجيش بالبكاء وسجد حمداً لله سبحانه وتعالى وبر الرسول وصرفه . فقلت له : أيها الوزير أسمعك دائما تتبرم بالوزارة وتتمنى الإنصراف عنها في خلواتك خوفا من آثامها فلو كنت في بيتك هل كنت تقدر أن تحصل هذا الثواب ولو أنفقت فيه أكثر مالك ولا تفعل ولا تتبرم بهذا الأمر ففعل الله يمكنك ويمجى على يدك أمثال

المقدس آخر يقال له القاتليق وأمرهما ينفذ على ملك الروم حتى إيهما
ربما حرما الملك فيحرم عندهم ويحللانه فيحلل وعند الروم أن من خالف
منهم هذين كفر وأنه لا يتم جلوس الملك ببلد الروم إلا برأى هذين وأن
يكون الملك قد دخل إلى بيعتهما ويقرب بهما والبلدان في سلطاننا
والرجالان في ذمتنا فيأمر الوزير بأن يكتب إلى عاملي البلدين باحضارهما
وتعريفهما ما يجري على الأسارى وأن هذا خارج عن الملة وأنها إن لم
يزيلا هذا لم يطالب بحريته غيرهما وينظر ما يكون من الجواب. قال:
فاستدعى كاتباً وأملى عليه كتاباً في ذلك وأنفذهما في الحال وقال: سررت
عنى قليلاً. وافترقنا فلما كان بعد شهرين وأيام وقد أنسيت الحديث
جاءنى فرائق من جهته يطلبنى فركبت وأنا مشغول القلب بمعرفة السبب
فى ذلك حتى وصلت إليه فوجدته مسروراً خفياً رآنى قال: يا هذا أحسن
الله جزاءك عن نفسك ودينك وعنى. فقلت: ما أخبر؟ فقال: كان رأيك
فى أمر الأسارى أبرك رأى وأصح وهذا رسول العامل قد ورد بالخبر
(وأوماً إلى رجل كان بحضرته) وقال له: خبرنا بما جرى. فقال الرجل:
أنفذنى العامل مع رسول البطرك والقاتليق برسالتيهما إلى قسطنطينية
وكتبا إلى ملكيهما: أنكما قد خرجتما عن ملة المسيح بما فعلتما بالأسارى
وليس لكما ذلك فانه حرام عليكما ومخالف لما أمرنا به المسيح من كذا
وكذا وعدد أشياء من دينهما فاما زلتما عن هذا واستأثقتما الإحسان إلى
الأسارى وتركتما مطالبتهما بالتنصر وإلا اعناكما على هذين الكرسيين
وحرمناكما. قال: فمضيت مع الرسول فلما صرنا بقسطنطينية حجت

ديناراً . فقال له أبو عمر مسرعاً كأنه قد أعدله الجواب : الوزير أعزّه الله
 يجعل الثياب ولا يحتاج الى المبالغة فيها ونحن نتجمل بالثياب فنحتاج الى
 المبالغة فيها لانا نلبس العوام ومن نحتاج الى التفتيم عليه واقامة الهيبة
 في نفسه بها الوزير أيده الله يخدمه الخواص أكثر من خدمة العوام ويعلم
 أنه يدع هذا عن قدرة . قال : فكانما ألقم أبا الحسن حجراً وسكت عنه
 حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله قال : حدثني مكرم بن
 أبي بكر أن عم أبي الحسن بن مكرم القاضي قال : كنت خصباً بأبي الحسن
 على بن عيسى وربما شاورني في شيء من أمره . قال : دخلت عليه يوماً
 وهو مغموماً جداً فقدرت أنه بلغه ^(١) عن المقتدر أمر كرهه فقلت : هل
 حدث شيء ؟ وأومأت إلى الخليفة . فقال : ليس غمي من هذا الجنس
 ولكن ما أشد منه . فقلت : إن جاز أن أقف عليه فلعلني أقول شيئاً . فقال :
 نعم كتب إلى عاملنا بالشعران أسارى المسلمين في بلد الروم كانوا على رفق
 وصيانة إلى أن ولى آتفاً ملك الروم حدثان فعسفا الأسارى وأجاعاهم
 وأعرياهم وعاقباهم وطالباهم بالتنصر وأنهم في جهد جهيد وبلاء شديد وليس
 هذا مما لي فيه حيلة لأنه أمر لا يبلغه سلطاننا ^(٢) ولا الخليفة ولا يطاوعاني
 فكنت أنفق الأموال وأجتهد وأجهز الجيوش حتى تطرق القسطنطينية .
 فقلت : أيها الوزير هاهنا رأى أسهل مما وقع لك يزول به هذا . فقال :
 قل يا مبارك . فقلت : إن بأنطاكية عظيماً للنصارى يقال له البطرك وبيت

(١) ليس في الاصل وزدناه من كتاب هلال (٢) يخالف اسلوب الكلام عند
 هلال هذا وهو أقرب الى الحق فان السلطنة أسست بعد هذا الوقت

المخبر أخبرني قال : حدثني أبو أحمد الشيرازي الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر قال : كنت بحضرة أبي علي بن مقلة يوماً في وزارته وقد دخل عليه علي بن عيسى فجلس بين يديه وكان أبو عبد الله العلوي الموسوي حاضراً وابو علي الحسن بن هرون فقال أبو علي بن مقلة للحسن بن هرون : اكتب رقعة إلى أبي عبد الله تصف فيها اختلال ضيعته وتسال فيها الاحتساب له بمظلمة وإطلاق معونة له . ففعل الحسن بن هرون ذلك في الحال وعرض الرقعة فوقع باخراج الحال وأنفذ إلى الكاتب بأن أخرج الحال مصداقاً لما في الرقعة ففعل ذلك فوقع تحت إخراج الحال باطلاق عشرين كراً حنطة وعشرين كراً شعيراً معونة له والاحتساب بما ذكر مبلغه في المظلمة وقال لأبي الحسن بن هرون : سلمه إلى أبي عبد الله . قال : فاستحسن الحاضرون كرمه في ذلك على رجل علوي وأخذ أبو الحسن علي بن عيسى يشكر له ذلك ويصوبه له . فقال له محبباً : لم لم تفعل مثل هذا يا أبا الحسن في وزارتك ؟ قال فنهض أبو الحسن وقال : استودع الله الوزير ولم يجب بحرف واحد .

ومن زمارة أبي الحسن علي بن عيسى وتحسنه أنه كان يحب أن يبين فضله في هذا على كل أحد . أخبرني به غير واحد أن أبا عمر القاضي دخل إليه يوماً في بعض وزاراته وعلي أبي عمر قميص ديبق شستري فاخر فأراد أبو الحسن أن يخجله فقال له : يا أبا عمر بكم اشتريت شقة هذا القميص ؟ فقال : بمائتي دينار . فقال أبو الحسن : ولكن اشتريت لي هذه الشقة التي قطعت منها هذه الدراعة وهذا القميص الذي تحته بعشرين

فأراه إذا بعدت وقد وضعها . ويشبه فعل أبي الحسن على بن عيسى بأبي عيسى أخى أبى صخرة ما أخبرنى به الثقة قال : أخبرنى جماعه من الكتاب أنه بلغه أن المقدر وقد عمد على صرفه بأبى على بن مقلة وكان يخلفه إذ ذاك على عدة دواوين فاستدعاه وطالبه بأعمال يعملها له من الدواوين فوعده بإحضارها فلما كان بعد أيام خاطبه بحضرة الناس يريد الغض منه فقال له : طلبت منك أعمالاً فما أحضرتها وأنا أعلم تعذرها عليك فان كان الأمر كذلك فأفصح عن نفسك . فقال ابن مقلة : قد أحضرتها ووضعها بين يديه فأخذ يقرؤها ويعجب مشايخ الكتاب الحضور من خطابه فيها ويواقفه على ضعف صناعته ويفضحه فى موضع موضع يخرج به ويقول له فى عرض الخطاب هذه حياكة ليست كتابة . ويضرب على عمل عمل ويرسم فى اضعافه كيف يجب أن يعمل والكتاب الحاضرون يعجبون من حسن ما يورده أبو الحسن وضعف ما أورده أبو على إلى أن ضرب على جميع الأعمال ثم قال له : قم فاعملها على هذا وحررها وجثني بها . فقام أبو على الحسن بن مقلة فلما ولى عن حضرة أبى الحسن فقال أبو الحسن إن أمراً عجيز عنه على بن محمد بن الفرات ونحن فيه مرتبكون يقوم به بشيء عجب ^(١) . قال فلما كان فى اليوم الرابع أو الخامس من هذا الحديث قبض على على بن عيسى وسلم إلى أبى على وقلد الوزارة فاعتمد الغض من أبى الحسن فما قدر على ذلك بأكثر من المكاره والمخاطبة له فى وجهه بما يرتفع عنه أرباب الروءات . فمن ذلك أن هذا

(١) عند هلال : ويدعى هذا القيام به لامر عجيب

نيتة فاستعفيت من العمل ولزمت بيتي فلم أكن فيه خاملاً ولا ساقطاً
ثم حصلت حيث اختاره من الكون في جملة أولياء الوزير أو أعدائه
فأما أعفاني مما يستعمله معي وردني إلى العادة التي يستحقها من نصب
في مثل منصب أو أعفاني من العمل لألزم بيتي . فقلت له : يا أبا عيسى
لن ترى بعد هذا شيئاً تشكره ولن أكون لك إلا على أفضل محبتك
فبكر إلى إيبين لك مصداق ذلك . فلما جاءني اليوم عاملته بما رأيته . ويشبه
قول علي بن عيسى لآخيه (إن كان فضولا فلا تسلم عنه) ما كان يبلغنا
عنه من الزمانة الشديدة والوقار العظيم ومطالبة نفسه باحتشام الخلق واستعمال
ذلك مع أهله وولده

حدثني أبو الحسن بن الأزرق قال : بلغني عن بعض أكابر ولده أنه
دخل إليه في آخر عمره وهو مستلق فلما رأى ابنه جلس منتصباً
وأخبرني أبي رحمه الله وأبو الحسن بن عياش أنهما كانا يشاهدان
أبا الحسن في آخر الاوقات في المجالس الحافلة عند باب مفتوح وبين
الناس مسورة يستند إليها وعلى الباب ستر قد أرخى حتى بلغ الأرض وغطى
المسورة وصار حجاباً بين الناس وبينها وهو ملتزمه بالستر احتشاماً للناس
أن يستند بحضرتهم وما زال الناس على هذا .

حدثني أبو الحسن بن أبي طالب بن أبي جعفر بن البهلول قال :
كنت وأنا صبي أجيء وألعب بحضرة جدي فيصيح عليّ . قال : ما دخلت
إليه قط وهو مكشوف الرأس إلا أخذ القلنسوة من خلف مسورته ولبسها
وجلس متمتاً عليّ وسني اذ ذاك عشر سنين وحواليها إلى أن أنصرف

في ذلك مجلس إلى أن لم يبق في مجلسه غيري فقال : شئ تقول يا بني . فقلت :
شئ من الفضول أريد أن أسأل الوزير عنه . فقال : إن كان فضولاً فلا
تسل عنه . قال : قلت لا بد . فقال : هات . فقلت : استخلاك (أمس)
أبو عيسى فأخلىته ثم رأيتك اليوم تعامله بضد ما كنت تعامله قبل هذا فما
سبب ذلك ؟ فقال : نعم إنه خاطبني بخطاب عظيم به في عيني وكبره في نفسي
وعلمت صدقه فيه فرجعت له . قال : (وقد خلا بي) أيها الوزير أنا رجل
شيخ من شيوخ الكتاب عارف بمقدار ما أحسنه من صناعة الكتابة
وتقصيري فيها عن الغاية وليس يخفى عليّ ما يعاملني به الوزير من الغش
والهتك والتعريض للفضيحة للصناعة ومخاطبة الكتاب في الديوان إذا أراد
مهماً ومخاطبتي إذا نزل معضل ويجب أن يعلم الوزير أيده الله أن حالي
ومالي وباطني أكثر مما يقع له ويعرفه من ظاهري على كثرته . واني
ما أتصرف طلباً للفائدة ولا خوفاً من الفقر وإنما أريد الزيادة في الجاه
واتصال نفوذ الأمر والنهي وقد عشت طول هذه السنين آمراً ناهياً
مستوراً في صناعتي ما تعرض لي أحد من الوزراء ولا تعرضت لهم وسلمت
عليهم وسلموا عليّ ومهما عمله الوزير من الغش فليس يمكنه أن يزيل من
نفوس الخاصة والعامة أثني خلفت اسمعيل بن بلبل على الوزارة وتقلدت
كذا وكذا (وأخذ يعدد كبار الاعمال التي وليها) وأن مثل هذا لا يناط
بعاجز ولا أن يستخرج من النفوس عظم محلي فيها بسعة الحال وكثرة
الضياع والمال ولا يمكنه في طمس محلي أكثر مما قد عمله وأنا بين أمور
إما توصلت إلى إزالة ذلك عني بما لعله يثقل على الوزير أو آثرت صفاء

الأبى التتوخى المعروف والده أبى بكر الأزرق قال : كان أبو عيسى أخو أبى صخرة جارنا ببغداد وكان عظيم الحال كثير المال تام الجاه شيخاً من شيوخ الكتاب قد تقلد كبار الأعمال وخلف اسمعيل بن بلبل قديماً على الوزارة فلما ولى محمد بن عبيد الله الخاقانى قلده ديوان السواد فلما صرف أبى الحسن على بن عيسى وورد أبو الحسن من اليمن أو الشام لما كان نفي إليه عقيب قصة ابن المعتز وتقلد الوزارة لم يره أهلاً لديوان السواد لأن صنعته لم تكن بالتامة التى تفي بهذا الديوان ولم يمكنه صرفه لمكانة كانت له فى الدار فكان يقصده بالغض فى المجالس ولا يرفعه الرفعة التى يستحقها صاحب ديوان السواد وإذا أراد عملاً من الديوان أو خراجاً أو حساباً وقع إلى كتاب الديوان واستدعاه وخاطبهم وهو حاضر لا يكلمه فى ذلك فيغض منه بهذا الغض الشديد فاذا أراد عملاً يعلم أن صناعة أبى عيسى لا تفي به وأنه لا يمكنه الكلام عليه خاطبه فيه على رؤوس الأشهاد ليبين نقصه ويفتضح وإذا أراد مهماً أحضر كتاب الديوان فخاطبهم فيه ليكون ذلك نهاية الغض منه . فلما طال ذلك على أبى عيسى جلس عنده يوماً حتى لم يبق فى مجلسه غيره وغير إبراهيم بن عيسى أخى الوزير فقال له على بن عيسى هل من حاجة ؟ فقال نعم إذا خلا مجلس الوزير . قال فأخبرت عن إبراهيم أنه قال : لما سمعت هذا قتت وانصرفت فلما كان من الغد جئت إلى أخى فوجدت أبا عيسى فى صدر المجلس حيث يستحق صاحب الديوان أن يكون يامر وينهى وينبسط ويتكلم والخطاب معه فى الاعمال دون الكتاب وقد صار فى السماء فدعنتى نفسى الى مسألة الوزير

أبو القسم أنا رأيت هذه الجامات وقبضتها للمقتدر من هذه التركة.
وسمعت ابن الجصاص هذا يقول (وقد نسي أبو القاسم شيئاً جرى
لم يذكره) فقال أبو محمد: ماهو؟ فقال سألتنا خازن الرجل عن هذه
الجامات وسببها فقال لا أعلم من أين وصلت إليه ولكن كان عنده منهم
ثمانون جامة فأهدى إلى جماعة من الملوك منها وبقيت هذه البقية
فاستطرف أبو محمد المهلبى الحكاية واستحسنها.

حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن على بن
يحيى ابن أبي منصور المنجم قال: حدثني جدى قال: وقفت امرأة لحامد
ابن العباس على الطريق فشكت إليه الفقر وطلبت منه البر ودفعت إليه
قصة كانت معها فلما جلس وقع لها بمائتي دينار فأناكر الجهمذ دفع هذا
القدر الى مثلها فراجعته فقال حامد: والله ما كان فى نفسى أن أهب لها
الا مائتي درهم ولكن الله أجرى لها على يدي مائتي دينار فلا أرجع فى
ذلك أعطها. فدفع اليها فلما كان بعد أيام دفع اليه رجل قصة يذكر فيها أن
امراتى وإيائى كسنا فقيرين فرفعت امرأتى قصة الى الوزير فوهب لها
مائتي دينار فاستطالت به على وتريد الآن اعناتى لأطلقها فان رأى الوزير
أن يوقع لى الى من يكفها عنى فعل. فقال: فضحك حامد ووقع له بمائتي
دينار وقال: أعطوه إياها وقولوا له قد صار الآن مالك مثل مالها فهى
لا تطالبك بالطلاق. فقبضها الرجل وانصرف غنياً.

حدثني^(١) أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحق البهلول

(١) نقل هلال بن الحسن هذه الحكايات الى كتاب الوزراء الذى له (طبع

المقتدر على ابن الجصاص أنفذ الى داره من يحصى ما فيها ويحملة فقال لى
الذى كتب الاحصاء : إنا وجدنا له فى جملة قماشه سبعة مئة مزملة خيازر
فما ظنك بمروءة وقماش يكون هذا فى جملة ؟

كنت فى حضرة الوزير أبى محمد الحسن بن محمد بن هرون المهلبى
رحمه الله ببغداد وقد دخل اليه أبو اسحق القراريطى بعد وروده من مصر
وأبو القسم الجهنى حاضر فقال له : يا سيدى تسأل أبا اسحق عن الحكاية
التي كنت حكيتها لك فى أمر الجامات البجاذى فانى كنت ذكرت لك
أنه كان حاضرا لأمرها وما علمت أنه يقدم من مصر فأواطئه . فقال له
أبو محمد : ما بك الى هذا حاجة . فقال : بلى يا سيدى . ثم التفت الى
القراريطى فقال : إني حكيت لسيدنا الوزير أن المقتدر أنفذنى أيام تقضى
له المواريث لقبض تركة فلان (فذكر أميرا جليلا قد أنسيت اسمه على
الحقيقة وأظنه قال أنس الموفقى) وأنفذك مستظرا بك لتحصى التركة
وانها كانت هائلة عظيمة وإنا وجدنا فيها ثلاثين جامة بجاذى كل جامة
فتحتها شبر وكسر فى غلف من لب الخيازر مبطنة بالحرير والديباج مضربة
بالنبات محلاة بالذهب فأثبتناها وحملناها الى المقتدر فهاله حسنها وأحضر
ابن الجصاص وأمر بتقويمها . فقال : ما أعرف لها قيمة ولا رأيت مثلاً
قط ولولا أنى شاهدتها لكذبت بوجود مثلاً ولو قلت ان قيمة كل واحد
مائة ألف دينار ما خشيت البعد . وإنى لما حدثت سيدنا الوزير أيده الله
بهذا الحديث كذبنى جماعة من ندمائه وكنت أنت يا سيدى بمصر فان
رأيت أن تقيم لى الآن الشهادة . فقال القراريطى قد صدق أيد الله الوزير

الجلس فرغني فوق جميع من كان بحضرته وقرظني التقريظ التام وعاملني بما علم منه الحاضرون رجوعه لى وأمر بأفشاء الكتب إلى عمال النواحي بأعزاز وكلائي وصيانة أشياءي وضياعي وتقدم إلى كتاب الدواوين بأخراج كل ما كانوا أدخلوه إليها من تغير رسوى والزيادة على وأن أجرى على الرسوم القديمة فشكرته وقت فقال : يا غلام بين يديه . فخرج الحجاب يجرون سيوفهم بين يدي والناس يشاهدون ذلك ويعجبون منه وقد رجع جاهي ولم يعلم أحد سبب صلاح ما بيننا فما حدث بذلك إلا بعد القبض عليه ثم قال لى أبو على ابنه : فهل هذا فعل ورأى من يليق به ما حكي من تلك الحكايات عنه ؟ فقلت : لا .

حدثني أبو محمد عبد الله بن احمد بن ابى بكر داسة قال : حدثني بعض شيوخنا قال : كنا بحضرة أبى عمر القاضي جبرى ذكر ابن الجصاص وغفلته فقال أبو عمر : معاذ الله ما هو كذلك ولقد كنت عنده منذ أيام مساء وفى صحنه سرادق مضروب جللسنا بالقرب منه نتحدث فاذا بصرير نعل من خلف السرادق فصاح : يا غلام جئني بمن مشيت خلف السرادق الساعة . فأخرجت اليه جارية سوداء فقال : ما كنت تعملين ههنا ؟ قالت : جئت الى الخادم أعرفه أنى قد فرغت من الطييح وأستأذن في تقديمه . فقال : انصرفي لشأنك . فعلمت أنه أراد أن يعرفنى أن ذلك الوطء وطء سوداء مبتذلة وأنها ليست من حرمة ولا من يصونه فيزيل عني أن أظن به مثل ذلك فى حرمة فكيف يكون هذا مغفلا ؟

حدثني أبو العباس هبة الله بن المنجم أن جده حدثه أنه لما قبض

منه دائق وأكوز قد أهلكت عدوى وشفيت غيظي واسترجعت مالى
وصنت نعمتي وازداد محلى عظماً بصرف وزير وتقليد وزير . فلما سمع
هذا سقط فى يده وقال : يا عدو الله أوتستحل هذا : فقلت : است عدو الله
بل عدو الله من استحل منى ما أحوجنى إلى الفكر فى مثل هذا ولم
لا أستحل مكروء من يريد هلاكى وزوال نعمتى : فقال أو أئش : قلت
أو أن تحلف الساعة بما أستحلفك به من الايمان المغاظة أنك تكوز لى
لا على فى صغير أمرى وكبيره ولا تنقص لى رسماً ولا تغير معاملة ولا
تضع من^(١) شئ وتزيد فى رفعتى وذكرى الجميل ولا تبغى لى الغوائل ولا
تدسس على المسكاره ولا تشرع لى فى سوء ولا نكبة أبداً ظاهراً ولا
باطناً وتفعل وتفعل . فاسترطت عليه الأمن من كل ما كنت أخافه منه .
فقال : وتحلف أنت أيضاً بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة
والموازرة . فقلت : أفعل . فقال : لعنك الله فما أنت إلا إبليس سحرتنى
والله . واستدعى دواة وعملنا نسخة اليمين فأحلفته بها أولاً ثم حلفت له
فلما أردت القيام قال : يا أبا عبد الله لقد عظمت فى نفسى وخففت ثقلاً
عنى فوالله ما كان المقدر يفرق بين كنفائتى وغناى وموقعى وبين أخس
كستانى كما ذكرت مع المال الحاضر فليكن ما جرى مضوياً . فقلت :
سبحان الله . فقال : وإذا كان غداً فصر إلى فى المجلس العامى ترى ما أعاملك
به . فهضت فقال : يا غلمان بأسركم بين يدى أبى عبد الله . فخرج بين يدى
مائتا غلام فعدت إلى دارى وما طلع الفجر فاسترحت وجئته فى وقت

في هلاكى وإزالة نعمتى وفي ازالتها خروج نفسى وليس من النعمة
والنفس عوض ولعمري إني قد أسأت في خدمتك وقد كان في بعض
هذا التقويم بلاغ عندى وقد جهدت في استصلاحك بكل ما قدرت
عليه ووسطت بيني وبينك فلاناً وبذلت كذا وقبلت كذا فأبيت إلا^(١)
الإقامة على أذى وليس شئ أضعف من السنور وإذا عاثت في دكان
بقال فظفر بها ولزها إلى الزاوية ليخنقها وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه
ومزقت ثيابه وطلبت الحياة بكل ما يمكنها وقد وجدت نفسى معك في
مثل هذه الصورة ولست أضعف بطشاً من السنور وقد جعلت هذا الكلام
عذراً بيننا فانزلت تحت حكمى في الصلح وإلا فعلى وعلى . وحلفت له
بأيمان غليظة لأقصدن الخليفة الساعة ولأحولن إليه من خزانتي ألف ألف
دينار عينا وورقاً ولا أصبح إلا وهي عنده . وأنت تعلم قدرتى عليها وأقول
له : خذ هذا المال وسلم ابن القرات إلى فلان واستوزره وأنظر له أقرب
من يقع في نفسى أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب
وخط حسن ومخرقة حادة ولا أعتمد إلا بعض كتابك فإنه لا يفرق
بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً فيسألك في الحال لهم ويرانى المتقلد بعين
من أخذه وهو صغير فجعله ورياً وغرم منه هذا المال الكثير ويعتقد أنى
ربه وولى نعمته فيخدمنى ويتدبر بتدبيرى في جميع أمره فأسألك إليه فيفرغ
عليك العذاب حتى يأخذ منك الألفى ألف دينار بأسرها . وأنت تعلم
أن حالك تقي بها ولكنك تفتقر بعدها ويرجع إلى المال ولا يذهب على

وأدام الغضة منى إذا دخلت إليه فوسطت بيني وبينه جماعة وبذلت له أشياء توجب صلاح ما بيننا فما نجعت وأقام على قصدى وأنا محتمل طامع فى رجوعه فدخلت يوماً داره فسمعت حاجبه يقول (وقد وليت عنه) :
أى بيت مال يمشى على وجه الارض ألف دينار تمشى وليس لها من يأخذها . فعلمت أن هذا من كلام صاحبه وأنى منكوب وكان عندى فى ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا وجوهراً سوى غيرهما مما يجرى عليه ملكي فضاقت على الدنيا وسهرت ليلتى بأسرها أفكر فى أمرى معه فوقع إلى رأى فى الثلث الأخير فركبت فى الحال إلى داره فوجدت الأبواب مغلقة فطرقها فقال البوابون : من هذا ؟ فقلت ابن الجصاص . فقالوا : ليس هذا وقت وصول والوزير نائم . فقلت : عرفوا الحجاب أنى حضرت (لهم) . فمرفوهم فخرج إلى أحدهم فقال : إنه إلى ساعة ينتبه فيجلس وتنتظر . فقلت : الأمر أهم من ذلك فأنبه وعرفه عني هذا . فدخل فأبطأ ساعة ثم خرج فأدخلنى من دار إلى أخرى حتى انتهيت إلى مرقدده وهو على سرير وحواليه نحو خمسين فراشا لغلمان له كأنهم حفظة وقد قاموا وبعض الفرش ينقل وهو جالس فى فراشه مرتاعاً قد ظن أن حادثة حدثت أو أنى جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما أورده فرفعنى وقال : ما الذى جاء بك فى هذا الوقت ؟ فقلت خير ما حدثت حادثة ولا : معى رسالة ولا جئت إلا فى أمر يخص الوزير ويخصنى لم تصلح مفاوضته فيه إلا على خلوة شديدة . فسكن ثم قال لمن حوله : انصرفوا . فمضوا وقال : هات . فقلت : أيها الوزير إنك قد قصدتني أقبح قصد وشرعت

افعل . فأثمت يومى عنده وأكلنا وتحدثنا بقية يومنا . وكنت أنا اجتمعت ببغداد فى سنة خمسين وثمانئة مع أبى على بن أبى عبد الله بن الجصاص فرأيت شيخاً طيباً حسن المحاضرة فسألته عن الحكايات التى تنسب إلى أبيه مثل قوله خلف إمام قد قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال « اى لعمرى » بدلا من « آمين » ومثل قوله للخاقانى الوزير : أسهرنى البارحة صوت كلاب فى الحارة على بابى كل كلب مثلى ومثل الوزير . وقوله له وأراد تقييل رأسه فقال : إن فيه دهناً فلا تفعل . فقال : لو كان فى رأس الوزير خرى لقبته . ومثل قوله : قتت البارحة فى الظامة إلى الخلاء فما زلت أتلحظ المقعدة حتى وقعت عليها . ومثل قوله وقد وصف مصحفاً بالعتق فقال : هو كسروى . وأمثال هذا على كثرتة عنه وتواتر الرواية له . فقال لى : أما أمر « المقعدة » و « اى لعمرى » وما كان من هذا الجنس فكذب وما كانت فيه سلامة ^(١) تخرجه الى هذا ولا كان الا من ادهى الناس وأخبثهم ولكنه كان يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما جكى عنه بسلاسة طبع كانت فيه ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الآله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء فيسلم عليهم . وأنا أحدثك عنه بحديث حدثنا به لتعلم معه أنه كان فى غاية الحزم وأن فاعله لا يجوز عليه مثل ما لحكى عنه . فقلت : أحب أن تفعل . قال : حدثنا أبى قال إن أبا الحسن بن الفرات لما ولى بعض وزاراته قصدنى قصداً قبيحاً شئاً كان فى نفسه على فأنفذ العمال إلى ضياعى فأمر بنقض معاملاتى وبسط اسانه بشلى وتنقصى فى مجالسه

الناس او فقد العادة في مأ كول ومشروب وملبوس وما جرى مجرى ذلك او النقصان في جاه فاصبر حتى اوافئك انه ليس ببغداد اليوم بعد ما خرج عنك ايسر منك من اصحاب الطيالس. فقال : هات . فقلت : ليس دارك هذه التي كانت قبل مصادرتك ولك فيها من الفرش والأثاث ما فيه جمال لك وان لم يكن ذلك الكبر المفرط ؟ فقال : بلى . فقلت : وقد بقي لك عقار بالكرخ وقيمتها خمسون ألف دينار فقال : بلى . فقلت : ودار الحور وقيمتها عشرة آلاف دينار . فقال : بلى . فقلت : وعقارك بباب الطاق وقيمتها ثلاثون ألف دينار . فقال : بلى . وبستانك الفلاني وضيعتك الفلانية وقيمتها كذا . فقال : بلى . فقلت : ومالك بالبصرة وقيمتها مائة الف دينار . فقال : بلى . فجعلت اعدد عليه من عقاراته وضياعه إلى ان بلغت القيمة تسعمائة الف دينار فقلت : واصدقني عما سلم لك من الجوهر والأثاث والقماش والطيب والجواري والعييد والذواب وعن قيمة ذلك وقيمة دارك . فأخذ يصدقني ويقوّم واحصى إلى ان بلغت القيمة لذلك ثلثمائة الف دينار . فقلت له : يا هذا من ببغداد اليوم يحتوى ملكك على الف الف دينار ؟ وجاهك عند الناس اجاه الأول وهم يظنون ان الذي بقي لك ضعف هذا فلم تغتم ؟ قال : فسجد لله وحده وبكى ثم قال : والله لقد غلب الفكر علىّ حتى نسيت جميع هذا انه لي وقل في عيني لا ضافتي اياه إلى ما اخذ مني ولو لم تجئني الساعة لزاد الفكر علىّ حتى يبطل عقلي ولكن الله تعالى اتقذني بك وما عزاني احد بأنقع من تعزيتك وما أكلت منذ ثلاث شيئاً فأحب أن تقيم عندي لنا كل وتحدث وتفرج . فقلت :

المستراح فجعل ذلك المال مصبوباً^(١) في الموضع لا يعرف خبره غيره فلما اشتدت به المطالبة دل عليه فأخرج ما ذهب منه شيء ولا عرف خبره إلا من جهته .

وحدثني أبو الحسين بن عباس أنه سمع جماعة من ثقات الكتاب يقولون إنهم حصلوا ما ارتفعت به مصادرة أبي عبد الله بن الجصاص في أيام المقتدر فكانت ستة آلاف ألف دينار سوى ما قبض من داره وبعد الذي بقي له من ظاهره .

سمعت الأمير أبا محمد جعفر بن ورقاء بن محمد بن ورقاء الشيباني يحدث في سنة تسع وأربعين وثلثمائة قال : اجتزت بابن الجصاص بعد إطلاقه الى داره من المصادرة بأيام وكانت بيننا مودة ومصاهرة فرأيتني على روشن داره على دجلة في وقت حار من يوم شديد الحرارة وهو حاف حار يعدو من أول الروشن إلى آخره فطرحت طياري إليه وصعدت بغير إذن فلما رأيته استحيى وعدا إلى مجلس له فقلت : ويحك مالك ما الذي قد أصابك ؟ فدعا بطست وماء فغسل وجهه ورجليه ووقع ساعة كالمغشى عليه ثم قال : أولاً يحق لي أن يذهب عقلي وقد خرج من يدي كذا وأخذمني كذا (وجعل يعدد امراً عظيماً مما خرج منه) ففتى اطمع في خلفه ولم لا يذهب عقلي اسفاه عليه ؟ فقلت له يا هذا إن نهايات الأموال غير مدركة وإنما يجب أن تعلم أن النفوس لا عوض لها والعقول والاديان^(٢) فما سلم لك ذلك فالفضل معك وإنما يقلق هذا القلق من يخاف الفقر والحاجة إلى

جراياتهم في الدهليز فتعل ذلك فلما كان بعد أيام رأى قشر باقلاء في الدهليز أيضاً فاستشاط وكان حديداً سفيهه اللسان فشم وكيه وقال : ألم أضعف الجرايات فلم في دهليزي قشور الباقلاء ؟ فقال : إن الجرايات لما تضعفت جعلوا الأولية لعيالاتهم في كل يوم وصاروا يجمعون الثانية عند القصاب فاذا خرجوا من النوبة ومضوا نهراً إلى منازلهم في نوبة استراحاتهم فيها أخذوا ذلك مجتمعاً من القصاب فتوسعوا به . فقال : فتمكن الجرايات بحالها وليتخذ مائدة في كل يوم تنصب غدوة قبل نصب موائدنا يطعم عليها هؤلاء ووالله لئن وجدت بعدها في دهليزي قشر باقلاء لأضربك وجميعهم بالمقارع . ففعل ذلك وكان مازاد من نفقة الأموال أمراً عظيماً .

حدثني القاضي أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن الحرث بن عباس الجوهري البغدادى وأبو الحسن بن المأمون الهاشمى أنه وجد حامداً في نكته التى قتل فيها فى بئر مستراح له أربع مائة ألف دينار عينا دل عليها لما اشتدت به المطالبة . وأخبرنى غيرهم أن حامداً كان عمل حجرة وجعل فيها مستراحاً وكان يتقدم إلى وكيله أن يبتاع له الدنانير ويحجى بها وكلما حصل له كيس أخذه تحت ثيابه وقام كأنه يبول فدخل ذلك المستراح فألقى الكيس فى البئر وخرج من غير أن يصب فيها ماءً ولا يبول ويوء الفراش أنه فعل ذلك فاذا خرج أقفل المستراح ولم يدخله غيره على رسم مستراحات السراة التى يختصونها وإذا أراد الدخول فتحه له الخادم الموسوم بالوضوء وذلك الخادم أيضاً لا يعلم السر فى ذلك فلما تكامل ذلك المال قال هذا المستراح ضيق البناء قبيح فسدوه لاغيره فسد البئر وعطل

بمثل هذا الرياء؛ ولكن الطباع خست حتى الحسد أيضاً . كان الناس قديماً إذا حسدوا رجلاً على يساره حرصوا على كسب المال حتى يصيروا مثله وإذا حسدوه على علمه تعلموا حتى يضاهوه وإذا حسدوه على جود بذلوا حتى قيل إنهم أكرم منه وإذا (عدد أشياء كثيرة) فالآن لما ضعفت الطباع وصغرت النفوس وعجزوا أن يجعلوا أنفسهم مثل من حسدوه في المعنى الذي حسدوه عليه عدلوا إلى تنقص المبرر فإن كان فقيراً سعوا على فقره وإن كان عالماً خطّوه وإن كان جواداً قالوا هذا متاجر بجوده وبخلّوه وإن كان فعلاً للخير قالوا هذا مراء .

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال : كان حامد بن العباس من أوسع من رأياه نفساً وأحسنهم مروءة وأكثرهم نعمة وأشدّهم سخاءً وتفقداً لمروءته وكان ينصب في داره كل يوم عدة موائد ولا يخرج من الدار أحد من الجُلة والعامّة والحاشية وغيره إذا حضر الطعام أو يأكل كلّ حتى غلبان الناس فربما يُنصب في داره في يوم واحد أربعون مائدة وكان يجري على كل من يجري عليه الخبز لحمًا . وكانت جرياته كلها الحواري . فدخل يوماً إلى دهليزه فرأى فيها قشر باقلاة فأحضر وكيهه وقال : ويلك يوكل في داري الباقلاء ؛ قال : هذا من فعل البوايين . قال : أوليست لهم جريات لحم ؛ قال : بلى . قال : فسلمهم عن السبب . فسألهم فقالوا : لأنهنّ يأكل اللحم دون عيالنا فنحن نتفذه إليهم لنأكله معهم لئلا ونجوع بالعدوات فنأكل الباقلاء . فأمر حامد أن يجري عليهم جارية لعيالهم تحمل إلى منازلهم وأن يأكلوا

قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمتُهُ في بيتي شعر لا يقدر أحد أن يرده
عليّ وإنما جعلته شعراً ليبي ويدور أحياناً في الوزير في إنشادهما :
فقال قل فرب صواب قلته . فقلت :

رأيت عبيد الله أئدى أناملاً وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد
ورواه الناس مرة أخرى فقال فيه

أفضل سوددا وأكرم من فضل ويحيى وجده
أولئك جادوا والزمان مساعد وقد جاد ذا والده غير مساعد^(١)

حضرت مجلس الحسن بن علي بن زيد المنجم غلام أبي نافع وهو إذ ذاك
عامل معز الدولة رحمه الله على الأهواز وقطعة من كورها ومحله عنده كمحل
وزرائه وكان قد خدم أبي رحمه الله قديماً بعد مفارقتها خدمة القاسم بن دينار
عامل الأهواز وتوكل له في داره وضيعة وخلفه على العيار في دار الضرب
بسوق الأهواز ثم خلطه بخدمة أبي عبد الله البريدي فعملت منزلته ثم بلغت
به الحال ما ذكرته فيكنت إذا جئتته وهو إذ ذاك على غاية الجلالة وأنا في
حد الأحداث اختصني وكان يعجبه أن يقرظ في وجهه فأفاض قوم في
مدحه وذكر عمارته للوقوف والسقايات وإداره الماء في ذنابة المرقان^(٢)
وتفريقه مال الصدقات على أهلها وذنبت معهم في ذلك . فقال لي هو :

يا بني أرباب هذه الدولة إذا حدثوا عني بهذا وشبهه قالوا المنجم إنما يفعل
هذا رياءً وما أفعله إلا لله تعالى وإن كان رياءً فهو حسن أيضاً فلم لا يراؤون

(١) اغنى ١٣ : ٢٥ (٢) المرقان نهر بخوزستان عليه عدة قرى وبلدان
ومبداه من تستر . والذنابة بكسر الذال منتهى الوادي

على دراهم الناس لا أصل لها . فقلت له أيها الشيخ إن قلت ذلك فقال صاعد مثله فأجيب . فقال ما قال ؟ فقلت له حكى له جود البرامكة فقال هذا من موضوعات الوراقين وكذبهم وكان أبو العيناء حاضراً فقال له فلم لا يكذب على الوزير أعزه الله (وهو يرجى ويخاف وأولئك موتى مايوس من خيرهم وشهرهم) مثل هذا الكذب ؟ قال نخجل أبو مخلد . وفي معنى هذا ما ذكره وإن كان موجوداً في الكتب ولكنه على سبيل الاستعادة وهو حسن :

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد الأزدي قال : بلغني أن ابن الزيات لما جعل في التنوير قال له بعض خدمه لهذا وشبهه كنا نشير عليك بفعل الاحسان وتقليد رقاب الرجال بالامتنان واتخاذ الصنائع في حال القدرة لتجازى بها الآن عند الحاجة . قال لو كنت فعلت هذا لما حصلت منه على طائل لما في نفوس الناس من ضعف الإخاء وكثرة الغدر وقلة الوفاء وتراني كنت أفعل أكثر من أفعال البرامكة ما نفعهم لما حصلوا على مثل حالي من إسلام الزمان وجور السلطان . فقال له الخادم لو لم ينفعهم إلا ذكرك لهم في مثل هذه الحال التي أنت فيها لكان ذلك أكثر نفع .

وحدثني أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني الكاتب قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مبرويه قال حدثنا أبو الشبل عصم بن وهب البرجمي قال حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان إلى محسناً وعلى مفضلاً جرى ذكر البرامكة ووصف الناس لهم بالجود وما قالوا في كرمهم وجوائزهم فأكثرنا فقمنا في وسط المجلس وقلت أيها الوزير

ليس فيها أخ له على حسب ماسنح وتيسر . واتفق ولم يتعذر . وأرجو أن لا يبور ما جمعته . ولا يضيع ما تعبت فيه وكتبته وأثبتته من ذلك وصنعتة . فلو لم يكن فيه إلا أنه خير من موضعه بياضاً لكانت فائدة إن شاء الله تعالى وإياه أسأل التوفيق في المقال . والتسديد في جميع الأفعال . والعصمة من الزلل . والحفظ من الخطأ والوهل . إنه بذلك ولى . وبالمرجو منه فيه ملى . وهو حسبي وإليه في كل أمر مرجعي وعليه توكلى ولا حول ولا قوة إلا به إنه نعم المولى والوكيل .

حدثني أبو العباس بهبة الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن المنجم النديم وهو أحد بني يحيى ابن أبي منصور المنجم صاحب المأمون ومحل أهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والأدب وقول الشعر وتصنيف الكتب في أنواع ذلك معروف ومكانهم من المنزلة في خدمة السلطان وعظم النعمة والحال متعالم ومحل أبي العباس في نفسه أشهر من أن يجهل في العلم والأدب وقول الشعر والمعرفة بالجدل والفقه وغير ذلك مما يفوق به . وقد نادى أبا محمد الملبى رحمه الله واختص به ونفق عليه سنين كثيرة ومن بعده من الوزراء وغيرهم من الرؤساء وهو أحد بقايا أهل بيته . قال كنت بحضرة أبي محمد عبد الله بن يحيى الطبري صاحب معز الدولة جفري ذكر السكرم والكرام والجلود والأجواد وما كانت البرامكة وغيرها تأتي من الافضال على الناس فأخذ أبو محمد يدفع هذا ويبطله حتى قال هذه حيل نصها الشحاذون

وجب أن توصل بما تقدم من أشباهها وتردد في الكتب من أمثالها
فينتقض ما شرطناه . ويطل ما ذكرناه . من أن هذه الأخبار جنس لم
يسبق إلى كتبه وأنا إنما تلقناه من الأفواه دون الأوراق ونخرج بذلك
عن القصد والمراد . والفرض المطلوب في الاستقامة والسداد . وليست
الفائدة فيها التنويع ولا المغزى التأليف بل لعل كثيراً مما فيها لا نظير له
ولا شكل . وهو وحده جنس وأصل . واختلاطها أطيّب في الآذان .
وأدخل . وأخف على القلوب من الآذان . وأوصل . وعلى أنى وب
كنت أجنب بجهدى أن أثبت فيها شيئاً قد كتب قبلى أو تنبه على الفائدة
في إثباته سواى إلا الشعر فإنه غير داخل في هذا الأمر فأنى في الأقل
ربما كتبت شيئاً أعلم أنه موجود في الدفاتر عقيب شئ يوجب فلاحه إليه .
فلاجل فائدة تحسنه وتخض عليه . واعتماد اترصيع هذه الأخبار . بما يحجبها
الى أكثر طلاب الآثار . وقد جعلت كل واحد من أجزائها وهو مائة
ورقة واحداً قائماً بنفسه . مستغنياً عن الباقي من جنسه . لتخلو فائدته
لقارئه دون غيره . ولا يضطر إلى سواه مع حضوره . وإن كان في غيره
ضروب آخر من الفوائد لا تعلم إلا منه . وصدرت كل جزء برسالة تدل
على جنس الأخبار المورودة^(١) في جميع الأجزاء والغرض فيها والسبب
الباعث على جمعها مختصرة لهذا الشرح الطويل وموجزة من جملة هذا
الكلام الكثير . وأوردت في كل جزء ما اتفق إirاده محتطاً بما ربما كان
في الأجزاء الأخر ما هو في معناه داخل . ومن نوعه وفنه حاصل . ومما

لا يوجد مثلها سائفاً . في أضعاف هذه السنين مضاعفاً . ما لو قيد بتأليف الكتب . وحفظ بتصنيف الأشعار فيه والخطب . وخلد على شرحه في تواريخ السنين والحقب . لأوفى على ماسلف وتقدم في علو الرتب . وقد أثبت من هذا أيضاً طرفاً طفيفاً . ونبدأ موجزاً خفيفاً . لئلا تخرج هذه الأخبار عن سبيلها ولا تخلو مع ذلك من فنون لا توجد إلا فيها وليستفيد منها العاقل اللبيب . والفظن الأريب . إذا طرقت سمعه وخالطت فهمه من آداب النفس . ولطافة الذهن والحس . ما يغنيه عن مباشرة الأحوال . وتلقن مثله من أفواه الرجال . ويحذرك في العلم بالمعاش والمعاد . والمعرفة بعواقب الصلاح والفساد . وما يفضى إليه أواخر الأمور . ويساس به كافة الجمهور . ويجتنبه من المكاره حتى لا يتوغل في أمثالها . ولا يتورط بنظرها وأشكالها . ولا يحتاج معها إلى إنفاق عمره في التجارب . وانتظار ما تكشفه له السنون من العواقب . وأوردت ما كتبته مما كان في حفظي سائفاً . مختلطاً بما سمعته آنفاً . من غير أن أجعله أبواباً مبوبة . ولا أصنفه أنواعاً مرتبة . لأن فيها أخباراً تصلح أن يذاكر بكل واحد منها في عدة مكان^(١) وأكثرها مما لو شغلت نفسي فيه بالنظم والتأليف . والترتيب والتصنيف . لبرد واستثقل وكان إذا وقف قارئه على خبر من أول كل باب فيه . علم أن مثله باقيه . فقلّ قراءة جميعه ارتياحه ونشاطه . وضاق فيه توسطه وانبساطه . وكان ذلك أيضاً يفسد بما في أنثائه من الفضول . والأشعار والرسائل والأمثال والفصول . التي إن رتبت على الأبواب

وتلخيصه بما يثبت على قراءته من شعر متأخر من المحدثين . أو مجيد من الكتاب والمتأدين . أو كلام منشور لرجل من أهل العصر أو رسالة أو كتاب بديع المعنى أو حسن النظم والنثر ممن لم يكن في الأيدى شعره ولا نثره ولا تكرر نسخ ديوانه . ولا ترددت معاني إحصائه . وما فيه مثل طرى أو حكمة جديدة أو نادرة حديثة أو فائدة قريبة المولد ليعلم أن الزمان قد بقي من القرائح والألباب . في ضروب العلوم والآداب . أكثر مما كان قديماً أو مثله ولكن تقبل أرباب تلك الدول للادب أظهره ونشره وزهد هؤلاء الأئمة في هذا الأدب غمزه وستره . ولهذا الحال ما انطمست المحاسن في هذه الدول وردت أخبار هؤلاء الملوك وخلت التواريخ من عجائب ما يجري في هذا الوقت لأن ذوى الفضل لا يفنون أعمارهم بتشييد مفاخر غيرهم وانفاق نتائج خواطرهم مع بعدهم من الفائدة . وخلوهم عن العائدة . وأكثر الملوك وذوى الأحوال . والرؤساء وأرباب الأموال . لا يجودون عليهم فيجيد هؤلاء لهم نسج الأشعار والخطب . وحوك الرسائل والكتب . التي تبقى فيها الأثر . ما أقام الدهر الغابر . فقد بخل هؤلاء وغفل هؤلاء ورضى كل واحد من الفريقين بالتقصير فيما يجده . والنقص فيما يعتمده . وإلا فقد خرج في أعمارنا وما قاربها من السنين من مكنون أسرار العلم . وظهر من دقيق الخواطر والفهم . ما لعله كان معاصراً على الماضين . وممتعاً على كثير من المتقدمين . وجرت في هذه المدة من الحوادث الكبار والوقائع المظام والانقلابات العجيبة . والاتفاقات الغريبة . والحيل الدقيقة . والامور المحكمة الوثيقة . التي

ويقتصر منهم على الإكرام دون الأموال . وقضاء الحاجة دون المغازم
والإثقال . فما يرفعون به رأساً . ولا ينظرون إليه إلا اختلاساً . لتفساد
هذا العصر . وتباعد حكمه من ذلك الدهر . وأن موجبات الطباع فيه
متغيرة منتقلة . والسنن دارسة متبدلة . والرغبة في العلم معدومة . والهمم
باطلة مفقودة . والاشتغال من العامة بالمعاش قاطع . ومن الرؤساء بلذاتهم
البيمية قانع . فنحن حاصلون فيما روى من الخبر أنه لا يزداد الزمان إلا
صعوبة ولا الناس إلا شدة ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق . وما
أحسن ما أئشني أبو الطيب المتنبي لنفسه من قصيدة في وصف صورتنا :
أتى الزمان بنوه في شببيته فسرهم وأتيناها على الهرم

وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحق البهلول التنوخي
المعروف والده بأبي بكر الأزرق الأنباري قال : قال لي أبي إذا كان يوم
القيامة أصعب الأيام فكل ما قرب منه من الأيام ودخل في أشراطه
كان أصعب . واتفق أيضاً أنني حضرت المجالس بمدينة السلام في سنة
ستين وثلثمائة بعد غيبتى عنها سنين فوجدتها بحيلة ممن كانت به عامرة .
وبمذاكرته أهله ناضرة . ولقيت بقايا من نظراء أولئك الأشياخ وجرت
المذاكرة فوجدت ما كان في حفظي من تلك الحكايات قديماً قد قبل .
وما جرى من الأفواه في معناها قد اختل . حتى صار من يحكي كثيراً مما
سمعناه يخلطه بما يحيله ويفسده ورأيت كل حكاية مما أنسيته لو كان باقياً في
حفظي يصلح لفن من المذاكرة . ونوع من نشوار المحاضرة . فأثبت ما بقي
عليّ مما كنت أحفظه قديماً واعتقدت إثبات كل ما أسمعته من هذا الجنس

واخبروا به من عجائبها . ويوردون كل فن من تلك الفنون على حسب ما تقتضيه المحادثة . وتبعثه المفاوضة . فاحفظ عليهم ذلك في الحال . وأتخذ به واستفيدة في أحوال . فلما تطاولت السنون ومات المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن ولم يبق من نظرائهم إلا اليسير الذين إن مات ولم يحفظ عنه ما يحكيه مات بموته ما يرويه . ووجدت أخلاق ملوكنا ورؤسائنا لا تأتي من الفضل بمثل ما يحتوى عليه تلك الاخبار من النبل وتستنى بما تشاهد من نظيره . عن حفظ ما سلف وتحجيره . بل هي مضادة لما تدل عليه تلك الحكايات من أخلاق المتقدمين وضرائبهم وطبائعهم ومذاهبهم حتى ان من بقى من هؤلاء الشيء إذا ذكر ما يحفظه من هذا الجنس بحضرة أرباب الدولة ورؤساء الوقت خاصة ما كان منه متعلقاً بالكرم . ودالاً على حسن الشيم . ومتضمناً ذكر وفور النعم . وكبر الهمم . وسعة الأنفس وغضارة الزمان ومكارم الأخلاق كذبوا به ودفعوه وجعلوه في أقسام الباطل واستبعدوه ضعفاً عن إتيان مثله واستعظاماً منهم لصغير ما وصلوا إليه بالاضافة إلى كبير ما احتوى أولئك عليه وقصوراً عن أن تنتج خواطرهم أمثال تلك الفضائل والخصال . أو يتسع صدورهم لفعل ما تقارب تلك المكارم والأفعال . هذا مع أن في زمانهم هذا من العلماء المحتسين في التعليم . والأدباء المنتصين للتأديب والتفهم . وأهل الفضل والبراعة في كل علم وأدب وجد وهزل وصناعة من يتقدم بجودة خاطر . وحسن الباطن والظاهر . وشدة الحذق فيما يتعاطاه . والتبريز فيما يعاينه ويتولاه . كثيراً ممن تقدمه في الزمان . وسبقه بالمولد في ذلك الاوان .

والشراب والمعاقرين . والمغنيات والمغنين . والرقاصين والمختنين . وأصحاب
الستائر والمقيسين . والمتقنين والمستمعين . وأهل الهزل والتخالعين .
والحجان والمجانين . والبله والمغفلين . والمفكرين والموسوسين . وأهل
المذهب والسوداويين . والمشبذين والمحتاين . والمحددة والمتنبئين .
والاطباء والنجمين . والكحالين والفصادين . والآسية والمجبرين .
ومعالجى الجراح والتملحين . وأصحاب الزجر والزواتين . وأهل القرعة
والمقالين . والطواف بالسهم والمفسرين . والشحاذين والمجتدين . والمجدودين
والمحدودين . والسعاة والمسافرين . والمشاة والمتغربين . والسباح والغواصين .
وسلاك البحار وانمازات . وأهل المهن والصناعات . والياسير والفقراء .
والتجار والاغنياء . والفواضل من النساء . وحراثهن والاماء . وخواص
الاحجار والحيوانات . والادوية والعلاجات . والرقى والانبجبات .
والاحاديث المفردات . وشاذ الاتفاقات . وطريف المنامات . وشريف
الحكيات . وغير ذلك من ضروب احاديث أهل الخير والشر . والنفع
والضر . وسكان المدر والوبر . والبدو والحضر . شرقاً وغرباً . وبعداً
وقرباً . وكان القوم الذين استكثرت منهم . واخذت ذلك عنهم . يحكونه
في أثناء مذاكرتهم . وفي عرض مجاراتهم . وبعد انقضاء ملحمهم وآدابهم
والخوف من ملل يلحق السامعين بعلومهم وحكمهم نفياً للمساكنة .
واجتراراً للمثاقفة . وصلة للمجالسة . وفتحاً للمؤانسة . وسيراً لاحاديث
الدنيا ماضيها وبقاياها . وتواصفاً لسير أهلها وما جرى فيها . وتمثيلاً بين ما
شاهدوه منها . وسمعوه عنها . وعانوه من قلبها . وقاسوه من تصرفها .

والبخلاء وذوى الكبر والخيلاء والاشراف والظرفاء والمخرفين والجلساء
والمحدثين والندماء . والاذكياء والفهماء والاسخياء والكرمء والسفهاء
والعلماء . والمتكلمين والعلماء . والمحدثين والفقهاء . والفلاسفة والحكماء .
واهل الآراء والاهواء . والمتأدين والادباء . والمترسلين والفصحاء .
والرجاز والخطباء . والعروضيين والشعراء . والنسايين والرواة . والحفاظ
والدراة . واللغويين والنحاة . والشهود والقضاة . والامناء والولاة .
والتصرفين والكفءة . والفرسان والامجاد . والشجعان والانجاد . والجند
والقواد . واصحاب القنص والاصطياد . واجواسيس والمتخبرين . والسعاة
والغمازين . والوراقين والمعلمين . والحساب والمحررين . والعمال واصحاب
الدواوين . والتناء والمزارعين . وارباب الخراج والارضين . والاكرة
والفلاحين . وانتكلمين على الطرق . واصحاب الماذور والخلق . والواعظين
والقصاص . وذوى التمس والاخلاص . وأهل الصوامع والخلوات .
والسياح في الجبال والقلوات . والنسك والصالحين . والابدال والمتفردين .
والمريدين والمحبين . والعباد والمتبتلين . والزهاد والمتوحشين . والصوفية
والمتواجدين . والائمة والمؤذنين . والقراء والمحنين . والرجعاء والمبرزين .
وأهل النقص والمقصرين . والاغياء والمتخلفين . والفطاء والتقدمين .
والشطار والمتقين . واصحاب العصبية والسكاكين . وقطاع الطريق
والمتلصصين . والخراب والمتخربين . وأهل الخسارة والعيارين . ولعاب
النرد والشطرنجيين . والملاح والمتطايين . واصحاب النادرة والمضحكين .
والمورثين والمبذرين . والظفيلية والمتطرحين . والاكلة والمواكلين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وعلى آله الأئمة ذوى

من أفواء الرجال وما دار بينهم

الحفظ في الضمائر التخليد في الدفاتر الى كتب مثله

ولا تخليد بطون الصحف شيء من جنسه وشكله والعادة جارية في مثلها ان يحفظ اذا سمع ليذاكر به اذا جرى ما يشبهه ويتتضيه . وعرض ما يوجبه ويستدعيه . ولعل قارئها والناظر فيها أن يستضعفها اذا وجدها خارجة عن السنن المعروفة في الاخبار . والطريق المألوف في الحكايات والآثار . الرتبة في الكتب . المتداولة بين أهل الادب . ولا سيما ما لم يعلم السبب الذي رغبي في كتبها وهو اني اجتمعت قديماً مع مشايخ فضلاء علماء أدباء قد عرفوا أحاديث الملل . وأخبار الممالك والدول .

الأمم ومعاييرهم وفضائلهم ومثالبهم وسمعوا ولون ظريف

عجيب من أخبار الملوك

والكتاب والوزراء والسادة



PN
6267
A7 T3
1921
V.1

al-Tanūkhī, al-Muhassin ibn Ali

كتاب

Jāmi' al-tawārikh

جَامِعُ التَّوَارِيخِ

عزني

المسمى

بكتابِ شوارِ المِحَاضَةِ وَاخْبَارِ المَذَاكِرَةِ

من

تأليف القاضي أبي علي الحسن بن علي

ابن محمد بن أبي القهم التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤

الجزء الاول

قد اعتنى بتصحيحه

د. س. م. م. م.

مَطْبَعَةُ مِصْرَ

037840020

FEB 14 1992

